الجزءان الأول والثاني
المجلد الثالث والتسعون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا»

مجلّة محكّمة فصليّة

جمادى الأولى وشعبان ١٤٤١هـ
كانون الثاني ونيسان ٢٠٢٠م

الجزءان الأول والثاني المجلد الثالث والتسعون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا »

مجلّة محكّمة فصليّة

جمادى الأولى وشعبان ١٤٤١هـ

كانون الثاني ونيسان ٢٠٢٠م

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع باستثناء القرارات المجمعيّة

قواعد النشر:

١- أن يتسم البحث بالجدَّة والأصالة والموضوعية.

٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.

٣- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيُقبَل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.

٤- أن تكتب في بداية البحث مقدمة تبين الغرض منه والبنود الرئيسية التي سيتناولها بالتفصيل.

٥- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.

٦- أن يُعِدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٧- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:

أ- «اسم المؤلف أو الكاتب – اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، **وفي المصادر والمراجع** يكتب:

ب- «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

ويمكن للكاتب أن يتخيّر أحد البندين (أ) أو (ب) على أن يجري على نسق واحد في توثيق المصادر والمراجع والحواشي.

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه عنوان البحث، أو ترسل بالبريد الإلكتروني.

٩- على الباحث أن يلتزم مصطلحاً واحداً في بحثه إذا تعددت المقابلات العربية للأصل الأجنبي والأولى أن يكون مما جاء في المعاجم المتخصصة.

١٠- أن تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة **قبل** مقابلها الأجنبي عند ورودها **أول مرة فقط**، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.

١٣- ألّا يكون البحث منشوراً أو مرسلاً للنشر في مجلة أخرى أو مستلًّا من رسالة، ويتعهد الباحث بذلك خطيًّا.

١٤- تُرتَّب البحوث والمقالات وَفق اعتبارات فنية.

١٥- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٦- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E – mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت):

www.arabacademy.gov.sy

❊ ❊ ❊

فهرس الجزأين الأول والثاني

من المجلد الثالث والتسعين

البحوث والدراسات

- مستوى الأداء اللغوي في التعليمين العام والجامعي لدى الطلاب والمدرسين — د. محمود أحمد السيد — ١١
- تكملة مادة لغوية (أمِن، أَمرَ، حدَث، وصل) — د. ممدوح خسارة — ٤١
- في مرآة التكاثر اللغوي قراءة في شيء من مادة (جوز) — د. عبد الناصر عساف — ٥٩
- بين استيحاء الأحوال واستحلاء الأنغام — د. رضوان الداية — ٧٣
- المستدرك على ديوان ابن النقيب الفقيسي — د. عباس الجراخ — ٩٩

المقالات والآراء

- صلى يصلِّي صلاة — د. مكي الحسني — ١٢٩
- مرايا الحكايا: وجها شمس ومولانا في حكاية رقعة الكنز في المقالات والمثنوي — د. عيسى العاكوب — ١٣٣
- مجمع دمشق من المجمع العلمي العربي إلى مجمع اللغة العربية — د. رفعت هزيم — ١٤٩

التعريف والنقد

- كتاب جواهر القرآن ونتائج الصنعة د. مازن المبارك ١٦٥
- جرى الحديث بيننا بمودة بل وبصراحة د. إبراهيم عبد الله ١٧٣
- المصطلح العلمي في معاجم المجمع المصري د. محمد جمعة الدربي ١٨٧
- أضواء على المشكلة اللغوية العربية د. وليد السراقبي ٢٠٥

المحاضرات والمدارسات

- مبادئ التشكيل الصوتي: مراجعة وتقييم د. أحمد قدور ٢١٥
- البحث العلمي في مسيرة البناء والتقدم د. ميخائيل معطي ٢٥١

أنباء مجمعية وثقافية

- من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب ٢٦٩
- الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع ٢٨٣
- أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام (١٤٤١هـ-٢٠٢٠م) ٢٨٧

❊ ❊ ❊

البحوث والدراسات

مستوى الأداء اللغوي في التعليمين العام والجامعي لدى الطلاب والمدرسين

أ. د. محمود أحمد السيّد(*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الأداء اللغوي والأهداف المرسومة له في العملية التعليمية التعلمية، والشكوى من تدني مستواه لدى المتعلمين تلامذة وطلاباً، ولدى المعلمين إن في التعليم العام، وإن لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات، ومن ثمَّ نسلط الأضواء على أسباب هذا التدني، ونحدد بعض الصوى للارتقاء بواقع الأداء اللغوي.

أولاً- مدخل تعريفي:

الأداء لغة من الفعل «أَدَيَ»، وأداه أدياً بمعنى: قضاه، وأدّى الشيء بمعنى: قام به، وتأدّى الأمر بمعنى: أنجز، والاسم هو الأداء، والأداء هو الإنجاز(١).

والأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية هو الإنجاز، وقد يكون هذا الإنجاز ذا مستوى جيّد، أو يكون غير ذلك، إلا أن التربية المعاصرة تختلف في نظرتها إلى اكتساب اللغة عن نظرة التربية التقليدية التي كانت ترى أن اللغة ما

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المعجم الوسيط - الجزء الأول - الطبعة الثالثة - القاهرة ص١٠.

هي إلا مجموعة من الحقائق والقواعد والقوانين والأحكام، وأن على المعلمين أن يلقّنوها للمتعلمين تلقيناً، وما على المتعلمين إلا أن يحفظوها ويستظهروها عن ظهر قلب، وبقدر درجة حفظهم لها يُعَدُّون متمكنين من اللغة، وينظر إلى أدائهم اللغوي على أنه أداء جيّد؛ في حين أن التربية المعاصرة تركز على التمهير، أي: التجلية والأداء المتقن لا على التحفيظ والتسميع، والمهارة هي الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والمجهود معاً، والسرعة في الإنجاز إلى جانب الدقة والإتقان فيه[٢].

والمهارات اللغوية نوعان: مهارات إرسال، وتتمثل في المحادثة والكتابة، ومهارات استقبال، وتتمثل في الاستماع والقراءة.

ولا تتكون المهارة اللغوية إلا بالممارسة والتكرار، على أن تكون الممارسة مبنية على الفهم وإدراك العلاقات والنتائج، ومبنية على التوجيه من جانب، والتعزيز من جانب آخر، وتوفر القدوة الحسنة.

ثانياً - الأهداف المرسومة للأداء اللغوي في العملية التعليمية التعلمية:

ثمة أهداف مشتركة للأداء اللغوي في جميع مراحل العملية التعليمية التعلمية، وأهداف تختلف بين المراحل في ضوء النمو الفكري للمتعلمين، **وتتلخص الأهداف التي نبتغيها من تعليم اللغة وتعلمها في الآتي**[٣]:

١- أن يكتسب المتعلم مهارات استعمال اللغة العربية استعمالاً ناجحاً في الاتصال بغيره محادثة وكتابة وقراءة واستماعاً.

---

(٢) R.L.Lyman. Summary of investigations relation to grammar language and composition supplementory. Education monographs u Chicagos-illinois P.13.

(٣) الدكتور محمود السيّد - في الأداء اللغوي - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٥ ص٩٠.

٢- أن يكتسب مهارات القراءة الجهرية تعرفاً للحروف والكلمات والنطق بها صحيحة، وفهم المعاني وتمثّل القيم والاتجاهات الواردة في المادة المقروءة، والتفاعل مع المقروء.

٣- أن يكتسب مهارات القراءة الصامتة فهماً واستنتاجاً وتمييزاً وتحليلاً وموازنة ونقداً وتقويماً.

٤- أن يكتسب مهارات الاستماع فهماً دقيقاً لما يقال، واستنتاجاً لما يود المتحدث قوله، وما يهدف إليه، وتحليلاً لكلامه، وتلخيصاً لفِكَرِه، ونقداً لها.

٥- أن يكتسب مهارات التعبير الوظيفي لقضاء حاجاته، وتنفيذ متطلباته في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه من كتابة رسائل، وإعداد محاضر جلسات، وكتابة مذكرات، وإلقاء كلمات في المناسبات... إلخ.

٦- أن يكتسب مهارات التعبير عن نفسه ميولاً واتجاهات وقيماً وتطلعات ومعاناة.. إلخ، وعما يقع تحت حسه كلاماً وكتابة في أسلوب واضح ومنظّم.

٧- أن يكتب كتابة صحيحة بأسلوب سليم خال من الأخطاء الإملائية والنحوية.

٨- أن يعبّر شفاهيًّا عن فكره وحاجاته واهتماماته وميوله ورغباته تعبيراً سليماً خالياً من الأخطاء.

٩- أن يكتسب مهارات التذوق الأدبي، وإدراك الجمال والتناسق في النصوص الأدبية التي يتفاعل معها.

١٠- أن يكتسب عادة الإقبال على القراءة الحرة بشغف ومحبة حتى يغدو الكتاب صديقه الذي لا يمل مصاحبته.

١١- أن يكتسب عادة البحث عن الكلمات والتفتيش عنها في المعاجم والموسوعات بحثاً عن معانيها واستعمالاتها الحرفية والمجازية والاصطلاحية.

١٢- أن يوظف ما يحصل عليه، ويكتسبه من مفردات وتراكيب وفكر وقيم واتجاهات وصور وأخيلة وأساليب من قراءاته في مواقف التعبير الشفاهي والكتابي.

١٣- أن يكون قادراً على اختيار المادة الصالحة للقراءة، والتمييز بين الخبرتين التربوية وغير التربوية، وبين الغث والسمين.

وتجدر الإشارة إلى أن التركيز على الأهداف في المرحلة الثانوية لا يقل أهمية عن الأهداف في مرحلة التعليم الأساسي؛ لأن ثمة شريحة من خريجي هذه المرحلة قد لا يتابعون دراستهم الجامعية، وبناء على ذلك كان لابدَّ من توسيع دائرة اكتساب مهاراتهم اللغوية، وقدرتهم على القراءة الناقدة، وميلهم ومحبتهم للقراءة، وشغفهم بها، وقدرتهم على انتقاء المادة الصالحة للقراءة، وعلى تتبع ما يستمعون إليه فهماً ونقداً وتوظيفاً، وقدرتهم على فهم النصوص الأدبية، وإدراك نواحي الجمال فيها، وعلى تذوقها وتحليلها ونقدها، وقدرتهم على التعبير الوظيفي والإبداعي، وقدرتهم على البحث، وتقصي المسائل، واستخدام المراجع، والاتصال بالتراث الأدبي في عصوره المختلفة، وكتابة نصوص متكاملة... إلخ.

وتتسع دوائر الاكتساب والقدرات في المرحلة الجامعية. ولا بدّ لنا أن نقف على مستوى الأداء اللغوي لدى المتعلمين في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، وفي مرحلة التعليم الجامعي.

ثالثاً – الشكوى من تدني مستوى الأداء لدى المتعلمين في التعليم ما قبل الجامعي والجامعي:

لم تكن الشكوى من تدني مستوى الأداء لدى المتعلمين مقتصرة على حاضرنا، وإنما ألفيناها تنطلق منذ ثلاثينيات القرن الماضي – فيما نعلم –، فها هو ذا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين يقول في كتابه «في الأدب الجاهلي»: «إنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية، وأن تطلب إليهم أن يصفوا لك في لغة عربية واضحة ما يجدون من شعور وإحساس أو عاطفة أو رأي، فلن تظفر منهم بشيء، ولن تظفر من أكثرهم بشيء، فإن وجدت عند بعضهم شيئاً، فليس هو مديناً به للمدرسة، وإنما هو مدين به للصحف والمجلات والأندية السياسية والأدبية»(٤).

وفي الخمسينيات يرتفع من مصر أيضاً صوت أمين الخولي شاكياً تدني مستوى الأداء، إذ يقول: «امض قدماً في مراحل التعليم لمن تهيأ لهم السير فيها، فإذا تعليم اللغة القومية غير موفق، وإذا أدبها غير محبب، وإذا النشء يذهب هواه بدداً في آداب لغات أخرى إن قرأ، وإذا هو لا يرقى له وجدان إذا ما أعوزته الملهمات الفنية. ومن هذا يكون الركود الأدبي، وتكون أزمة الفن القولي في نواحيه الفنية والعلمية، فللمسرح أزمة، وللصحافة أزمة، وللإذاعة أزمة، ولكذا وكيت أزمات لغوية كلها لا غير. ولهذا وما أشير إليه أشد الأثر في عجز الأمة عن أن تركز عواطف أفرادها، وتجمع قلوب أبنائها، وتوجه هواهم إلى الأمل الموحد والفعل المشترك»(٥).

---

(٤) الدكتور طه حسين – في الأدب الجاهلي – دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٣٧ ص٢٣.

(٥) أمين الخولي – محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية – معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٥٨ ص٦.

وتحذو الدكتورة «بنت الشاطئ» حذو الخولي في الإشارة إلى عدم تمكن المتعلمين المتخرجين من كتابة خطاب بسيط، ومعاناتهم عدم القدرة على التعبير السليم، فها هي ذي تقول: «الظاهرة الخطرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية ازداد جهلاً بها، ونفوراً منها، وصدوداً عنها. وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط، فيتخرج في الجامعة، وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويُعيِيْه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان قومه ومادة تخصصه. كل درس تلقّاه أبناؤنا في لغتهم العربية ينأى بهم عنها، ونرى اللغات الأخرى يتعلمها أبناؤها في مدارسهم العامة، فيكسبون من كل درس معرفة جديدة بأسرار لغتهم»(٦).

ولم تقتصر الشكوى على قطر عربي دون آخر، فها هي ذي صيحة الدكتور «هادي نهر» تنطلق في ندوة اللسانيات واللغة العربية التي عقدت في تونس سنة ١٩٧٨ لتشير إلى أن «لغتنا العربية اليوم كمئذنة يلفّها الغبار، فالناطقون يضيقون بها، ويهربون من قواعدها وتراكيبها، بل إن بعض المتعلمين العرب لا يعرفون تركيب جملة عربية سليمة السكتات والحركات، والأنكى من ذلك أننا نرى بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية وآدابها لا يدركون فصاحة القول، ولسانهم يلحن، ومعارفهم اللغوية على كل المستويات لا تتناسب وشهادتهم الجامعية»(٧).

(٦) الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» - لغتنا والحياة - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧١ ص١٧١.

(٧) الدكتور هادي نهر - أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية - الجامعة التونسية - تونس - ديسمبر ١٩٧٨ ص١٢٢.

ومن العراق نجد صيحة «الدكتور مهدي المخزومي» تشير إلى أن «هنالك شكوى عامة من تدريس العربية، وبرم الطلبة في مراحل الدراسة المختلفة بالدرس النحوي واستثقالهم ظلّه وظلّ القائمين على تدريسه، وإخفاق الطلبة، حتى المتخرجين منهم في أن يفهموا نصاً أدبيًّا أو لغويًّا، وفي أن يؤلّفوا جملة عربية سليمة»(٨).

ويرى «الدكتور حسام الخطيب» في المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب الذي عقد في الخرطوم: «أن الإنسان ليس بحاجة إلى روائز تربوية أو إحصاءات لكي يستنتج أن سوية(*) تعليم اللغة العربية في انحدار مستمر»(٩).

وهكذا نرى أن الشكوى من تدني مستوى الأداء في اللغة العربية تناولت التعليمين الجامعي وما قبله. ولم تكن الشكوى لتقتصر على الإشارة إلى الأخطاء اللغوية في التعبيرين الشفاهي والكتابي، وإنما كانت تشير إلى الارتباك في تناول ضروب التعبير الوظيفي من إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، أو إعداد تقارير عن محاضر الجلسات، أو تقديم طلب إلى إحدى الدوائر والمؤسسات...إلخ.

يضاف إلى ذلك كله ما يُلاحَظ من فقر في الرصيد الحفظي للشواهد الشعرية والنثرية لدى حملة الإجازة في اللغة العربية، ومن قصور بعضهم في التفتيش عن كلمة في المعجم، والعزوف عن القراءة الحرة في الأعم الأغلب،

(٨) الدكتور مهدي المخزومي – نحو لغة عربية سليمة – وزارة الثقافة بالعراق – بغداد ١٩٧٨ ص٨٢.

(*) «سويّة» في النصّ بمعنى مستوى استعمالٌ مُحدَث، فيه نظر – المجلة.

(٩) الدكتور حسام الخطيب – اتحاد المعلمين العرب – المؤتمر التاسع – الخرطوم ١٩٧٦ ص٥٥٨.

والقصور في تمثل ما تشتمل عليه النصوص التي يستمعون إليها من جهة من معانٍ ومفاهيم، أو النصوص التي يقرؤونها أيضاً من جهة أخرى.

رابعاً- الشكوى من تدني مستوى أداء المعلمين في التعليم ما قبل الجامعي، ومستوى أعضاء الهيئة التدريسية في التعليم الجامعي:

لم تكن اللغة العربية على ألسنة المعلمين وأقلامهم في التعليم ما قبل الجامعي، وعلى ألسنة أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد لتتسمَ بالسلامة والصحة وجودة العملية التعليمية التعلمية أحياناً، فلنستمع إلى ما يقوله أمين الخولي في هذا الصدد: «حدّق في المدارس والتعليم فيها، أولئك المدرسون للموادِّ المختلفة لا يحسنون لغتهم، ولا يحسنون الإبانة، إنهم عوام في شرحهم وتلقينهم، وهم أشباه عوام في تأليفهم وعرضهم، وهم لا يُلقون لتلاميذهم وطلابهم حقائق نيّرة بيّنة، وليس ذلك فحسب، بل هم يبرمون باللغة، ويتأففون ممن يرجو لديهم بياناً بها أو صحة تعبير، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة القومية، إن لم نقل احتقارها»(١٠).

وتعزز هذه النظرة بنت الشاطئ في كتابها «لغتنا والحياة»، إذ تقول: «ونسمع أساتذة كباراً يحاضرون بالعربية أو يلقون أحاديث في أندية ثقافية، وتقرأ لهم ما يكتبون من بحوث ومقالات، فندرك ما يعانون من إحساس باهظ بمقدرة اللغة التي ترهقهم بالشعور بأنهم لا يملكون أداة التعبير السليم الطلق عن آرائهم وأفكارهم»(١١).

(١٠) أمين الخولي - محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية - معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٥٨ ص٦.

(١١) الدكتورة بنت الشاطئ - لغتنا والحياة - مرجع سابق ص ١٩١.

وطالما لاحظنا في دروس التربية العملية في مدارسنا في التعليمين الأساسي والثانوي شرح الدروس بالعامية أحياناً وبالهجين اللغوي أحياناً أخرى، وروى لنا عميد كلية التربية في جامعة المنصورة بجمهورية مصر العربية أن مدرِّسة التربية الإسلامية كانت تشرح لطالباتها في الثانوي موضوع الهجرة النبوية، فاستعملت العامية والهجين اللغوي في شرح درسها.

وكان مدرس رياضيات يشرح الدرس قائلاً بالعامية: «إذا خدنا هالنحتوتة وحطيناها عهالنحتوتة»، وكان يقصد: إذا أخذنا هذه الزاوية ووضعناها على هذه الزاوية.

وما أزال أتذكر تصحيح إحدى المعلمات في مدرسة التطبيقات بدمشق لإجابة أحد المتعلمين في صفها عندما طلبت إليه أن يستخرج الأفعال الماضية والمضارعة من النص، فأشار إلى فعل «أَرْسَلَ» على أنه فعل ماضٍ، فما كان من المعلمة إلا أن انتفضت قائلة له: «هذا خطأ، هذا فعل مضارع، ألا تجد فيه أحد أحرف أنيت؟»!

وإذا انتقلنا إلى التعليم الجامعي، فإننا نلاحظ غياب التدريس باللغة العربية، اللغة الأم، في أغلب الجامعات العربية، إنْ في جامعات دول الخليج العربي، أو في جامعات دول المغرب العربي. أما في الدول العربية الأخرى فلنستمع إلى ما يقوله الدكتور «عبد الصبور شاهين» في مصر إذ يشير إلى «أن مأساة اللغة العربية تبرز بوضوح إذا ما رأينا أن العلوم التي تقوم عليها الحضارة الحديثة كالهندسة والطب والصيدلة والطبيعة والرياضيات كلها تدرّس باللغة الإنجليزية في جامعاتنا، لا لأن اللغة العربية عاجزة عن تمثيل حقائقها ومصطلحاتها تمثيلاً ما، بل لأن هيئات التدريس في هذه المجالات هي العاجزة عن استعمال اللغة العربية أداة لنقل

المعارف الحديثة، ومتابعة ما ينشر في الخارج بفكر ولسان عربيين»[١٢].

وإذا وقفنا على مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية، فإننا نجد هجيناً لغويًّا في هذه المناقشات، وإلى هذا أشار الدكتور شاهين قائلاً: «ولقد حضرت أخيراً مناقشة لرسالة في عالم الطفيليات لنيل درجة الدكتوراه كانت نموذجاً للمأساة التي نعيشها نحن في الوطن العربي، ومعبّرة عن التمزق العميق في أعلى مستويات البحث العلمي الحضاري، الرسالة محرّرة بالإنجليزية، وقدّمت الطالبة ملخصاً عنها بالإنجليزية أيضاً، وبدأت المناقشة فتحدّث المشرف بالعربية، وناقش أحد الأعضاء الطالبة بالإنجليزية، وناقش العضو الآخر الطالبة بالعربية، وكانت الطالبة تردُّ وتناقش بالإنجليزية، وبالعربية في لغة مختلطة كاختلاط الرقع في الثوب المهلهل، وذلك في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية العريقة. ولو أن هذا الموضوع كان مطروحاً بجامعة دمشق لكتب بالعربية، ولنوقش بالعربية دون أدنى صعوبة في الأداء أو في المصطلحات»[١٣].

ولم يكتف الدكتور شاهين بوصف ما جرى في مناقشة هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه في كلية الطب بإحدى الجامعات المصرية فقط، وإنما تابع كلامه قائلاً: «لنقلها صراحة ودون مواربة: إن اللغة العربية غير عاجزة، وإنما العاجز بعض بنيها سواء أكان العجز من النوع الثقافي المتمثل في ضعف إلمام الأساتذة باللغة العربية ومصطلحاتها، أم كان من النوع النفسي

(١٢) الدكتور عبد الصبور شاهين - تعقيب على مقال اللغة العربية والظروف الحاضرة وما ينتظر تحقيقه من آمال في مستقبل عالم المتكلمين بها ديوجين مصباح الفكر - العدد الرابع والثلاثون - السنة العاشرة ١٩٧٦ ص١٠.

(١٣) المرجع السابق ص١١.

إذا افترضنا فيهم القدرة على استعمال اللغة، ولكنهم يُحجمون عن خوض التجربة لفقر في الإحساس بالكرامة القومية، ذلك الإحساس الذي يدفع الجندي الأمين إلى اقتحام الأهوال، وقد كان خليقاً أن يدفع هؤلاء الأساتذةَ إلى صنع المحال»(١٤).

وإذا كان الدكتور شاهين قد افترض القدرة لدى أساتذة الجامعة على استعمال اللغة، فإن الواقع يدل على ضعف القدرة لديهم في الاستعمال الصحيح للغة.

وإذا كان مستهجناً أن يرتكب المعلم- مهما يكن تخصصه- الأخطاء اللغوية في محادثته وتعبيره الشفاهي، وفي أثناء شرح دروسه، فإن الاستهجان يكون أشدَّ وأمرَّ إذا كان الخطأ في كتابته، ويكون الأمر أقسى إذا كان مرتكب الخطأ أستاذاً جامعيًّا، وردت أخطاؤه في إهداء كتابه الذي كان يدرّس في إحدى كليات الهندسة، وقد جاء هذا الإهداء على النحو الآتي: «وأهدي هذا العمل المتواضع إلى **الذين يعرفون** معنى العطاء والتضحية والدي ووالدتي ومن تشبه بهم، وإلى الذين يعرفون الحق و**يناصروه**، وللقراء المعذرة لأنهم كانوا **ينتظروا** أكثر مما قدّم»(١٥).

ولقد حضرت ندوة في الكويت عنوانها «محنة اللغة العربية» في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي برفقة صديقي المرحوم الدكتور صدقي حمدي، الشاعر المتخصص في التاريخ، وشارك فيها كل من رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ومدرس مادة النحو في الجامعة، والموجه الأول للغة

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) الدكتور محمود أحمد السيّد - تعليم اللغة بين الواقع والطموح - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر١٩٨٨ ص٢٠٨.

العربية في وزارة التربية، فما كان من رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة إلا أن ارتكب أخطاءً لغوية في أثناء حديثه، في الوقت الذي تحدّث فيه مدرس مادة النحو بالعامية وباللهجة المصرية، ووحده المفتش الأول للغة العربية في وزارة التربية تحدَّث بالعربية الفصيحة، فقلت لصديقي الدكتور صدقي رحمه الله: «ما كنت أعلم أن اللغة العربية في محنة حتى حضرت هذه الندوة ذات العنوان «محنة اللغة العربية». وفعلاً لقد كان ممثلو الجامعة في تلك الندوة وسائل إيضاح على محنة اللغة العربية، ويا للأسف!

والمعلمون في الدول المتقدمة يستخدمون اللغة السليمة في شرح دروسهم مهما تكُ تخصصاتهم، ويحاسبون متعلميهم على ارتكاب الأخطاء اللغوية، فمعلّم الرياضيات في فرنسا عندما يخطئ الطالب خطأ لغويًّا في أثناء حل المسألة الرياضية تحمر وجنتاه، ويتطاير الشرر من عينيه، ويقول له: «إن خطأك اللغوي أدهى وأمر من الخطأ في حل المسألة الرياضية»[١٦]، والمجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية في بريطانيا أصدر قراراً يقضي بأن على كل من يود أن يكون مدرِّساً أن يكون مدرساً للغة الأم أولاً مهما يكُ تخصصه.

أما في ميدان تعليم لغتنا العربية فلا يلتفت إلى ذلك في الأعم الأغلب، لا، بل وصل إهمال ذلك الأمر إلى مدرس الأدب بحجة أن مدرس النحو هو المسؤول عن تصحيح الأخطاء اللغوية، ولا علاقة لمدرس الأدب بذلك على حدّ زعمه.

---

(١٦) Pierre Clarac - L' enseignement du français - presse universitaires de France - Paris 1969.

خامساً – من أسباب تدني مستوى الأداء:

ترجع أسباب تدني مستوى الأداء إلى عوامل عدة منها:

١ – القصور في إعداد المعلمين في التعليم العام والمدرسين في التعليم العالي:

غنيٌّ عن البيان أن نجاح العملية التعليمية التعلمية يرجع إلى كفاية المعلمين، فالمعلم الكفي المعدّ إعداداً تخصصيًّا وتربويًّا يسهم أيما إسهام في إكساب متعلميه المهارات اللغوية، وقد قيل: «أعطني معلماً جيّداً أعطك طالباً جيّداً». وقد أشرنا إلى الشكوى من الأداء المتدني لمعلمي التعليم العام، وأداء مدرسي التعليم العالي، وقد انطلقت هذه الشكوى من أماكن كثيرة على نطاق الساحة العربية.

وها هي ذي الدكتورة «نعيمة عيد» تقول في صدد حديثها عن إعداد المعلم في جمهورية مصر العربية: «يجري إعداد المعلم في جمهورية مصر العربية سواء في كليات الآداب أو في كليات التربية على أساس توجيه العناية الأولى لآداب اللغة، وليس اللغة نفسها، إذ يركز على الشعر والنثر والآداب، وتغفل المحادثة والتعبير الشفاهي، ونحن لا ننكر أبداً أهمية هذه الجوانب اللغوية في دراسة المعلم، ولكن في الوقت نفسه، يجب أن نقر بأن الحديث هو أهم عامل في العملية التعليمية، ومع ذلك تتجاهله تلك المعاهد، والنتيجة الحتمية أن يتخرج مدرسون يحفظون قصاصات من تاريخ اللغة وأدبها، ولكنهم لا يحسنون استخدامها»[١٧].

(١٧) الدكتورة نعيمة عيد – حلقة تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام والفني في البلاد العربية – دمشق ١٩٧٤ ص٥٤.

٢- القصور في بناء المناهج الوظيفية:

ثمة أركان أساسية في بناء المناهج الوظيفية، ولا يعدُّ المنهج وظيفيًّا إلا إذا كان ذا نفعية اجتماعية يؤدي إلى إكساب المتعلم المهارات التي تساعده على تلبية حاجاته، وتنمية ميوله واهتماماته، وتيسر له تفاعله مع أبناء مجتمعه ومواكبة روح عصره. ومن هنا ترى التربية المعاصرة أن بناء المنهج الفعّال يتوقف على توفر أساسيات المادة أولاً، أي: مفاتيحها، ويعرف ذلك من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين، وهذه الأساسيات تعدّ ركناً واحداً في بناء المنهج. أما الأركان المتبقية فهي تعرّف متطلبات المتعلمين لتلبية حاجاتهم وإرضاء ميولهم واهتماماتهم، وتعرّف متطلبات المجتمع ومناشطه وفعالياته، تلك التي يتفاعل معها المتعلمون، وتعرف روح العصر الذي يحيا المتعلمون تحت ظلاله.

فإذا أُخِذَ القاسم المشترك لهذه الأركان كافة كان المنهج وظيفيًّا وفعالاً، أما إذا ركزنا على ركن واحد في منأى عن الأركان الأخرى كان المنهج قاصراً.

ومن الملاحظ أن ثمة قصوراً في مناهجنا عندما تقرِّر على المتعلمين مباحث لا تستخدم في الحياة، فترهق أذهان المتعلمين، ولا تلبي حاجاتهم، فيكرهون المادة، ويضيقون ذرعاً بمحتواها، ما دامت غير نابضة بالحياة.

ومن الملاحظ أن ثمة اهتماماً بالقضايا التاريخية والنظرية على حساب الأمور التطبيقية والعملية، ونجد ذلك في تدريس المادة النحوية، إذ يضيع الوقت في التأويلات والتقديرات والمماحكات والاستثناءات على حساب الأمور الجوهرية في ممارسة اللغة، والتركيز على الأساسيات، والمفاتيح التي تساعد المتعلم على القراءة الصحيحة، والاستعمال السليم في تعبيره الشفاهي والكتابي، والفهم للمقروء، ولما يستمع إليه.

وإذا كان أرباب المنهج الوظيفي يرون أن ثمة نحواً يحتاج إليه المتعلم في

مستقبل حياته ولا يُعلَّم، وأن ثمة نحواً لا يحتاج إليه المتعلم، ولا يستعمله في مستقبل حياته، فهو غير أساسي، ولكنه يتعلمه، فإن نفراً من المتخصصين في المادة النحوية يرون أن جميع المباحث النحوية أساسية، ويجب على المتعلمين أن يعرفوها كافة، وليس ثمة مجال لحذف أي منها، فالنحو في نظرهم غاية وليس وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، وطالما ألفينا النقاش بينهم حادًّا، وتعصُّبَ كلّ واحد منهم لرأيه شديداً. «وهذا الخلاف في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها، وأكبر العقبات في تحصيلها بالوصول إلى ضوابط محدودة سليمة يسهل استخدامها، والاستعانة بها في التفاهم الكلامي والكتابي على وجه محكم دقيق لا فوضى فيه ولا اضطراب شأن العلوم القاعدية المضبوطة التي تأخذ بيد صاحبها إلى غاياتها تنهض به في يسر وسهولة ودقة إلى حيث يبغي منها»(١٨).

وهذا الرأي هو لعلم من أعلام النحو، إنه عباس حسن الذي يتابع كلامه قائلاً: «إنّ النحاة موزّعون، كلٌّ يرى الحق في جانبه، ويحكم على قرينه بالخطأ الصراح، والمتعلمون والكاتبون والمتكلمون من بين هؤلاء وهؤلاء حائرون لا تسعفهم ثقافتهم القائمة بتفهم هذا كله أو بعضه، ولا تتسع صدورهم لقليله، ولا تسمح لهم زحمة الأعمال، ومطالب العيش الملحة باحتمال هذا العبث من أجل ضبط كلمة أو إقامة جملة، وعندهم أن الوقوع في الخطأ على قبحه أهون شأناً، وأيسر ضرراً من بذل الجهد المضني، وإضاعة الوقت في تلك التناقضات التي لم يُنْتهَ فيها إلى رأي موحد أو مذهب متفق عليه»(١٩).

(١٨) عباس حسن – اللغة والنحو بين القديم والحديث – دار المعارف – القاهرة ١٩٦٦ ص٨١.
(١٩) المرجع السابق.

٣- تخلّف طرائق التدريس:

وإذا كانت النظرة إلى محتويات المناهج البعيدة عن الحاجات والاهتمامات والميول والحياة النابضة هي المسؤولة عن تدني أداء المتعلمين، فإن ثمة نظرة أخرى توجهت إلى أن طرائق التدريس هي المسؤولة عن ذلك، ولا ترجع العوامل إلى المادة اللغوية، ولا إلى محتوياتها، وتعدد الآراء فيها، إذ إن أي لغة في العالم مهما تبلغ درجة تعقيدها وصعوبتها ممكنة التعلم والإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجعة لتعلمها واكتسابها، ولغتنا العربية غير مخدومة تربويًّا، وطرائق تعلمها متخلفة وغير علمية(٢٠).

ولم تتحقق عملية الانتقال من التعليم إلى التعلم في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا على النحو المرغوب فيه، إذ ما يزال العبء ملقىً على كاهل المعلمين في الأعم الأغلب على الرغم من أن العملية التعليمية التعلمية لا تعدُّ ناجحة إلا إذا كان ثمة انتقال من التحفيظ والتسميع إلى التمهير، وإكساب المتعلمين المهارات والكفايات التي تساعدهم على التفاعل مع مجتمعهم وحياتهم، إذ ما يزال التلقين سائداً، وما يزال السؤال: «ماذا نعلم؟» يركَّز عليه أكثر مما يركز على: «كيف نعلّم؟»؛ وما تزال عملية التعلم الذاتي، واكتساب مهاراته قاصرة عن تحقيق مرادها.

وهذه الطرائق التقليدية تعوّد الطالب المحاكاة العمياء، والاعتماد على غيره، وتقتل فيه روح الابتكار والإبداع، والمعلومات التي تقدّم في ظلالها تبقى مزعزعة في الذهن؛ نظراً لأن المتعلمين لم يبذلوا جهداً في سبيل الوصول إليها، وإنما كانوا سلبيين، وهذا يؤدي إلى عدم رسوخها في الأذهان بسبب وأد روح الاستنتاج، وحسن التعليل، ودقة الفهم، والجنوح إلى التعميم(٢١).

---

(٢٠) الدكتور حسام الخطيب - اتحاد المعلمين العرب - مرجع سابق ص٥٥٩.

(٢١) الدكتور محمود أحمد السيّد - تعليم اللغة بين الواقع والطموح - مرجع سابق ص٢٠٢.

أضف إلى ذلك كله القصور الواضح في استخدام وسائل التقانة المعاصرة في العملية التعليمية التعلمية عامة، وفي تعليم اللغة العربية خاصة، خلافاً لما يراه المتعلمون في تعلّم اللغات الأجنبية، وإذا كانت الصور ناطقة في كتب تعليم اللغات الأجنبية، فإنها باهتة في ميدان تعليم اللغة العربية.

ومن الملاحظ أننا نركز في طرائق تدريسنا على الجانب المكتوب من اللغة، ونهمل المحادثة والحوار، ومواقف التعبير الشفاهي الوظيفي من إلقاء الكلمات في الأمسيات، وتوجيه التعليمات والإرشادات، وإدارة محاضر الجلسات... إلخ.

٤- القصور في أساليب تقويم الأداء:

إذا كانت الأهداف التي نبتغيها من تعليم اللغة وتعلمها أن يستخدم المتعلمون اللغة استعمالاً ناجحاً محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة، فيجب أن يكون هذا الاستعمال متسماً بالإتقان، ولن يحصل ذلك إلا باكتساب المهارات اللغوية، إذ ما المهارة إلا الأداء المتقن القائم على الفهم، وعلى السرعة، والاقتصاد في الوقت والمجهود، ولن تتكون المهارة لدى المتعلم إلا بالمران والممارسة، والتوجيه، وتصويب الأخطاء، وتعزيز الاستجابات الصحيحة، وتوفر القدوة الحسنة، إن من المعلمين، أو من بعض الأقران المجلّين والمتفوقين.

ومن الثغرات في مجال تعليم اللغة وتعلمها، والحؤول دون تكوّن المهارة لدى المتعلمين:

١- غياب القدوة الحسنة في الأداء اللغوي.

٢- الانتقال من المعرفة إلى العادة من غير المرور بالمهارة، إذ إن العادة لا تتكون لدى المتعلم إلا بعد المرور باكتساب المهارة.

٣- غياب الأهداف أحياناً، والنأي عن الأهداف السلوكية، ولا يمكن

تعرف مدى تحقيق الهدف إلا إذا كان هذا الهدف مصوغاً سلوكيًّا، يمكن قياسه.

٤- اللجوء إلى القراءة الصامتة ما دام المعلمون يجدون راحة في تكليف المتعلمين بها، وغني عن البيان أن القراءة الصامتة لا تكشف عن الأخطاء اللغوية التي يرتكبها المتعلمون، وإنما القراءة الجهرية هي التي تكشف عن الأخطاء، ولابد من التركيز عليها في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وقد طلبت لجنة التمكين للغة العربية إلى وزارة التربية أن تكون نسبة القراءة الجهرية في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي ٧٥٪، وفي الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي ٥٠٪، وفي مرحلة التعليم الثانوي ٢٥٪، في حين تكون القراءة الصامتة ٢٥٪ في الحلقة الأولى، و٥٠٪ في الحلقة الثانية، و٧٥٪ في المرحلة الثانوية، وقامت وزارة التربية مشكورة بالتعميم على المدارس لإنفاذ هذه النسب في ضوء طلب لجنة التمكين للغة العربية.

٥- التركيز في قياس الأداء على المستوى الأول من مستويات المعرفة ألا وهو الحفظ والتذكر والاسترجاع. أما المستويات العليا من حيث الفهم والربط والاستنتاج والموازنة والتحليل والتركيب والتطبيق والتفاعل والحكم، فنادراً ما تعرض لها أساليب التقويم.

وهذا القصور نجده في جميع المراحل التعليمية، ففي دراسة «تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم

العام في الوطن العربي»[٢٢] نجد أن أعلى نسبة مئوية وردت في أسئلة القواعد النحوية كانت لمصلحة المستوى الأول من مستويات المعرفة: عرّف، عدّد، اذكر.. وهذا ما نلاحظه أيضاً في أسئلة الامتحانات الجامعية؛ إذ كانت نسبة هذا المستوى تصل إلى ٧٠٪. أما المستويات العليا فنسبتها متدنية في التعليل، والضبط بالشكل، والتطبيق والإعراب.

ومن الملاحظ أيضاً أن الأسئلة في امتحانات التعليم الجامعي محدودة، وغير شاملة، ويرد أحياناً سؤال خصص له ثمانون درجة من أصل مئة، ونادراً ما يُبَصَّر الطالب بأخطائه في الامتحانات، فيعمل على تلافيها، إذ إن معظم الأنظمة الجامعية تتشدد في اطّلاع الطالب على ورقة امتحانه بعد تصحيحها.

٦- التركيز في قياس أداء المتعلم على الجانب المكتوب من اللغة، وإهمال قياس المحادثة، حتى إن بعض الكليات ألغت الامتحان الشفهي. وغنيٌّ عن البيان أن الاقتصار على الامتحانات الكتابية يغفل تقويم بعض المهارات اللغوية التي لا تكشف عنها الامتحانات الكتابية وحدها من مثل الضبط بالشكل، والتفاعل مع المقروء، وتلوين القراءة الجهرية بحسب المواقف...إلخ.

٧- القصور في التركيز على امتحانات الأتمتة في قياس الأداء اللغوي، واستبعاد الأسئلة المقالية. وإذا كانت الاختبارات

(٢٢) الدكتور محمود أحمد السيّد - تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧.

الموضوعية يمكن تطبيقها في الامتحانات اللغوية في مجال القواعد النحوية والصرفية، ومعاني الكلمات، وتحديد الفكر الفرعية والأساسية، ووضع العناوين، واستخراج المغزى، وتعرف ضروب البلاغة، وتسمية البحور الشعرية... إلخ، فإن قياس التعبير لا تقيسه الاختبارات الموضوعية المقننة، ولابدّ من اعتماد أسئلة المقال في تعرّف مستويات تعبير المتعلمين.

أما التذوق الأدبي فقد أمكن قياسه موضوعيًّا، مع أن الأمر الشائع أن التذوق لا يمكن قياسه؛ لأن لكل امرئ رؤيته في النصوص الأدبية شعرية كانت أو نثرية، ولكن ثمة دراسة لقياس التذوق الأدبي موضوعيًّا، ألا وهي دراسة الدكتور المرحوم الصديق الأستاذ الدكتور رشدي طعيمة، وعنوانها، «وضع قياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية(فن الشعر)»[٢٣].

وإذا كانت الاختبارات الموضوعية من الأهمية بمكان؛ لأنها تعطي لكل إنسان حقه، وتحدد مستواه في منأى عن أي تحيّز أو مجاملة، فإن مستوى المتعلم في تعبيره الكتابي أو الشفاهي لا يمكن الوقوف عليه إلا في ضوء أسلوبه ومناقشته وظهور شخصيته...إلخ.

ومن هنا فإن أسئلة المقال ضرورية في قياس مستويات الأداء اللغوي.

صُوى على درب النهوض بالأداء اللغوي:

ثمة صُوى لا بد من أخذها بالحسبان والاهتمام بغية النهوض بالأداء اللغوي، وذلك بعد أن تعرفنا القصور والتدني في مستوى هذا الأداء. ومن هذه الصُّوى:

(٢٣) الدكتور رشدي أحمد طعيمة - وضع قياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية «فن الشعر» - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة عين شمس ١٩٧١.

١ - إعداد المعلمين جميعاً والمدرسين كافة لتعليم اللغة الأم:

ويكون هذا الإعداد في أثناء الدراسة من جهة، وفي عقد الدورات التدريبية المستمرة في أثناء العمل بحيث نجمع بين التأهيل والتدريب، آخذين بالحسبان أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، فهي مسؤولية المعلمين والمدرسين كافة، إذ إنهم مسؤولون عن تصحيح اعوجاج الألسنة، وزلل الأقلام، وتعويد المتعلمين الوضوح، والدقة في التعبير، وحسن تخيّر الكلمات الدالة، والمعبرة عن الفكرة المراد توضيحها، وتعرّف بساطة الكلمات، والتعبيرات التي يستعملونها ليعبّروا بوساطتها عن فكرهم كتابيًّا وشفاهيًّا بكل دقة ونظام ووضوح، لأن من لا يحسن التعبير لا يتمكن من إفهام الآخرين. وقد قال المفكر الفرنسي «بوالو»: «لكي تُفهم جيداً يجب أن تعبّر بوضوح». ومن الواضح أن المرء لا يمكن أن يعبر بوضوح إلا عندما تكون الفكرة واضحة في ذهنه، لأن وضوح الفكرة يؤدي إلى وضوح التعبير عنها، وفهم الآخرين لها[٢٤].

وإذا كانت المهمة الأساسية لمدرسي العلوم تعليم الطالب الدقة والوضوح، كان عليهم أن يكونوا متشددين في تتبع الغموض والخطأ في لغة المتعلمين، إذ من المعروف أن الأخطاء التي يرتكبها الطالب في الإملاء والقواعد، أو في غموض الفكر وتشويشها هي الأخطاء نفسها التي تتكرر على لسانه وقلمه في التاريخ والتربية والكيمياء والفيزياء والرياضيات..إلخ.

ومن هنا كان الارتقاء بلغة الطالب هو مسؤولية المدرسين والمعلمين جميعاً، على أن يكونوا متقنين أساسيات لغتهم حتى يتمكنوا من تصحيح اللغة والنهوض بها. ويجيء عقد الدورات التدريبية، والتطوير المهني لأعضاء هيئات التدريس في جامعات الوطن العربي من الأهمية بمكان.

---

(٢٤) الدكتور محمود السيّد - في قضايا اللغة التربوية - وكالة المطبوعات بالكويت ودار القلم بلبنان - ١٩٧٨ ص٣٠.

ومن الاتجاهات العالمية في تحديد خصائص المعلم الناجح الفعّال أن يصار إلى التركيز على ثلاث مجموعات في هذا المجال[٢٥]:

المجموعة الأولى: المكتسبات العلمية والتربوية العامة

- التأهيل التربوي الجيد.
- المعرفة بمادة التخصص وإتقانها.
- الخبرة في مجال التعليم.
- الطلاقة اللغوية.

المجموعة الثانية: الصفات الشخصية وعلاقة المعلم بمتعلميه

- الرعاية والاهتمام بالمتعلمين.
- العدالة والاحترام.
- التفاعل الاجتماعي مع المتعلمين.
- الحماسة والدافعية للتعلم.
- الموقف من مهنة التعليم.
- ممارسة التأهيل والمراجعة المستمرة.

المجموعة الثالثة:

- القدرة العالية على التنظيم.
- الاستجابة الحكيمة لسلوك المتعلمين.
- التركيز على التعلم.
- استثمار معظم الوقت في التعلم.
- التخطيط والإعداد للتدريس.

---

(٢٥) Jane H Stronge Qualiteés of electives teachers 2007, 2d edition ASCD (1) Publication USA.

- التنوع في استخدام إستراتيجيات التعليم.
- الوعي بالفروق الفردية بين مستويات المتعلمين.
- التفوق في التواصل مع المتعلمين وتوصيل المعلومات إليهم.
- فهم الطبيعة المعقدة للعملية التعليمية التعلمية.
- الإعداد الجيّد للواجبات المنزلية.
- التغذية الراجعة الدقيقة والمفيدة.
- التنويع في أدوات التقويم.

٢- اعتماد مفهوم النظام (System) في تعليم اللغة وتعلمها:

كانت التربية التقليدية تمزّق اللغة في العملية التعليمية التعلمية، فثمة فرع للقواعد، وفرع للقراءة، وحصة للإملاء، وحصة للقراءة، وحصة للتعبير.. إلخ؛ أما التربية المعاصرة فتنظر إلى اللغة على أنها نظام، والنظام يشتمل على عدة مكوّنات تتبادل التأثير والتأثر فيما بينها بحيث يؤثر كلٌّ منها في غيره ويتأثر به، وثمة عوامل خارجية تؤثر في هذه المكونات الداخلية.

وفي تعليم اللغة وتعلمها ينبغي لنا أن ننظر نظرة شمولية إلى جميع هذه المكوّنات في إطار من الوحدة والتكامل، ما دامت اللغة تحظى بالاهتمام من علماء متعددي الاختصاصات من بينهم عالم وظائف الأعضاء، وعالم الصوتيات، وعالم الطبيعة، والمهندس الكهربائي المختص بوسائل التواصل، والمعني بتحويل الأمواج الصوتية إلى أمواج كهرطيسية، وعالم النفس، والطبيب المختص بالجهاز العصبي، وعالم الرياضيات، وعالم الاجتماع، والمتخصص بالتربية...

ومن هنا كانت معطيات هذه الاختصاصات كافة تصبُّ في ميدان تعليم اللغة وتعلمها في ضوء مفهوم النظام، فتعليم الأدب لم يعد مقتصراً على

الشعر والنثر الفني، وإنما يشمل الأخذ من كل علم بطرف، وليس وقفاً على دواوين الشعر، وكتب النثر الفني، والأدب واسع سعة الحياة، وهو للحياة لا للمجتمع فقط، ولفهمه لابد من الاستعانة بمناهج البحث العلمي، ونظريات علم الاجتماع، والتحليل النفسي، والانفتاح على ميادين المعرفة ذات الصلة باللغة والأدب ما دامت اللغة هي مركز الدراسات الإنسانية.

وفي إعداد مدرسي الأدب وتأهيلهم ينبغي ألا يقتصر هذا الإعداد، وذلك التأهيل على المواد الأدبية، والإنسانية، وإنما عليه أن يدرس العلوم الطبيعية، والكيمياء، وقوانين السكون، والرياضة...إلخ، إلى جانب الدراسات العلمية الإنسانية من اجتماعية، ونفسية، وعقيدية...إلخ.

وتعليم النحو لم يعد مقتصراً على ضبط أواخر الكلمات، وإنما اتسع ليشمل بنية الكلمة بما يطلق عليه الصرف، ثم ازداد اتساعاً في مفهومه الحديث ليشمل ضبط أواخر الكلام، والبنية الداخلية للكلمة، والتراكيب، وبنى الجمل الفرعية، والأساسية، والأصوات، والأداء في نطق الجملة والمعنى، ذلك لأن تغيير الحركات الإعرابية، والصيغ، والأبنية، والأصوات يؤدي ذلك كله إلى تغيير في المعنى، وهذا ما دعا إلى أن يدرّس علم المعاني في النحو لا في البلاغة، كما دعا إلى ذلك المرحوم الأستاذ الدكتور تمام حسان[٢٦].

وتعليم النحو يجري من خلال النصوص، إذ إن النص تُعلَّمُ من خلاله مهارات اللغة الستّ: الاستماع، والمحادثة، والحوار، والقراءة، والتعبير، والتذوق الأدبي.

(٢٦) الدكتور محمود أحمد السيّد - طرائق تدريس اللغة العربية٢ - منشورات جامعة دمشق - كلية التربية ٢٠١٧ ص٣٨.

٣- تطوير طرائق التدريس:

سبقت الإشارة إلى ضرورة الانتقال في العملية التعليمية التعلمية من التعليم إلى التعلم، وإكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي في منأى عن الطرائق الإلقائية والتلقينية، إذ إن تعويد المتعلمين البحثَ عن مصادر التعلم المتعددة في عصر العلوم والتقانة بات من الأهمية بمكان؛ ليكونوا إيجابيين وفعَّالين لا سلبيين ومنفعلين، ذلك أن الطريقة التنقيبية في العملية التعليمية التعلمية، وتوفير البرامج التفاعلية في ظلال التدفق المعرفي، وتنوع مصادر التعلم، كل ذلك يعد من مسؤولية المعلمين، ومدرسي التعليم العالي، على أن تركز أدوارهم على تهيئة البيئة، والظروف المناسبة أمام الدارس؛ لكي يقوم بالدور الأساسي في تعليم ذاته، ذلك لأن عصر التدفق المعرفي، والانتشار الثقافي الخاطف يفرض تبني مبدأ التعلم الذاتي الذي هو أساسي للتعلم المستمر مدى الحياة، مواكبة لروح العصر، وانسجاماً مع متطلباته.

ولما كان العصر الذي نحيا تحت ظلاله هو عصر العلوم والتقانة كان على المعلمين في مراحل التعليم العام، وعلى أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات أن يستعملوا وسائل الإيضاح، وأجهزة التقانة الحديثة في تعليم اللغة وتعلمها، لأن لها دوراً كبيراً في النهوض باللغة والارتقاء بها، إذ إنها تقرّب المفاهيم، وتربط بين الرمز والواقع، وتنقل الواقع مصوراً، أو مسموعاً، أو ملموساً، وإذا ربط المدرس بين اللغة والواقع في التعليم كان أقدر على تربية مشاعر طلابه، وصقلها في جو من الصدق والأمانة.

ويحتاج المعلمون والمدرسون في أثناء تعليمهم إلى وسائل تعليمية عدة مساعدة من المراجع والمصادر، والمجلات والصحف، والوثائق، والسجلات، والصور المتحركة، واللوحات المصورة، والتسجيلات الصوتية،

والرسوم، والأشكال، والشرائح، والشفافيات، والنماذج، والمجسمات... إلخ. ويحتاجون أيضاً إلى توظيف أجهزة الحاسوب، والشابكة، والبريد الإلكتروني، والمسجلات، والمخابر اللغوية في عملهم التعليمي التعلمي، بحيث تكون البرامج التي يضعونها تفاعلية ترسخ مهارات التعلم الذاتي لدى المتعلمين، وتيسِّر العملية التعليمية التعلمية عن بُعد. وها هي ذي الجامعة الافتراضية خير دليل على الإسهام في تحقيق الأهداف المرسومة للتعليم عن بعد بوساطة الأجهزة التقانية الحديثة، وغدا دور المعلم ميسراً، وموجهاً للتعليم، وظهر مصطلح تقانة التعليم، أو تقنيات التعليم بعد ازدهار حركة الأهداف السلوكية، والتعليم المبرمج، واستخدام مفهوم أسلوب النظم للمساعدة على تنظيم العملية التعليمية التعلمية، وهو مفهوم شامل، ومتكامل، وتتبادل مكوناته التأثير والتأثر فيما بينها في ضوء المفهوم المنظومي[٢٧].

ومع ظهور التعليم المبرمج، والتعلم الذاتي تعددت الوسائل التقانية من حواسيب، ومختبرات لغوية، وشابكة (إنترنت)، وناسوخ، ورزم تعليمية، وفيديو تفاعلي، ونشر إلكتروني... إلخ.

ويتبوأ التعليم الإلكتروني مكانة كبيرة في الحياة المعاصرة، لأنه يستخدم تقنيات المعلومات، والشابكة، والحاسوب في تدعيم العملية التعليمية التعلمية. وبعد أن كان ينظر إلى التقانة على أنها مجموعة من الوسائل والأدوات التي يُستعانُ بها في العملية التعليمية التعلمية، أضحى ينظر إليها على أنها قلب هذه العملية، وأنها تعمل على تطوير هذه العملية على أساس من التصميم المدروس الذي تخضع له كل خطوة من الخطوات

(٢٧) الدكتور محمود أحمد السيّد - قضايا راهنة للغة العربية - الهيئة العامة السورية للكتاب بوزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦ ص١٥٣.

المؤدية إلى تحقيق الأهداف المرجوة، بحيث تكون هذه الوسائل والطرائق المصاحبة لها متمشية مع المتعلمين، وعاملة على الوصول إلى الأهداف بأيسر وقت، وأقل جهد.

وغنيٌّ عن البيان أن الوسائل تجذب انتباه المتعلمين، وتجعلهم ينفعلون بالخبرة، ويتفاعلون معها، وهي تخاطب الحواس، مما يزيد قدرة المتعلمين على التفكير، وحل المشكلات، والربط بين الكلمات، والأشياء، والمواقف الجديدة، وهذا يكوّن معيناً ثراً للتعبير اللغوي فيما بعد، وهي إلى ذلك تتغلب على الهدر في الإنفاق، والوقت، والجهد المبذول في الطرائق التقليدية(٢٨).

وتجدر الإشارة إلى أن التعليم الإلكتروني لا يلغي دور المعلم، بل على العكس يعزز دوره، ويجعله أكثر فعالية واقتداراً في المواقف التعليمية التعلمية؛ «إذ إنه يسهم في تنمية التفكير، ويساعد المتعلمين على الاستقلالية، والاعتماد على النفس، ويوفر التعليم في أي وقت، وأي مكان وفقاً لمقدرة المتعلم على التحصيل، ويساعد المتعلم على الإدلاء برأيه في أي وقت، ودون حرج، ويزيد من فعاليته وحواره ومناقشته»(٢٩).

٤- تنويع أساليب التقويم:

لما كان التقويم ركناً أساسيًّا في المنهج التربوي، وكان تطوير المناهج وتحديثها يقتضي تطوير جميع أركانه، تطلب ذلك تنويع أساليب التقويم، وعودة الامتحانات الشفهية إلى تقويم الأداء، وعدم الاقتصار في التقويم على المستوى الأول من مستويات المعرفة، بل أن يشمل التقويم أيضاً الفهم، والشرح، والتحليل، والتعليل، والاستنتاج، والتطبيق، والموازنة، والنقد، وإبداء وجهات النظر...إلخ.

(٢٨) المرجع السابق ص١٦١.

(٢٩) المرجع السابق ص١٩٠.

ويقتضي تطوير أنواع التقويم عودة الأسئلة المقالية إلى امتحانات اللغة العربية، وعدم الاقتصار على الأسئلة المؤتمتة.

تلك هي بعض صُوَى على دروب النهوض بالواقع اللغوي والارتقاء به، وآمل أن ترى هذه الصوى التنفيذ الجاد، وألا تكون على غرار أخوات لها سبقت على النحو الذي أشار إليه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين عندما قال:

«ما أكثرَ ما نتحدث عن هذه اللغة العربية الفصحى! وما أكثر ما نعلن اعتزازنا بها، واعتدادنا بتراثها، وحرصنا عليها، وعلى تراثها العظيم! ويقيننا أنها أساس وحدتنا، وهي العروة التي تجمع بين العرب على اختلاف أوطانهم وتباعدها، والعروة التي لا انفصام لها، نتحدث عن هذا فنكثر الحديث، ونقول في هذا فنطيل القول، ونملأ به أفواهنا، وتطمئن إليه قلوبنا، وتثور له نفوسنا، وإذا نحن نفيض له أملاً وإيماناً وثقة ويقيناً، فإذا فرغنا من هذا كله، وثُبنا إلى نفوسنا، أو ثابت إلينا نفوسنا، وهدأت عنا الحماسة، اكتفينا بما قلنا، وبما سمعنا، وبما صفقنا، وبما صِحْنا، ثم لم نكد نصنع شيئاً»(٣٠).

رحمك الله يا عميدنا الكبير، فلقد صورت حالنا في ندواتنا، ومؤتمراتنا، وكان تصويرك بليغاً، ورحم الله أستاذنا المرحوم الفقيه التربوي الأستاذ الدكتور حامد عمّار الذي طالما ردّد: «ندوات ومؤتمرات، ولكنها قليلة البركات». آمل أن يكون في مؤتمرنا كل الخير، وأن تشق توصياتنا ومقترحاتنا طريقها إلى الإنفاذ، والله وليُّ التوفيق.

* * *

(٣٠) الدكتور طه حسين – يسروا النحو والكتابة – مجلة الآداب – السنة ٤ العدد ١١.

المصادر والمراجع

- أمين الخولي – محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية – معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٥٨.
- الدكتور حسام الخطيب – اتحاد المعلمين العرب في مؤتمره التاسع بالخرطوم ١٩٧٦.
- الدكتور رشدي أحمد طعيمة – وضع قياس للتذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية – رسالة ماجستير – كلية التربية بجامعة عين شمس ١٩٧١.
- الدكتور طه حسين – في الأدب الجاهلي – دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٣٨.
- الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» – لغتنا والحياة – دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٧١.
- الدكتور عباس حسن – اللغة والنحو بين القديم والحديث – دار المعارف – القاهرة ١٩٧٦.
- الدكتور عبد الصبور شاهين – ديوجين مصباح الفكر – العدد الرابع والثلاثون – السنة العاشرة ١٩٧٦.
- الدكتور محمود أحمد السيّد – تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٨٧.
- الدكتور محمود أحمد السيّد – تعليم اللغة بين الواقع والطموح – دار طلاس – دمشق ١٩٨٨.

- الـدكتور محمـود أحمـد السـيّد – طرائـق تـدريس اللغـة العربيـة ٢ – منشورات جامعة دمشق ٢٠١٧.
- الـدكتور محمـود السـيد – فـي الأداء اللغـوي – وزارة الثقافـة السـورية دمشق ٢٠٠٥.
- الـدكتور محمـود أحمـد السـيّد – فـي قضـايا اللغـة التربويـة – وكالـة المطبوعات بالكويت ودار القلم بلبنان ١٩٧٨.
- الدكتور محمود أحمد السيّد – قضايا راهنة للغة العربيـة – الهيئـة العامـة السورية للكتاب بوزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٦.
- الدكتور مهدي المخزومي – نحـو لغـة عربيـة سـليمة – وزارة الثقافـة – العراق – بغداد ١٩٧٨.
- الدكتورة نعيمة عيد – حلقـة تعلـيم اللغـات الأجنبيـة فـي التعلـيم العـام والفني في البلاد العربية – دمشق ١٩٧٤.
- الدكتور هادي نهر – أشغال ندوة اللسـانيات واللغـة العربيـة – الجامعـة التونسية– تونس ١٩٧٨.
- Jane H Stronge Qualitées of electives teachers 2007, 2d edition ASCD (1) Publication USA.
- Pierre Clarac- L'enseignement du français- presse universitaires de France- Paris 1969.
- R.L.Lyman. Summary of investigations relation to grammar language and composition supplementory. Education monographs u Chicagos-illinois P.13.

❊ ❊ ❊

تكملة مادة لغوية

أ. د. ممدوح محمد خسارة(*)

(١٨)(**)

أَمِن

ورد في المعاجم العربية القديمة، ممثَّلة بتاج العروس للزبيدي، من هذه المادة نحو (٣٨) ثمانية وثلاثين مَدْخَلاً، تضمَّنَت نحو (٤٤) أربعة وأربعين معنى، ومنها:

- **الأَمْن**: ضد الخَوْف.
- **الأَمِن**: المستجير.
- **الإيمان**: التصديق.
- **الأُمَّان**: من به ثقَة.
- **الأَمَّان**: مَنْ لا يكتب كأنه أمّي.
- **أَمَّن**: قال: آمين.
- **الأَمُون**: الناقة الوثيقة الخَلْق.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(**) سلسلة دراسات تبحث في الكلمات المستجدَّة في العربية، بناء أو دلالة أو هما معاً، وتقترح إضافتها إلى المعجم العربي المُحَدَّث.

وورد في المعاجم المعاصرة، ممثَّلة بالمعجم الكبير لمجمع القاهرة، من هذه المادة نحو (٣٦) ستة وثلاثين مدخلاً، تتضمَّن نحو (٦٠) ستين معنى، ومنها:

- **أَمَّن على الشيء**: تعاقد مع شركة تأمين على أن تعوِّضه عمَّا يصيب الشيءَ من ضرر خلال مدَّة معيَّنة، لقاء قسط التأمين الذي يُدْفع إلى الشركة مقدَّماً.
- **أمَّن الشيءَ**: جَعَلَهُ في أَمْن.
- **الائتمان**: إقراض المال.
- **الأمانة العامة**: وظيفة أساسية في المنظمات الدولية والهيئات العامَّة، ولها اختصاصات أو سلطات إدارية أو فنية أو سياسية مقررة في القوانين واللوائح أو التقاليد الخاصة بهذه الهيئات.
- **الأمين العام**: من يتولَّى وظيفة الأمانة العامة.
- **مجلس الأَمْن**: المجلس الذي نصَّ ميثاق هيئة الأمم المتحدة على تأليفه إلى جانب الهيئة العامة، ومهمته الفصل في المنازعات السياسية بين الأمم، وبخاصة ما يهدّد السلام العالمي.
- **التَّأمين**: عقد يتعهد فيه المؤمِّن للمستأمِن بدفع مبلغ من المال إليه أو إلى ثالث. عند تحقُّق خطر معيَّن، أو بعد مرور أَجَلٍ محدَّد، لقاء مالٍ يدفعه المستأمن.
- **التأمينات الاجتماعية**: تأمين العمال من خَطَر المرض أو العجز أو الشيخوخة.
- وفيه لا يدفع المستأمنون إلا جزءاً من قسط التأمين، ويتحمل القسط الثاني رب العمل أو الدولة.

ويُلحَظُ أن المعجم العربي المعاصر قد أدخل عدداً كبيراً من المداخل الجديدة لمعانٍ جَدَّت وذاعت في الاستعمال اللغوي، فهو مرآة للغة العربية في عصره، كما كان تاج العروس مرآة لعصره.

ومع ذلك فثمَّة ما يزيد على عشرين مدخلاً تضم نحو خمسة وعشرين معنى فاتَت المعجم الكبير الذي طبع قبل عقدين من الزمان، لا يمكن أن يستغني عنها المعجم العربي المحدَّث، علماً بأن بعض المعاجم المعاصرة القيِّمة غير المجمعية قد أوردت بعضاً منها. **وتكملة المعجم العربي لمادة (أمن) تقضي بإدخال الكلمات والعبارات المقترحة الآتية:**

١- **أمَّن**: بمعنى (وفَّر)، يقال: (أمَّن التعليمَ لأبنائه، أو أمَّن الفندق الراحةَ لنزلائه).

٢- **أمَّن السِّلاح**: أي جعله في وضعيَّة آليَّة تمنع انطلاق النار منه بدون عَمْد. يقال: (أمِّن البندقية قبل تنكُّبها).

٣- **أمَّن المدينة أو المنْشأة**: هيّأ لها الوسائل البشرية والماديَّة التي تجعلها محميَّة من أي اعتداء أو تخريب.

٤- **التأمين على الحياة**: عقد يلتزم أحد طرفيه، وهو المؤمِّن، للطرف الآخر، وهو المؤمَّن عليه أو المُسْتَأْمِن، أداء ما يُتَّفق عليه من مالٍ، عند وقوع الوفاة في خلال زمن التأمين.

٥- **التأمين الصحِّي**: عقد يلتزم أحد طرفيه، وهو المؤمِّن، للطرف الآخر، وهو المؤمَّن أو المستأمِن، أداء نفقات المَرض والعلاج بنسبة متفَّق عليها بين الطرفين.

٦- **التأمين الشَّامل**: هو عقْد تأمين ضد جميع الأخطار التي تتعرَّض لها الممتلكات من سرقة أو تخريب...

٧- **التـأمين الإلزامـيّ**: عقـد تُلْـزِم بـه القـوانين، لحفـظ حقـوق المتضرِّرين مباشرة دون اللجوء إلى القضـاء، وغالبـاً مـا يكـون هذا النوع من التأمين على السيارات ووسائط النقل الأخرى.

٨- **التأمين النَّوعيّ**: هو عقد تأمين على الأشياء ضد مخاطر محـدَّدة كالسرقة أو الحريق أو سلامة عضو مـن الجسـم بعينـه، كتـأمين الرِّجل للاعب كرة القدم.

٩- **شركة تأمين**: مؤسَّسةٌ يتعاقد معها أفراد أو مؤسسات لتعويضـهم عما يلحق بهم من أضرارٍ، خلال مُدَّة معيَّنة، مقابـل مبلـغ مـاليّ يؤدِّيه إليها المُؤَمِّن أو المُسْتَأْمِن.

١٠- **الأَمن**: الأجهزة التي تتولَّى حماية الدولة ونظامها، يُقَال: (راجع الأَمْن خلال يومين) أو (اعتقله الأَمْن).

ويتفرع على هذا المدخل ما يلي:

- **الأمن السياسيّ**: إدارة في الدولة، تتبع وزارة الداخليـة غالبـاً، مهمتهـا متابعـة ومراقبـة المنظمـات والأحـزاب والأفـراد العاملين في حقل السياسة.
- **الأَمْن العسكري**: إدارة في الدولة، تتبـع وزارة الـدفاع غالبـاً، مهمتها متابعة الأمور المتعلقة بحماية القوات المسـلَّحة مـن أعمال التجسّس أو التخريب..
- **الأمن الغذائي**: الحالة التي يكون فيها البلد مكتفياً أو شبه مكتـفٍ بإنتاج حاجاته الغذائية كالحبوب واللحوم والزيوت، من أرضه.
- **الأَمْن المائي**: الحالة التي يكون فيها البلد مكتفيـاً أو شـبه مكتـفٍ بحاجاته من مياه الشرب أو سقي الزرع، من أنهاره أو سدوده..

- **الأَمْـن الثقـافي**: حالـةٌ تكـون فيهـا لغـة الأمـة وحضـارتها ومكوّناتها الثقافية وقِيمِها بمنجًى مـن تـأثير ثقافـات أجنبيَّـة دخيلة تحرفها أو تغيِّرها، أو تتسَيَّدها.
- **رجُل الأَمْن**: الشرطيُّ أو الدركيُّ.

: العامل في جهاز أمنٍ في الدولة.

- **الأَمْن القومي**: تـأمين كيـان الدولـة وأُمَّتهـا ضـدَّ الأخطـار أو العدوان الخارجيَّيْن، يقال: (أَمْن فلسطين من أمننا القومي).
- **الأَمْن الصـناعي**: الإجـراءات والتعليمـات الواجـب اتباعهـا لمنع وقوع الحوادث المؤذية أو القاتلة، للعمَّال والفَنِّيِّين فـي منشأة صـناعية، كحـوادث الصَّـعق الكهربـائي، أو استنشـاق مواد سامَّة، أو الجروح...

١١- **أمين السر**: موظَّف مُكَلَّف بضبط الأمور الإدارية والمكتبيَّـة فـي إدارة أو جهة أو هيئة..

١٢- **أمين المكْتبة**: القيِّم على شؤون المكتبة في جهة أو مؤسَّسة.

١٣- **أمـين الجمـرك**: مُوَظَّـف كبيـر فـي مديريـة الجمـارك، يـرأس مجموعـة مـوظّفي الجمـارك فـي منطقـة جمركيـة هـي مَعْبَـر حدوديٌّ، ويدير شؤونها، يقال: (أمين جُمْرُك المطار..).

١٤- **شَبَكة أمان**: مجموعة الإجراءات الماديَّة والتقانيـة التـي تنشـئها مؤسسة كبرى ونحوها، لحمايتها مـن الاعتـداء أو التخريـب أو قَرْصنة معلوماتها.

١٥- **مَجْلس الأمناء**: هيئـة استشـارية مـن ذوي الخبـرة تشـرف علـى مؤسَّسة جامعية أو جائزة عالميَّة.

١٦- **مسْتَوْدع الأمانات**: حُجْرة في مراكز النقل أو المحطات أو المطارات، تُحْفَظ فيها الأشياء التي لم يتَسَلَّمْها أصحابها إلى حين المطالبة بها.

١٧- **التأمينات الأوليّة**: مبلغ من المال يؤدِّيه المقاوِل أو المتعهِّد الذي يرغب بالمشاركة في مناقصة أو مزايدة، ضماناً لجديِّة مشاركته، ويعاد إليه عند الخروج منهما.

١٨- **التأمينات النهائية**: مبلغ من المال بنسبة محدَّدة من قيمة المقاولة أو التعهّد، يؤديه المقاول المشارك في مناقصة بعد رُسُوّ المناقصة عليه، ضماناً لالتزامه بشروط عقدها.

١٩- **مأمون العواقب**: لا يتأتَّى على فعله أو استعماله أي خَطَر أو ضَررٍ، يقال: (هذا الدواء مأمون العواقب).

٢٠- **أمانة في العُنق**: التزامٌ خُلقيّ طوعيّ، لحفظ شيء وصَوْنه، يقال: (استقلال الوطن أمانة في أعناق أبنائه)، أو: (لغتنا أمانة في أعناقنا).

٢١- **اللَّا أَمْن**: حالة من الخوف والفزع تسيطر على الأفراد؛ أو الفوضى والاضطراب.

٢٢- **الإيمانيَّات**: عقائد ومبادئ يعتنقها الشخص، روحانية غالباً، الواحدة منها (إيمانية).

٢٣- **حِزام الأمان**: نطاق متين في كرسي الطائرة أو السيارة يُشَدُّ على الجسم، فيخفِّف من أثر الصدمات على الشخص عند وقوع الحوادث.

* * *

تكملة مادة لغوية

(١٩)
أَمَر

ما ورد من هذه المادة في المعاجم القديمة ممثلة بتاج العروس، نحو (٥٤) أربعة وخمسين مدخلاً، تضمنت أكثر من ثمانين معنى، ومنها:

- **الأَمْر**: ضد النَّهي.
- **آمَرَه**: أَمَرَه.
- **الآمِرَة**: مصدر أَمَرَ (على وزن فاعِلة).
- **الإمرة**: الإمارة.
- **الأمير**: المشاوِر.
- **المؤْتمِر**: المستبدُّ برأيه.
- **الآمِر**: الرجل المبارَك.
- **الإمَّرة**: الذي لا رأي له.
- **الإمَّرة**: صغار الضأن والمعز.
- **المؤامرة**: المشاورة.
- **الأَمَرة**: العلامة.
- **الأَمار**: الموعد المحدَّد.

وما ورد في المعاجم المعاصرة ممثلة بالمعجم الكبير من هذه المادة نحو (٦٨) ثمانية وستين مدخلاً، تضمَّنت نحو (١١٦) مئة وستة عشر معنى، ومنها:

- **المؤامرة**: اتفاق جنائي بين شخصين أو أكثر.
- **المُؤْتَمر**: مُجتَمع للتشاور.
- **المأموريَّة**: المهمة الوقتيَّة التي يقوم بها الموظَّف.
- **الأميري**: الحُكوميّ.
- **الاستئمارة**: مثال مطبوع يتطلب بيانات خاصة، والعامة يقولون: (استمارة).
- **الإمارة**: منطقة يحكمها أمير.
- **تآمر القوم**: تشاوروا في الإيذاء.

ويلحظ أن ما ورد في المعجم الكبير دليل على التطور الدلالي الواسع الذي اغتنت به اللغة العربية المعاصرة.

وعلى ما ورد في المعاجم من وفرة هذه المادة، ثمة مداخل تُقْتَرَح لتكملة هذه المادة، وهي:

١- **آمِر الصَّرف**: الموظف الإداري المُخَوَّل عقد النفقة في إدارة أو هيئة ونحوهما، ويكون هو الأعلى رتبةً وظيفية فيها.

٢- **الآمِريَّة: ولها معنيان:**

- مجموعة القيادة لسلاحٍ من أسلحة الجيش، يقال: (آمِريَّة القوى الجويَّة).
- المبنى الذي تتخذه قيادة سلاحٍ من أسلحة الجيش مقرًّا لها. ومثلها (القيادة)، إذ تطلق على مجموعة الضباط الكبار لوحدة أو وحدات عسكرية، وعلى المقرّ أو المبنى الذي يعملون فيه.

٣- **الأَمْر الواقع**: الشيء الذي حصل ووقَع، ولا يمكن التغاضي عنه أو عن نتائجه ومستلزماته، يقال: (صار الحصار أمراً واقعاً).

٤- **المُتآمِر**: المشارك في مؤامرة، أو القائم بالمؤامرة.

٥- **الأَمْر**: القرار. يقال: (أَمْرٌ عسكري، أمْر رئاسيّ).

٦- **الأمْر، وجمعه أمور**: الحال، يقال: (ليست أموره على ما يُرام).

٧- **الأَمْر**: الحادثة، يقال: (وقع له أمْرٌ منعه من الحضور).

٨- **أَمْر قضائيّ**: تكليف يَسْمَح بموجبه القاضي للشرطة بالقيام بالتفتيش، أو إلقاء القبض، أو تنفيذ الحكم.

٩- **أَمْر إداريّ**: قرار يصدره مديرٌ أو مَنْ بمنزلته، وليس له قوَّة القانون. يقال: (وُزِّع العمل على الموظفين بموجب أمرٍ إداري).

١٠- **المؤتمَر العام**: مجتمع للتشاور بين أعداد كبيرة من ممثِّلي وحدات تنظيمية أدنى في هيئة. يقال: (المؤتمر العام لنقابات العمال).وهو أعلى سلطة في الهيئة.

١١- **مرسوم أميريّ**: قرار يصدره أمير بَلَدٍ، ويعدل المرسوم الجمهوري في الأنظمة الجمهورية.

١٢- **المؤتمر الصَّحفيّ**: اجتماع لعدد من ممثلي وسائل الإعلام للاستماع إلى بيانات أو تصريحات رسميَّة، والاستفسار عنها.

١٣- **الاستِمارة**: مثال مطبوع يتطلب بيانات خاصة. وقد أوردها المعجم الكبير، وقال: إنها من كلام العامَّة. ولكننا نرى أنها من كلام العامة والخاصة؛ لأنها كلمة صحيحة. وثمة قرار في مجمع اللغة العربية بدمشق بصحة استعمالها.

١٤- **مؤتمر قِمَّة**: مجتمع تشاوريّ على مستوى رؤساء الدول أو من يمثِّلهم.

١٥- **أمْران**: مثنّى أمر، أي: (خياران)، يقال: (هما أمران أحلاهما مُرٌّ).

١٦- **تحت أَمْرك**: في خِدْمتك، يقال: (أنا تحت أمرك).

تكملة مادة لغوية

(٢٠)
حدَث

ما ورد من هذا الجذر في المعاجم القديمة نحو سبعة وعشرين مدخلاً تتضَمَّن نحو خمسة وثلاثين معنى، ومنها:

- **حَدَث**: حَدَث الأمرُ: وَقَع.
- **الحديث**: نقيض القديم، الجديد، الخَبَر.
- **الحَدَث**: شبه النازلة، الأمر الحادث المنكر.
  : الفتيُّ السِّنّ الشاب.
- **المُحَدَّث**: الصادق المُلْهَم.
- **الحَدُثُ والحَدِث**: الحسن الحديث.
- **أَحْدَث**: ابتدأ الشيء وابتدعه. زنى..
- **المُحادَثة**: جِلاء السَّيْف.
- **الأحداث**: الأمطار الحادثة أوَّل السنة.
- **المُحْدِث**: الحديثة النتائج من النِّياق ونحوها.

وكلها مما كان يحتاج إليه المجتمع في عصرها.

وقد استدركت المعاجم العربية المعاصرة ممثلة بالمعجم الكبير لمجمع القاهرة، مداخل جديدة بلغت اثنين وثلاثين مدخلاً تضمَّنت نحو اثنين وخمسين معنى، لتلبية ما يحتاج إليه المجتمع المعاصر، ومنها:

- **حَدَث**: جَدَّ، كان بعد أن لم يكن.
- **حادَثَ فلاناً**: كالَمَه.
- **حدَّث = حدَّث وسائل الإنتاج**: جعَلَها حديثة.
- **المحادَثات**: المناقشات وتبادل الآراء.
- **المُحْدِث**: المجدِّد في الأدب والعلم والفن.

إلا أن ثمة نحو عشرين مدخلاً يقترح إضافتها إلى المعجم العربي المحدَّث، وهي:

١- **حَدَّث**: طَوَّر الشيء أو عَدَّله وجَوَّده، يقال: (حَدَّث مناهج التعليم، حَدَّث برامج الحاسوب أو الجوَّال).والمصدر منه (تحديث) واسم الفاعل (محدِّث) واسم المفعول (مُحَدَّث)، وهو المُطَوَّر والمحسَّن.

٢- **حديثاً**: منذ أمدٍ قريب، يقال: (صدر حديثاً معجم للرياضيات).

٣- **الحَدَاثة**: نقيض القَدامة، المعاصرة.

٤- **اللَّاحَداثة**: القَدامة، والإعراض عما هو جديد من الأفكار.

٥- **ما بعد الحدَاثة**: النظريات الأدبية والفنية التي تجاوزت نظريات الحداثة، وأطلقت على الحركة الفكرية بعد الحرب العالمية الثانية.

٦- **الحَداثويَّة**: نسبة إلى الحداثة، أو مصدر صناعي منها، على غير قياس.

٧- **الحَداثيّ**: من يُؤْمن بالحركات والأفكار الجديدة الرامية إلى الإصلاح والتطوير إلى الأفضل.

٨- **العَصْر الحديث**: الزَّمن اللاحق للعصور الوسطى، ويحدّد بدؤه - غالباً - بفتح القسطنطينية (١٤٥٣)م.

٩- **الحَدَث**: الأمر الذي وقع، إيجابيًّا كان أم سلبيًّا، يقال: (ينتظر

الزوجان حدثاً سعيداً) يعنون به ولادة طِفل. ويقال: (كان فقد الشاب حدَثاً مؤلماً).

١٠- **الحادِث**: أمرٌ وقع ذو أَثَرٍ سلبي غالباً، كاصطدام أو انهدام أو موت.. يقال: (حادِث مرور)، أو (حادِث انتحار..) والحادث في المعاجم هو النائبة من نوائب الدهر. ولا يستعمل المعاصرون هذه الكلمة للتعبير عن مصيبة كبيرة.

١١- **المُحْدَثون**: المُعاصرون. وذكر المعجم الكبير أن المحدثين من الشعراء هم الذين واكبوا عصر النهضة الحديثة مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر مثل شوقي والعقَّاد. ونرى ألا تقيَّد صفة المحدثين بعصر معيَّن، بل بالمعاصرة، لأن الحداثة والمعاصرة نسبيَّتان.

١٢- **المُحادَثة الهاتفية**: تبادل الكلام عبر الهاتف.

١٣- **المحادَثات**: المُفاوضات بين طرفين حول أمر.

١٤- **المُتَحِّدث الرسميّ**: الشخص المخوَّل بالإدلاء بتصريحات أو بياناتٍ، نيابةً عن جهة حكومية أو هيئة سياسية أو مؤسسة كبرى. ويقال له أيضاً: (الناطِق الرَّسْميّ).

١٥- **حديث السَّاعة**: الخبر المتداول المنتشر بين الناس في وقت واحد، يَلْهجون به ويُعَلِّقون عليه. يقال: (صار الهبوط على القمر حديث الساعة).

١٦- **حديث الرُّكْبان**: الأخبار التي يتناقلها الناس حول أمر جليل وَقَع، يقال: (كانت نكبة فلسطين حديث الرُّكبان في زمنها).

١٧- **حديث النّعمة**: مَنِ اغتنى من أمدٍ قريب، فأساء التصرُّف بتلك النعمة، وذكرت المعاجم السابقة هذه الدلالة بعبارة (مُحْدَث النِّعمة).

١٨- **مَسْرَح الأحداث**: المكان الذي وقعت فيه الأحداث، يقال: (ننقل إليكم الأخبار والمشاهد من مسرح الأحداث). ويقال أيضاً: (مَسْرَح الجريمة، ومَسْرَح العَمليَّات).

١٩- **الإحداثيات**: جمع (إحداثية)، وهي موقع مكان أو نقطة على الكرة الأرضية، محدَّداً بحسب درجات الطول والعرض وأجزائها. يقال: (حدَّد الجيش إحداثيات مخازن أسلحة العدوّ)، أو (حدَّد القمر الصناعي إحداثيات موقع سقوط الطائرة).

٢٠- **إصلاحية أَحْداث**: مؤسَّسة قضائية تربوية مهمتها إصلاح الجانحين من الفتيان دون السن القانونية، وذلك بتعليمهم أو تدريبهم على حرفةٍ لإعادة تأهيلهم للحياة العامة.

* * *

تكملة مادة لغوية

(٢١)
وصَل

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: «الواو والصاد واللام أَصْلٌ واحد، يدلُّ على ضمِّ شيء إلى آخر حتى يعلقه».

ولكن هذا الأصل الواحد تشعَّبت منه عشرات المداخل والمعاني، وصار بعضها من أكثر الكلمات تداولاً في العصر الحديث.

حَفَل معجم تاج العروس نموذجاً للمعاجم القديمة بنحو (٤٤) أربعة

وأربعين مدخلاً، تتضمَّن نحو ستين معنى، ممَّا كان يلبي حاجة القدماء من هذه المادة اللغوية، ومنها:

- **وصَلَ الشيءَ بالشيءِ... ووصَّلَه**: لأَمَه، وهو ضد فَصَله.
- **وَصَل الشيءَ وإليه وصولاً**: بلَغَه وانتهى إليه[1].
- **وصَلَ**: دعا دَعْوى الجاهلية، كقوله: يالَتميم أو يالَقريش...
- **الواصِلة**: المرأة تصل شعرها بشعر غيرها، البغيّ.
- **الأوصال**: المفاصل.
- **وَصَّال قطَّاع**: الكثير الحِيل والتدبير.
- **المَوْصِل**: مَعْقِد الحبل.
  : المَفْصِل.
  : المَوْت.
- **الوصِيلة**: الرُّفْقة في السفر.
  : الأرض الواسعة البعيدة.
  : الناقة التي ولدت عشرة أَبْطن.
  : السَّيف.
- **اليَأْصول**: الأَصْل.
- **المُوتَصِلة**: النبل التي تصل إلى العدو، في لغة قريش، وفي غيرها (المُتَّصلة).

وقد أورد المعجم الوسيط لمجمع القاهرة، نموذجاً للمعاجم الحديثة، نحو (٣٣) ثلاثة وثلاثين مدخلاً، تضم نحو (٥٠) خمسين معنى، وبعضها مداخل جديدة من اللغة المعاصرة واللغة العلمية، ومنها:

---

(١) وفي هذا ردٌّ على من كان يخطِّئ قول بعضهم: (وَصَله) بمعنى: بلغه، ويرى أن الصحيح هو (وصل إليه)، لأن (وَصَلَه) المتعدي يعني: أعطاه مالاً ونحوه فحسْب.

- **وصَل وَصْلاً**: دعا وصَلَّى.
- **وَصَّل الشيء بالشيء**: أكْثَر من وَصْلِه.
- **الإيصال**: خطٌّ يُعطاه مَنْ أدَّى مالاً ونحوه إلى غيره.
- **المُوَصِّلات**: الأجسام التي تنتقل خلالها الكهربائية.
- **الوصيل**: من يدخل ويخرج مع آخر، لا يكاد يفارقه.

ولكن التداول اللغوي خلال نصف قرن بعد طباعة المعجم الوسيط أدخل إلى اللغة العربية كلمات كثيرة بلغت أكثر من خمسة وعشرين مدخلاً، ذكرَتْ بعضَها معاجم معاصرة قيِّمة أَخَذْنا منها.

والمداخل الجديدة المقترحة هي:

١- **وصَل به الأمر إلى كذا**: أدَّى به إليه وتمادى فيه، يقال: (وَصَل به الأمْرُ إلى أن يرتكب جريمة).
٢- **وَصَل إلى بَرِّ الأمان أو شاطئ الأمان**: نجا من الخطَر.
٣- **وَصَلت الرسالة**: فُهِم مضمون قولٍ أو مُمارَسَةٍ، وعُلِم المُراد منهما.
٤- **أَوْصَله إلى كذا وَوَصَّله**: سار معه ورافقه إلى حيث يقصد، يقال: (أوصَلْت ضيفي إلى المطار).
٥- **أَوْصَل الرِّسالة**: نجح في إفهام مضمون خطاب أو كلام مرسل إلى جهة معيَّنة.
٦- **أَوْصل الشيء ووَصَّله**: أنهاه إلى صاحبه وأبلغه إياه.
٧- **اتَّصل بفلانٍ**: خاطبه بواسطة الهاتف.
٨- **اتَّصل البناء بالبناء**: التصقا متجاوِرَيْن.
٩- **وَصَّل الكهرباء أو الماء ونحوهما**: زوَّد وغَذَّى منطقة أو جهازاً بالطاقة الكهربائية، أو بمياه الشرب والرَّي، يقال: (وَصَّلت الدولة الكهرباء إلى أبعد قرية).

١٠- **تواصَل العَمَل**: تتابَع، يقال: (تواصل العمل في المشروع ليل نهار).

١١- **تواصَل**: اتَّصل بالآخرين بواسطة الهاتف أو البريد أو عَبْر الشابكة. ومصدره (التَّواصل).

١٢- **وسائل التواصل الاجتماعي أو وسائطه**: طرائق الاتصال بين الناس عَبْر الشابكة باستخدام برامج اتصالات تقانية عالمية، كالواجهات (فسبوك) والتغريدات (تويتر) والوسمات (هَشْتاغ).. يقال: (حرَّكت وسائل التواصل الاجتماعي الجماهير).

١٣- **الواصِل**: النَّافذ ذو العلاقات بأصحاب السُّلطة، يقال: (هو رجل واصِل).

١٤- **الواصِل**: جهاز ينقل الحركة من جزء إلى آخر في المحرِّك، بطريقة تعشيق مُسَنَّنات ويسميه بعضهم (الفاصل واصل)، لأنه يُوصِل الحركة ويفصلها بحسب الحاجة.

١٥- **الاتِّصال**: محادثة هاتفية بين شخصين، يقال: (تلقَّيْتُ منه اتِّصالاً).

١٦- **الاتصال المباشَر**: اللقاء أو التحادث وجهاً لوجه، من دون وسيط.

١٧- **الإيصال والوَصْل**: وثيقة تثبت أداء مبلغ من المال.

١٨- **وَصْل أمانة**: وثيقة تثبت وديعةً مالية عند شخص، يتوجب عليه أداؤها عند الطلب مباشرة. ويقال أيضاً: سَنَد أمانة. وهي تختلف عن الدَّين من الناحية القانونية.

١٩- **المُوصِل = مَعْدِنٌ مُوصِل**: معدن قابل لنقل الحرارة أو الكهرباء.

٢٠- **الإيصالية**: خاصِّيَّة نقل الحرارة أو الكهرباء، تمتاز بها كثير من المعادن والأجسام.

٢١- **الوُصُوليّ**: من يتقرَّب إلى الآخرين ويداهنهم، ليصل إلى غاياته بأي وسيلة كانت.

٢٢- **الوُصوليَّة**: طَبْعُ وحالةُ من يتقرَّب إلى الآخرين ويداهنهم للوصول إلى غاياته بأي وسيلة كانت.

٢٣- **المُواصَلة**: مسافة ما بين موقفَيْن من مواقف خطِّ سَيْر حافلات النقل العام. يقال: (بين الوزارة والجامعة مواصَلَتان).

٢٤- **المُواصلات**: طُرُق النقل ووسائطه وتنظيمه بين المدن والبلدات، أو في المدينة نفسها. يقال: (المواصلات إلى المَعْرض مُؤَمَّنة).

٢٥- **وزارة المواصلات**: الهيئة التنفيذية العليا في الدولة المُوكَل إليها تنظيم شؤون نقل الأشخاص والبضائع بإنشاء طرق المرور ومستلزماتها، والإشراف على وسائط النقل والمركبات. وتسمى في بعض الدول (وزارة النقل).

٢٦- **الاتِّصالات**: المحادثات والمراسلات عبر الهواتف الثابتة أو الجوالة، أو البريد الإلكتروني عبر الشابكة. ويتفرَّع عليها:

- **الاتِّصالات السلكيّة**: وهي التي تتم عبر الأسلاك.
- **الاتِّصالات اللاسلكية**: وهي التي تتم عبر الفضاء، بواسطة الموجات أو التردُّدات الكهرطيسية.

٢٧- **وزارة الاتِّصالات**: الهيئة التنفيذية العليا في الدولة الموكَل إليها تنظيم شؤون الاتِّصالات عبر الخطوط الهاتفية السلكية واللَّاسلكية والشابكة.

٢٨- **شركة اتصالات**: مؤسَّسة تجارية تقنيَّة، توفِّر خدمات الاتصالات السلكية واللاسلكية، وعبر الشابكة.

٢٩- **مُقَطَّع مُوَصَّل**: من يحسن الوصول إلى غرضه بمزيج من الخبث والدهاء والخبرة، وهو تعبير مجازي. وسبق أن القدماء كانوا يطلقون على الكثير الحيَل والتدبير: (وَصَّال قَطَّاع) كما في تاج العروس.

في مرآة التكاثر اللغويّ
قراءة في شيء من مادّة (جوز)

أ. د. عبد الناصر عسّاف(*)

التطوُّر مزيّة من مزايا اللغة العربيّة لا ينكرها إلّا جاهلٌ أو مغرض. وأكثر ضروب ذلك، وأهمّ سبله، قطعةٌ منها لا تنفكّ عنها، تنبثق من ذات العربيّة وبنيتها الجَوّانيّة وإمكاناتها الثّرّة. ومن تلك الصُّوَر الدّالّة على ذلك التكاثرُ بالاشتقاق، والتكاثر بالمجاز. فكم نَبَتَ بهما من ألفاظ وبنًى ودلالات!. فكثيراً ما نسل من نواة واحدة (جذر لغويّ) عشراتُ البنى وعشرات الدلالات. يشهد لك على ذلك المعاجمُ وكتب اللغة والاستعمال. ولأمر ما أحببت هنا أن يشهد شيء من مادّة (جوز) على شيء من ذلك.

إذا جوّلَ الباحثُ في مادّة (جوز) في معاجم اللغة، وتدبّرَ الألفاظ التي بُنيت من هذه المادّة؛ بدا له أنّ من تلك الألفاظ ما له دلالة حقيقيّة أصيلة، وأنّ منها ما له دلالة فرعيّة؛ لأنّها شُقِّقت من غيرها أو حُمِلت عليها.

ومن الألفاظ التي لها دلالة أصليّة «الجَواز» بمعنى السير والمرور وسلوك الطريق، و«الجَوز» بمعنى الوسط.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ١٣/ ٣/ ٢٠١٩م.

قال ابن فارس: «الجيم والواو والزّاء أصلان: أحدهما قَطْعُ الشّيء، والآخَرُ وَسَطُ الشّيء. فأمّا الوسَطُ فجَوْزُ كُلِّ شيء وَسَطُه... والأصل الآخَرُ جُزْتُ الموضِعَ؛ سِرْتُ فيه، وأجزْتُه: خلَفْتُه وقطعْتُه...»[١].

على أنّ دلالة «الجواز» الأصليّة لم تخلُ عند بعض اللغويّين من توسُّع. ففي كلام المطرّزي (ت٦١٠هـ) ما يدلّ على أنّ استعمال «جاز» للسير في المكان بإطلاق - فيه توسُّعٌ وإطلاق، وأنّه في أصله مقيّد بقطع وسط المكان.

قال: «(جَازَ) المكانَ وأجازَهُ وجاوَزَهُ وتجاوَزَه: إذا سار فيه وخَلَّفَه، وحقيقته قَطَعَ جَوْزَهُ، أيْ: وَسَطَه ونَفَذَ فيه»[٢].

وإذا كان «الجواز» مصدرُ «جازَ» ذا دلالة حقيقيّة أصليّة، فإنّ ثمّة كلماتٍ توافقه صورةً ذاتَ دلالة فرعيّة، كانت من قبيل الحَمْل عليه مجازاً.

ومن تلك الكلمات «الجواز» بمعنى الماء الذي يُسقاه الرجلُ ويجوز به الطريقَ[٣]. لمّا كان الماء من أهمّ ما يساعد العربيَّ على اجتياز الطريق في مفاوزَ مُهلِكة تحوطُها الصِّعاب = سُمِّيَ الماءُ الذي يُسقاه المرءُ، ويجوز به الطريقَ «جوازاً» لما بين اجتياز الطريق والماء من علاقة سببيّة.

وربّما كان منَ التوسُّع أن يُسمّى الماءُ الذي تُسقاه الماشيةُ والزرع وغيرهما «جوازاً»[٤]، بجامع ما بين «الجواز» الذي يُسقاه الرجلُ لاجتياز

(١) مقاييس اللغة (جوز). وإذا كان كلام أكثر اللغويّين يدلّ على أنّ الفعل الثلاثيّ المجرّد «جاز» بمصادره دالٌّ على السير في مكان دون أن يقترن بتجاوز المكان؛ فإذا كان فيه قطع للمكان كان بالهمزة «أجاز» [انظر مثلاً: تاج العروس (جوز)] - فإنّ في بعض المعاجم، ومنها مثلاً المعجم الوسيط (جوز)، ما ينصُّ على أنّ الفعل الثلاثيّ «جاز» يدلّ على السير في الموضع وقطعه. والزاء في قول ابن فارس: لغة في الزّاي.

(٢) المغرب (جوز) ٩٥.

(٣) انظر: أساس البلاغة (جوز).

(٤) انظر مثلاً: تاج العروس (جوز).

الطريق، والماء الذي تُسقاه الماشيةُ والزرع وغيرُهما من حفظ من الهلاك، وتمكين من البقاء ومغالبة الصِّعاب.

وممّا له صلةٌ بهذه الكلمة أيضاً أن تجد القدماءَ يُسمُّون «صكَّ المسافر الذي يأخذه من السُّلطان لئلّا يُتعرَّض له»[٥] الجوازَ.

وما قاله بعضُ المحدثين من أنّ «الجواز» من قبيل المولّد الذي تمخّضَ عنه القرنُ التاسعَ عشرَ، ووضعه الشيخ اليازجيُّ[٦]،أو أنّها كلمةٌ وضعها الشِّدياق تعريباً لـ(Passport)[٧] = بعيدٌ من الصّواب.

والجمع الذي جُمِعتْ عليه هذه الكلمةُ، كما ورد في بعض المعاجم، واقتصرت عليه، هو «أَجْوِزة»[٨]. واقتصار تلك المعاجم على هذا الجمع ربّما أوحى لبعض الباحثين بأنّ جمع «جواز» على «جوازات» - وهو الجمع الذي يلتزمه المحدَثون ولا يكادون يغادرونه في كلام أو كتابة - من المُحدَث الذي يجب أن يزهَد عنه الناس. ولهذا ما رأيت بعض الباحثين يغلّطه، ويدعو إلى استعمال «أجوزة»[٩].

وهذا فيه نظر من وجهين:

الأوّل: أنّ جمع «جواز» على «جوازات» قديم، يرجع استعمالُه على

(٥) المغرب (جوز) ٩٥. وانظر: كتاب العين (جوز) ٦/ ١٦٥، وأساس البلاغة (جوز)، والمعجم الكبير (جوز). وفي المعجم الوسيط (جوز): «جواز السّفر: وثيقة تمنحها الدولة لأحد رعاياها لإثبات شخصيّته عند رغبته السفر إلى الخارج».

(٦) كلام العرب، د. حسن ظاظا، ٨١-٨٢.

(٧) معجم الألفاظ المحكية في البلاد العربيّة، عبد الكريم الحشاش، ٧٩.

(٨) انظر مثلاً: أساس البلاغة، وتاج العروس، والمعجم الوسيط (جوز).

(٩) انظر: معجم الأخطاء الشائعة، العدناني، ٥٩، ومعجم الصواب والغلط، د. إميل يعقوب، ٢٩٢.

الأقلّ إلى القرن الرابع الهجري. فقد ورد فيما حكاه القاضي أبو عليّ التنوخيّ (ت٣٨٤هـ) من أمر سَهْلِ بن بشر(ت٣٦٤هـ) قولُه: «وبعد ساعةٍ لمّا ظهر على سهلٍ، وعرف ما جرى عليه، طلبَ الفرّاش بأصحاب الشُّرَط والمراكز والجوازات؛ فلم يُوقَفْ له على خبر»(١٠).

الوجه الثاني: أنّ مجمع اللغة العربيّة في القاهرة نصَّ على هذا الجمع في معجمه الكبير(١١)، دون أن ينبزه أو أن يسمه بشيء. ومثلُه إمّا أن يكون عن اعتماد شيء من استعمال العرب انتهى إليه ولاحظه، وإمّا عن قياس رآه دعت إليه حاجةٌ.

ولا يبعد أن يكون العرب سمَّوا هذه الوثيقة «جوازاً» حملاً على «الجواز» من الماء، لما بينهما من مشابهة؛ فالكتابُ الذي يأخذه المسافرُ يجوز به، فلا يمنعه من السفر والانتقال مانعٌ، والماء الذي يُسقاه الرجلُ يساعده على قطع الطريق واجتيازه.

وربّما كان في كلام المطرّزيّ إشارةٌ إلى ذلك، فقد ذكرَ الماء الذي يجوز به الرجلُ الطريقَ، ثمّ قال: «واسم ذلك الماء الجوازُ. وبه سُمِّيَ صكُّ المسافر الذي يأخذه من السلطان لئلّا يُتعرَّضَ له»(١٢).

ومن الألفاظ التي يدلّ كلامُ بعض اللغويّين على أنّها فرعٌ موصولٌ بكلمة «الجوز»، أي: وسط الشيء، وفيه شيءٌ من صبغتها = «الجَوزاء» من بروج السّماء؛

(١٠) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٧/ ١٨١. ومنه نقله أبو الحسن الصابئ (ت٤٨٠هـ) في كتابه (الهفوات النادرة): ٣١٦.

(١١) المعجم الكبير (جوز). على أنّ بعض المحدثين نسب إلى المجمع أنّه أجازه حملاً على «جوابات». انظر: المعجم المدرسي (جوز).

(١٢) المغرب (جوز) ٩٥.

«سُمِّيت لأنّها معترضة في جَوْز السماء، أي: وسطها»[١٣]؛ و«شاةٌ جوزاء، ومُجوَّزة: سوداء الجسم، وقد ضُرِبَ وسطها ببياض من أعلاها إلى أسفلها»[١٤].

ومن ألفاظ هذه المادّة التي قامت على دلالة فرعيّة انشقّت عن دلالة أصليّة، ثمّ توسَّعَ العرب في استعمالها، فكانت استعارتها لمعانٍ أخرى، لفظةُ «جائزة». فالجائزةُ: مقدارُ الماء الذي يجوز به المسافرُ من منهل إلى منهل. يُقال: اسقِني جِيْزةً وجائزة وجَوزة.[١٥]

وصلة دلالة هذه اللفظة بالجواز، أي: المرور وقطع الطريق والموضع، بيّنةٌ؛ لأنّ هذا المقدار من الماء سببٌ يكون به الجواز.

ثمّ سمَّتِ العربُ مقام الساقي من البئر «جائزةً»[١٦] بداعي العلاقة المكانيّة. ثمّ استُعير ذلك لكلّ عطاء، فكانت «جائزةُ الضَّيف» الشيء الذي يُعطاه الضَّيفُ ممّا يجوز به مسافة يوم وليلة، ويُسمّى «الجِيزة»، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل. وفي الحديث:(الضيافة ثلاثة أيّام، وجائزته يوم وليلة، وما زاد فهو صدقة)[١٧]؛ وكانت «الجائزةُ» التي يُعطيها السُّلطان[١٨].

وقد نبّه على تلك الصِّلة بعضُ اللغويين.

قال أبو بكر الأنباريّ: «أصل الجائزة: أن يُعطيَ الرجلُ الرجلَ ماءً ويجيزَه ليذهب لوجهه...، ثمّ كثر هذا في كلامهم حتى سمَّوا العطيّةَ جائزةً»[١٩].

---

(١٣) تاج العروس (جوز)، وانظر: المحكم (جوز) ٧/ ٥٢٢.
(١٤) المحكم (جوز) ٧/ ٥٢٢. وانظر: تهذيب اللغة (جئز) ١١/ ١٤٩، تاج العروس (جوز).
(١٥) تهذيب اللغة (جئز) ١١/ ١٥٠. وانظر: لسان العرب (جوز)، والمعجم الكبير (جوز).
(١٦) تاج العروس (جوز).
(١٧) لسان العرب (جوز).
(١٨) الصحاح (جوز).
(١٩) الزاهر، ٢/ ١٣. وانظر: تهذيب اللغة (جئز) ١١/ ١٤٩، واللسان، وتاج العروس (جوز).

وقال الزمخشريّ: «وأجازه بجائزة سنيّة وبجوائز، وأصله مِنْ أجازَه ماءً يجوز به الطريق، أي: سقاه، واسم ذلك الماء الجواز»[٢٠].

وقال غيرهما: «والأصل فيه الأوّل، ثمّ استُعير لكلّ عطاء»[٢١].

على أنّ في كلام بعض اللغويّين وغيرهم ما يدلّ على أنّ هذه اللفظة (الجائزة) ليست ممّا استعمله العرب قديماً، وإنّما هي لفظةٌ إسلاميّة محدَثة، سُمِّيت بذلك لجواز الوادي أو غيره.

«قال الأصمعيّ: استعمل ابنُ عامر قَطَنَ بن عبد عوف الهلاليّ على كرمان، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادي، فقطعهم عن طريقهم، وخشي قطنُ الفوتَ، فقال: من جاز الواديَ فله ألف درهم. فحملوا أنفسهم على العُظْم، فكان إذا جاز الرجلُ منهم قال قطن: أعطُوه جائزتَه. حتى جازوا جميعاً، وأعطاهم أربعة آلاف درهم، فأبى ابن عامر أن يحسبها له، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفّان، فكتب عثمان: أنِ احسُبها له، فإنّه إنّما أعان المسلمين في سبيل الله، ففي ذلك اليوم سُمِّيتِ الجوائزُ؛ لإجازة الوادي»[٢٢].

وذكر ابن قتيبة «أنّ قطن بن عبد عوف بن أصرم... وليَ فارس لعبد الله بن عامر، فمرّ الأحنفُ بن قيس في جيشه غازياً إلى خراسان، فوقف لهم على «قنطرة الكرّ»، فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه، وكان يعطيهم مئةً مئةً، فلمّا كثروا عليه قال: أجيزوهم، فأُجيزوا، فهو أوّل من سنّ الجوائز...»[٢٣].

---

(٢٠) أساس البلاغة (جوز).

(٢١) الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس (جوز).

(٢٢) البداية والنهاية، ١/ ٣٩٢. وانظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٩/ ٢٣٠.

(٢٣) المعارف، ٦١٥-٦١٦. وانظر: الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس (جوز)، ففيها الخبر مع بعض اختلاف، مسوقاً بلفظ «يُقال».

وقال القلقشنديّ: «أوّل ما سُمِّيتِ العطيّات جوائزَ في زمن عثمان ﷺ، وذلك أنّ ابن عامر كان على العراق من قِبَل عثمان، فبعث جيشاً مع قطن بن عبد عوف الهلاليّ إلى كرمان، فجرى الوادي بسيل خيف منه الغرقُ، فقال قطن: من عبر فله ألف درهم ...»[٢٤].

وقد تحفّظ ابن دريد من مثل ذلك، ولم يقطع به، فساقه بلفظ الزعم.

قال: «والجوائز من العطاء: معروفة، واحدها جائزة. وزعم بعض أهل اللغة أنّها كلمة إسلاميّة محدثة، وأصلها أنّ أميراً من أمراء الجيوش واقفَ العدوَّ، وبينه وبينهم نهر، فقال: من جاز هذا النهر فله كذا وكذا، فكلُّ من جازه أخذ مالاً، فيقال: أخذ فلان جائزة ، فسُمِّيت جوائزَ»[٢٥].

وردّ ابن حجر العسقلانيّ ذلك، فقال في ترجمة (قطن بن عبد عوف الهلاليّ): «استعمله عبد الله بن عامر على كرمان، فأعطى على جواز الوادي أربعةَ آلاف، ... . قال ابن دريد: هذا أصل الجائزة»[٢٦].

ثمّ ساق كلام ابن قتيبة، وعقّب على القولين بقوله: «حاصل ما قالاه أنّ الجائزة مشتقّة من الجواز، ويعكّر على الأوّليّة المذكورة ما ثبت في الحديث الصحيح في الضّيف: جائزته يوم وليلة. ...»[٢٧].

وقال في (فتح الباري): «وتُعُقِّبَ بأنّه ليس المراد بالجائزة في حديث أبي شريح العطيّة بالمعنى المصطلح، وهي ما يُعطاه الشاعرُ والوافد، فقد ذُكِرَ في

(٢٤) صبح الأعشى، ١/ ٤٣١.

(٢٥) الجمهرة (جوز) ٣/ ١٠٤٠. وانظر: المحكم (جوز) ٧/ ٥٢١، ولسان العرب، وتاج العروس (جوز).

(٢٦) الإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ٢٧٦. وابن دريد كما سبق لم يذكر ذلك على وجه القبول أو الجزم.

(٢٧) المصدر نفسه.

الأوائل أنّ أوّل من سمّاها جائزةً بعضُ الأمراء من التابعين، وأنّ المراد بالجائزة في الحديث أنّه يُعطيه ما يُغنيه عن غيره... قلت: وهو صحيح في المراد من الحديث. وأمّا تسمية العطيّة للشاعر ونحوه جائزةً فليس بحادث، للحديث الصحيح: (أجيزوا الوفد)... ولقوله ﷺ للعباس: (ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أجيزك؟)... فدلّ على أنّ استعمالها كذلك ليس بحادث»[٢٨].

وبعضُ الألفاظ ينتقل من حقل دلاليٍّ إلى حقل دلاليّ آخر انتقالاً سائغاً لا يتعذَّر على القارئ أن يجد فيه مقنعاً، ولا سيّما إذا نبّه عليه اللغويّون إشارة أو نصًّا، أو فسّروه.

ومن ذلك «الإجازة» في الشعر، أي: «أن يكون الحرف الذي يلي حرفَ الرويّ مضموماً ثمّ يُكسَرَ أو يُفتَحَ، ويكون حرف الرويّ مقيّداً. وفي قول الخليل: أن تكون القافية طاءً والأخرى دالاً ونحو ذلك، وهو الإكفاءُ عند أبي زيد. ورواه الفارسيّ (الإجارة) بالمهملة»[٢٩].

وهذا مأخوذ من قول العرب: أجازَ الحبلَ: إذا لم يُحكِمْ فتلَه، فتراكبت قواه. وقد صرّح بذلك ابن دريد، إذ قال: «وإنّما أُخِذ ذلك من إجازة الحبل إذا لم يُحكَم فتلُه فتراكبت قواه»[٣٠]. وعدّه الزبيديّ من المجاز[٣١].

ومنه «الإجازة» في الرواية، أي: «الإذن من الشيخ لتلميذه بنقل خبر، أو حديث نبويّ»[٣٢]. فهي ليست منقطعة عن إجازة الماء، أي: إعطاء مقدار

(٢٨) فتح الباري، ١٠/ ٥٥٠. وذلك في الكلام على الحديث ذي الرقم ٦١٣٥.
(٢٩) المعجم الكبير (جوز). وانظر: المحكم (جوز) ٧/ ٥٢٣، والتاج (جوز).
(٣٠) الجمهرة (جوز) ٣/ ١٠٤٠.
(٣١) تاج العروس (جوز).
(٣٢) المعجم الكبير (جوز).

من الماء، يُجازُ به الموضعُ أو الطريقُ، أو يُجاز به من منهل إلى منهل آخر؛ والأصلُ بين الأصل والفرع واضحة.

وتسمية الشهادة التي تُتيح للمتخرِّج اليومَ أن يُعلّم العلم الذي تعلّمَه «إجازةً» من قبيل التوسّع في «الإجازة» بالرواية.

ومن امتدادات ذلك وتنوّعاته أن تسمع الناس اليوم يُسمُّون الرخصة التي تُجيز فعلاً أو نشاطاً معيناً «إجازةً»، ومنها إجازة القيادة.

وممّا كان فيه من ألفاظ هذه المادّة انتقالٌ من المادّي الحسيّ إلى المعنويّ توسُّعاً = قولُهم: «جوائز الأشعار والأمثال لما جاز من بلد إلى بلد»[٣٣]، تعبيراً عن اشتهارها بين الناس، وشيوعها في البلدان.

ومن ذلك «المجاز»، فهو في الأصل مصدر: جازَ الطريقَ أو الموضعَ: إذا قطعه، واسم موضع منه [٣٤]، بمعنى المعبر أو الطريق إذا قُطِعَ من أحد جانبيه إلى الآخر[٣٥].ثمّ استُعمِلَ للدلالة على «استعمال الكلمة في غير ما وُضِعتْ له لقرينة»[٣٦].

والجامع بين هذا وذاك الانتقالُ. وليس بخافٍ ما في المجاز من انتقال الكلمة من المعنى الحقيقيّ الذي وُضِع للكلمة إلى غيره، ولذلك «يُقال : المجاز قنطرة الحقيقة»[٣٧].

ومن الألفاظ التي تمُتّ بصلة لهذه الكلمة ما لا عهد للقدماء به. من

(٣٣) تاج العروس (جوز).

(٣٤) انظر: كتاب العين (جوز) ٦/ ١٦٥.

(٣٥) القاموس المحيط (جوز). وانظر: المعجم الكبير (جوز).

(٣٦) المعجم الكبير (جوز).

(٣٧) المصدر نفسه. وانظر: تاج العروس (جوز).

ذلك «الإجازة» بمعنى: الرُّخصة «تُجيز للموظّف الانقطاعَ عن العمل في الأحوال التي يقرّرها القانون»(٣٨).

والظاهر أنّ هذا ممّا لم يعرفه القدماء، فمعاجم اللغة التي صنّفها القدماء تخلو من هذه الكلمة بدلالتها المحدّدة؛ وما يطّلع عليه المرء من نصوص انتهت إلينا من كلام العرب ليس فيه شيء من ذلك. فأغلب الظنّ أنّه ممّا أحدثه المحدثون، إلّا أن يكون ذلك ممّا ولّده المتأخرون، ثمّ انتهى إلى المحدثين.

وهذه الكلمة بدلالتها على الانقطاع عن العمل والوظيفة موصولة بالدلالة الأصليّة لهذه المادّة (جوز، جاز)، وهي قَطْع الشيء والانتقال والعبور.

وقد حمل اعتيادُ هذه الكلمة بعضَ المحدثين في الدارجة على أن يقولوا: أجَّزَ فلانٌ، أي: قام بإجازة، وهو مؤجِّز، أي: هو في فترة الإجازة. وهو توليد مبنيّ على توهُّم أصالة الزائد(الهمزة) وزيادة الأصليّ (الألف).

قال د . كمال بشر: «والفعل «أجَّزَ» بلفظه وما اشتُقَّ منه: «تأجيز، مؤجّز، ... إلخ» غيرُ وارد في المعجمات. وهو - في رأينا - مولّد من المصدر (إجازة)، الذي يُطلَق الآن - على سبيل الاتّساع - على الفترة المسموح بها الانقطاعُ عن العمل للراحة أو لأي سبب آخر. وجاء التوليد على وزن قياسيّ هو «فعَّلَ» الدالّ في عمومه على القيام بشيء، مثل كرَّمَ، أي: قام بالتكريم، وهدّدَ، أي: قام بالتهديد. وعليه جاء «أجّزَ»، أي: قام بالإجازة»(٣٩).

وقد رأت (لجنة الألفاظ والأساليب) في مجمع اللغة العربيّة في القاهرة بناءً على ذلك «تسويغَ استعمال الفعل وما أُخِذَ منه «أجّزَ ، تأجيز، مؤجِّز»، ووافق عليه مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والستّين»(٤٠).

---

(٣٨) المعجم الكبير (جوز).

(٣٩) كتاب الألفاظ والأساليب، ٣/ ٢٥٩.

(٤٠) المصدر السابق، ٣/ ٢٥٨.

وتسويغ هذا اللفظ المُحدَث وفروعه، ووصله ببناء «فَعَّلَ» يوهم بأنّ ما جرى عليه مولّدو ذلك ومستعملوه صحيحٌ يوافق قواعد العربيّة، وأنّ الهمزة فيه وحرف العلّة المحذوف كما توهّموا من حيث الأصالة والزيادة.

والذي أراه أنّه إذا حُمِل بعضُ فصيح كلام العرب وصحيحه على التوهّم حملاً سائغاً لا مطعن فيه، وجاز أن يُحمَل عليه مثلُه من فصيح القول وصحيحه؛ فليس من الحكمة أن يُتّخَذ ذلك مطيّةً لحمل كلّ ما يبتدعه العامّة ويفتنّون فيه من هذا القبيل، ولاسيّما إذا كان داعيهم إليه الاستطراف والتندُّر والتفكّه، وهم في ذلك ما هم!.

هذا بعضُ ما تبوح به مادّة (جوز) بالقراءة والتأمُّل. وهذه الكلمة التي ألمّت بشيء وتركت أشياء تشهدُ ببعض ما في اللغة العربيّة من قدرة وإمكانات في الخلق والاستعمال، وتسوق للقارئ دليلاً من صميم اللغة على تكاثر البنى والدلالات بالمجاز والاشتقاق والتصرّف؛ وتدلّ على أنّ ذلك التكاثر موصولٌ بها غير منبتٍّ عنها. وهي تدلُّ من وجه آخرَ على أنّ بعض ما يظنّه بعضُ الباحثين من المولَّد أو المحدَث، أو بعضَ ما يُغلّط بين ظهرانينا أو يُنبَزُ بشيء = من القديم المستعمَل أو ممّا تبيحه إمكانات اللغة؛ وأنّ الحكم على الشيء بالقدم أو الجواز أو الصواب أو الفصاحة، أو بخلاف ذلك، يجب أن يُبنى على بحث وتحقيق وفحص؛ وأنّ في بعض المعاجم ما يحتاج إلى نظر وتمحيص ومعارضة.

* * *

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية – بيروت = الطبعة المطابقة للنسخة المطبوعة في كلكتا ١٨٥٣.
- البداية والنهاية، ابن كثير، تح د. عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٩٩٧.
- تاج العروس، الزبيدي، ج ١٥، تح جماعة من المحققين، وزارة الإعلام – الكويت، ١٩٧٥.
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تح عمر بن غرامة العميري، ج ٣٩، دار الفكر– بيروت، ١٩٩٦.
- تهذيب اللغة، الأزهري، ج ١١، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الجمهرة، ابن دريد، تح د. رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- الزاهر، ابن الأنباري، تح د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- صبح الأعشى، القلقشندي، ج ١، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٢٢.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٧ و١٠، تح عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ط١، ٢٠٠١ .
- كتاب الألفاظ والأساليب،ج٣،إعدادوتعليق مسعود الحجازي، مجمع اللغة العربية – القاهرة،٢٠٠٠.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد، تح د. المخزومي ود. السامرائي، دار الهجرة – قم، ط٢، ١٤١٠ ه.
- كتاب المغرب، المطرّزي، دار الكتاب العربي – بيروت.
- كلام العرب، د. حسن ظاظا، دار النهضة العربية – بيروت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف – القاهرة.
- المحكم، ابن سيدة ،ج٧، تح د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٠.
- المعارف، ابن قتيبة، تح ثروت عكاشة، منشورات الشريف الرضي – قم، ١٤١٥هـ.
- معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، مكتبة لبنان – بيروت، ط٢، ١٩٨٥.
- معجم الألفاظ المحكية في البلاد العربية، عبد الكريم الحشاش، دار التكوين – دمشق، ط١، ٢٠٠٧.
- معجم الخطأ والصواب، د. إميل يعقوب، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٣.
- المعجم الكبير، ج٤، إشراف إبراهيم الترزي، مجمع اللغة العربية – القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.
- المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، وزارة التربية – دمشق، ط١، ١٩٨٥.
- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، دار المعارف – القاهرة، ط٢، ١٩٧٣.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، القاضي أبو علي التنوخيّ، تح عبود الشالجي، دار صادر – بيروت، ط٢، ١٩٩٥.
- الهفوات النادرة، غرس النعمة الصابئ، تح د. صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٩٦٧.

* * *

بينَ استْيحاءِ الأَحْوال واستْحلاءِ الأَنْغام
بحثٌ في الصِّلَةِ المَوْصُولة بين التُّراثيّ والمُعاصِر
(شاعران تراثيان وشاعران معاصران)

أ. د. محمد رضوان الداية(*)

من مَزايا كتب التراث العربي أنّها – وإن اختلفت موضوعاتُها – تَفْسَحُ، في الغالب، مجالاً للنصوص الشعريّة؛ يوردُها المؤلّفُ في كتابه لمناسبةٍ من المناسبات؛ تجدُ ذلك في كتب الفقه والأُصول والتفسير، وفي كتب الطب والصيدلة والنبات والعلوم، وفي كتب التاريخ والجغرافية، وغيرها؛ فإذا وصلنا إلى كتب الحماسات والاختيارات وجدنا فيضاً من النصوص لمشهورين، ومن يُقال فيهم «مغمورون» لقلّة الأخبار أو لغير ذلك من الأسباب.

ولكتب التراجم مزيَّةٌ خاصّة في إيراد النصوص الشعرية: يستوي في ذلك كتب التراجم العامّة كَوَفيات الأعيان والوافي بالوفيات وسير أعلام النبلاء، وكتب التراجم المتخصصة مثل تراجم الأطباء والحكماء والنحويّين واللغويّين، والقراء والمفسّرين، وكتب التراجم الأدبيّة مثل يتيمة الدهر للثعالبي، والذخيرة لابن بسّام، وما شابهها.

(*) أستاذ الأدب والنقد في جامعة دمشق – قسم اللغة العربية سابقاً.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٨م.

وفي هذه النّصوص الكثيرة جمهرة من الأشعار العالية لشعراء فُقدت دواوينهم، أو استقرّت في خزائن الكتب، وهي نصوص تكون – عادةً – مختارةً، وهي، بلا شكّ، جزء من حركة الشعر العربيّ: تكمّل الصّورة، وتثري البُحوث.

وفي كتاب «وفيات الأعيان»[١] على سبيل المثال نماذج كثيرة تدخل في سياق ما نتحدّث عنه ونشير إليه. وبين يديّ نصّان من هذا الكتاب لشاعرين مُتَقاربين في الزمن من رجال القرنين الخامس والسادس، وهما من الشعر الجيد المتقن، ويتبع الكلام عليهما في هذا البحث كلام على قصيدتين لشاعرين معاصرين من مبدعي شعراء العصر. وكانت القصيدتان التراثيتان مُلْهِمَتَيْنِ للشاعرين المعاصرين على وُجوهٍ نقدّمها للقارئ مع بسطٍ للكلام، وربطٍ بين أطرافِه، وتبيانٍ للصّلة الموصولة بين التراثي والمعاصر؛ وهي صلةٌ لا تَنْبَتُّ، وأسبابٌ لا تنقطع.

والشّاعران التراثيّان هما: البَارِعُ الدَّبَّاس، والفُطْرُسِيُّ النَّفِيس، والشاعران المعاصران هما: خير الدين الزركلي والأخطل الصغير (بشارة عبد الله الخوري)، وهما من كبار شعراء العصر الحديث.

(١)

في أُدباء القَرْنين الخامس والسّادس وعلمائه شاعر، كاتب، مؤلّف من أُسرةٍ عَريقةٍ في الأَدب والكتابة الدّيوانية، والخدمة السُّلطانية هو: أبو عبد الله الحُسَين بن محمّد بن عبد الوهاب، وينتهي نسبه إلى الوزير القاسم بن عُبَيد الله، من آل وهب[٢].

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وستمرّ الإحالات في مواضعها.

(٢) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢: ١٨١-١٨٤. وله ترجمة في معجم الأدباء ١٠: ١٤٧، وإنباه الرّواة ١: ٣٢٨، وبغية الوعاة: ٢٣٦، وغاية النهاية ١: ٢٨١، وشذرات =

وكان أبو عبد الله يُلَقَّبُ بالبارع، والـدَّبَّاس، وكـان نَحويًّـا لُغَويًّـا، مُقرئـاً، حَسن المعرفةِ بِصُنوفِ الآداب، وتَلْمذَ له الجَمُّ الغَفِيرُ على امتدادِ سنواتٍ طِوال، وقال فيه ابـن خَلّكـان[٣]: «... مـن أَربـاب الفَضـائل، ولـه مصّـنفات حِسانٌ، وتواليفُ غريبة، وديوان شعر جيّد».

وكانت ولادتُهُ سنة ٤٤٣هـ، وكانت وفاته سنة ٥٢٤هـ.

وأوردتْ لَهُ كتبُ التّراجم شيئاً من الشّعر، وفيه مُطارحاتٌ مـع الشّـريف ابن الهَبَّاريّة، ومُدَاعبات[٤].

ونقل ابن خَلّكان عن كتـاب زينـة العَصْـر للحَظِيـري[٥] قصـيدةً للبـارع الدّبّاس، وقال: إن الحظيـريّ نقـل القصـيدة مـن خَـطّ البـارع. واختيـار ابـن خلكان للقصيدة المذكورة عن كتـاب الحظيـري يعنـي التفاتـه القاصـد إلـى النصّ، وتنبيهه على مزيّةٍ فيه وبراعة.

وأرّخ الحظيري للقصيدة بسنة ٤٧٢هـ، وهي السنة التي حَجّ فيها البارع، وقال: إن البارع نظمها بمكّة. ومعنى ذلك أن الشاعر نظم قصيدته، وهو ابـن

= الذهب ٤: ٦٩، والبداية والنّهاية ١٢: ٢٠١.

– والبارع لقب اشتهر به. والدّبّاس: تُقال في بائع الدّبس وصانعه.

(٣) وفيَات الأعيان ٢: ١٨١.

(٤) الشريف نظام الدين أبو يَعْلى محمد بن محمد الهاشمي البغدادي (تـوفي ٥٠٩هـ) وكـان شاعراً مُجيداً مكثراً مقتدراً، وله: الصّادِحُ والباغم، ونَتائج الفِطنة في نظم كليلة ودمنة.

قال د. فروخ: «وشهرة ابن الهبّاريّة إنما هي في الشعر الحِكَمي: قصيدةً ورجزاً...».

– تاريخ الأدب العربي ٣: ٢٢٢–٢٢٥ (وانظر مصادر ترجمة ابن الهباريّة فيه، مـع قطع من شعره).

(٥) وفيات الأعيان ٢: ١٨٣–١٨٤، وقد جُمِعَ شـعر ابـن الهباريـة، وطبـع. – وكتـاب «زينـة العصر» من الكتب المفقودة، وكان الحظيري قد ألّفه عـن أدبـاء عصـره، علـى نحـو مـا صنع الثعالبي في «يتيمة الدّهر».

ثلاثين عاماً، وأنه كان بعيداً عن وطنه (الصغير)، ولعلّه طالت إقامته بعد أداء مناسك الحجّ، فازداد شوقه إلى الأهل والوطن، والإلْفِ والسّكن!

- وجاءت القصيدة: في سبعة عشر بيتاً، قال: [من بحر المديد]

ذَكَرَ الأَحْبابَ والوَطَنا ... والهَوى والإِلْفَ والسَّكَنا[٦]

فَبَكىٰ شَجْواً وحُقَّ لَهُ ... مُدْنَفٌ بالشَّوقِ حِلْفُ ضَنىٰ[٧]

أَبْعَدَتْ مَرْمىً يَدٌ رَجَمَتْ ... من خُراسانَ بهِ اليَمَنا[٨]

خَلَسَتْ من بينِ أَضْلُعِهِ ... بالهَوىٰ قَلْباً لهَ ضَمِنا[٩]

مَن لِمُشْتاقٍ تُمَيِّلُهُ ... ذاتُ سَجْعٍ مَيَّلَتْ فَنَنا[١٠]

كلَّما هاجَ الهَديلُ بِهِ ... طَرَباً هاجَتْ لهُ شَجَنا![١١]

لم يُعَرَّضْ في الحَنينِ بِـ:«مَنْ ... مُسْعِدٌ» إلّا وقالَ: أَنا[١٢]

لكِ يا وَرْقاءُ أُسْوَةُ مَن ... لم تُذِيقي جَفْنَهُ الوَسَنا[١٣]

---

(٦) السَّكَنُ: أهل الدار وسُكّانها، وتقال في الزوجة.

(٧) الشّجو: الحزن. أي: وحقَّ له البكاء، ومدنف: فاعلُ بكى.

(٨) رجَمت به: أبعدته - (إلى...) يذكر بُعْدَ المسافة واستغراق الزّمن!

(٩) ضمناً مِن: ضَمِنَ: لزمته - أو أصابته - علة. و(ضمن) صفة لـ(قلب).

(١٠) «ذاتُ سَجْعٍ»: كناية عن الحمامة. واختار هذا اللقب إشارة إلى أثر سجعها فيه.
- والفَنن: الغُصْنُ.

(١١) الهَدِيل: ذكر الحمام.
والطّرب: ما يعتادُ الإنسانَ من فَرح أو حُزن، (وإن غلب استعمالها عند المعاصرين على الفرح وما يتعلق به من استحسان الموسيقا والغناء).

(١٢) تقول: مَنْ مُسْعِدٌ لي؟ أو: مَنْ يُسْعِدُني؟... من قولهم: أسْعَدَه على الأمر: أعانه. والإسعاد: مشاركةُ الثّكلى في البكاء ومظاهر الحزن، وقد ورد النهي عن الإسعاد بهذا المعنى.
- يقول: إنه أول من يستجيب لشجن الورقاء وشجوها.

(١٣) الورقاء: الحمامة التي لونُها لونُ الرماد فيه سواد. والجمع: وُرْق.
- أثار سجعها شجوه وشجونه فجفاه النّوم.

بـكِ أُنْسـي مثـلُ أُنْسِـكِ بـي فَتَعـالَيْ نُبْـدِ مـا كَمَنـا
نَتَشـاكىٰ مـا نُجِـنُّ إذا نُحْتِ شَجْواً صِحْتُ: واحَزَنا
غيـرَ أنّـي منـكِ أَعْـدَلُ إنْ عادَ سِرّي في الهوى عَلنا[١٤]
أَنـا - لا أَنـتِ - البَعيـدُ هَـوىً أَنـا - لا أَنـتِ - الغَريـبُ هُنـا!
أَنـا فَـرْدٌ يـا حَمـامُ وهـا أَنـتِ والإِلْـفُ القَـرينُ ثُنـى
أَنْصِـفونا يـا بَنـي حَسَـنٍ لـيسَ هـذا مـنكُمُ حَسَـنا![١٥]
كـم أَحَلَّـتْ مُحْرِمـاتِكُمُ بـالعُيونِ النُّجْـلِ أَنْفُسَـنا![١٦]

(١٤) في الوفيات «إن». قلت: والأَولى أن تكون: «إذْ» على التّقرير لا الشّرط.

(١٥) بنو حسَن: كناية عن الحَمام.

ومن الطيور نوع يُعْرَفُ عند الناس بالحَسُّون. قال في المعجم المدرسي (ح س ن): «الحسّون: طائر ملوّن الريش حسن الصوت (عا)..» أي: عامية، وذكر الدّميري الحسّون، بهذا الاسم، وعدّه من العصافير. قال: ويسمّيه أهل الأندلس أبا الحسن (حياة الحيوان ١: ٢٩٧). وفي المُرَصَّع لابن الأثير: أبو الحُسْن - هكذا بضم السين: الطاووس: ١١٣. وأورد ابن الكتاني الطبيب في كتاب (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) ص٥٥ نصًّا ليوسف بن هارون الرمادي، وقدم له بعبارة: «وقال أيضاً في أُمّ الحسن»، وعلق د. إحسان عباس في الحاشية: «أم الحسن: الطائر الذي يسميه المشارقة الحسون، ويسمّيه الأندلسيون أبا الحسن». والخطاب في قطعتين للرمادي للمؤنثة (أم الحسن).

(١٦) في البيت إشارة لطيفة إلى ما يَحْرُم على الحاجّ في أثناء أداء مناسك الحج والعُمرة، ومن ذلك الصَّيد.

- ومُحْرِمات جمع مُحْرِمة: دخلت في الإحرام من مناسك الحجّ.

- ويتوجّه الكلام على تخيّل حسناوات يَطُفْنَ، على مذهب عمر بن أبي ربيعة في هذا، ويكون مجرى الكلام على المجاز (والتخيّل).

- ولهذا البيت نوعُ صلة مع قول صريع الغواني:

أمَـا كفـى البـينَ أنْ أرْمـى بأسـهمه حتـى رمـاني بلحـظِ الأعـين النُّجُـلِ

(شرح ديوان صريع الغواني (للطبيخي الأندلسي): ٣.

نحـــنُ وَفْـــدُ اللهِ عِنْـــدَكُمُ مـــا لكُـــمْ - جِيْرانَـــهُ - ولَنـــا؟
لـــم يُجِرْنـــا مـــنكمُ حَـــرَمٌ مَـــنْ أَتـــاهُ خائِفـــاً أَمِنـــا![١٧]

لقد اجتمع لهذه القصيدة مجموعة من العناصر ارتقت بها مُرْتقًى عالياً: من عاطفة الشَّجن الرفيعة الطبقة، والمشاركة الوجدانية بين الشاعر والوَرْقاء (ومعها الهَدِيل)، والتفاف القصيدة على الفكرة التفافاً شديداً، وتشابك تلك العناصر تشابكاً رائقاً متقناً مؤثّراً. وكانت الغُربة هي مَثارَ الإنشاد الشعري. وجاءت الورقاء (ومعها الهديل) لِترقى بالسَّرْدِ الشعري؛ فقد شاركته في حاله، وشاركها في شجوها في آنٍ معاً. ثم فرق بين الحالين، فهي سعيدة بالهديل، وهو يشكو الوحدة والغُرْبة، وما أثارته الحمامة فيه من شجن وشجو (وكأنها تجاوزت حُرْمَةَ الحجّ بالقتل بالأعين النُّجل!).

وتتمتّع القصيدة بالوَحْدَةِ العُضوية والوحدة الموضوعيّة والانسياب المسترسل من أول الأبيات إلى آخرها، وبالوحدة النفسيّة والعاطفية.

وقد أدّت القصيدة ما ذهب إليه الشاعر من التنفيس عن شَجنه وإحساسه بالغُربة، ومن نَقْلِ ما كان عليه من أحوال إلى القارئ والسّامع.

وقدّمَتْ نَصًّا من أَجْمَلِ أنماط الشّعر وأروعها.

(٢)

ونلتفت بعد هذا إلى شاعر معاصر من المبدعين، الذين يملكون ناصية صنعة الشعر العالي الطبقة، أحد شعراء الوطنية في سورية: خير الدين الزركلي.

في ديوان الزركلي[١٨]، في طبعته الأُولى، قصيدةٌ نظَمها الشاعر في

(١٧) جُملة «مَنْ أَتاه خائفاً أَمِنا» صفة (حَرم).

(١٨) ديوان خير الدين الزركلي - المكتبة العربية - القاهرة - ١٩٢٥ (الطبعة الأولى)، وكُتب تحت العنوان: (الجزء الأول).

دمشق في ٢٤ آذار (مارس) ١٩٢٠ قبل نكبة الاستعمار الفرنسي بأربعة أشهر عنوانها (وطني)، غاص فيها إلى الأَعماق؛ حُبًّا للوطن، وتفديةً له، وانشغالاً به، وخوفاً عليه، وعَتْباً على لابسي رداء الوطنية، وهم دون ذلك رتبةً: شَغلتهم الدّنيا، وأَغروا الناس بزخرفٍ من القول، وكلّ همهم دُنيا يُصيبونها... وحَذّر الزركلي من فتنة انقسام أبناء الوطن.

وقد بَنى الشّاعر الزركلي قصيدته على بحر الكامل، نوعٍ منه يُعرف بالأَحَذّ[١٩] ومطلع القصيدة، **مع أَبياتٍ منها:**

يَجْني وأَشكر في الهَوى يَدَهُ ... وطنٌ شَقِيْتُ بهِ لِأُسْعِدَهُ
آليتُ: لا باليْتُ بي أَلَماً ... وله دَمٌ حتّى أُضَمِّدَهُ
يومي له، وغَدي له، هِبَة ... وعسايَ أحمدُ في غَدي غَدَهُ
كم ليلةٍ سامَرْتُ أَنْجُمَها ... مُتَرقّباً في الشرقِ فَرْقَدَهُ[٢٠]
أرعى كواكِبَها وأرصدُهُ ... متعجّباً مِمّن ترصَّدَهُ

ولم يكن الزّركلي يدري أنّ ترصُّد الوطن سيكونُ من قومٍ أعداء زعموا أنّهم حلفاء للعَرب، وساقوهم إلى محالفتهم، ثم أطبقوا على البلاد والعباد؛ فإنه في ٢٤/ ٧/ ١٩٢٠ كانت معركة ميسلون، حين خرج يوسف العظمة بما اجتمع له من المُتَطوّعة، وجاهد حتّى نال الشهادة، وكان دَمُه الشّعلة التي أوقدت الثورة السورية.

---

(١٩) في الكامل الأَحَذّ تجيء تفعيلة ضرب البيت (آخر تفعيلة فيه) على وزن (مُتَفا) بدلاً من (متفاعلن)، نلاحظ مثلاً:

يجني وأشـ/ـكر في الهوى / يَدَهُ (و) /
مُتْفاعلن / متفاعلن / مُتَفا = فَعِلُن

(٢٠) الفرقد: نجم لامع بعيد في السماء، وهما: فَرْقدان.

وقد غادرَ خير الدّين الزّركلي سورية عند دخول الفرنسيين الشام، وحُكِمَ عليه – مع ثلّة من المجاهدين – بالإعدام في خبر طويل متسلسل في سِيرته.

والشّاعر هو: خير الدين بن محمود بن محمد الزّركلي، ولد في بيروت ١٣١٠هـ-١٨٩٣م من أبوين دمشقيّين، نشأ وتعلم في دمشق، ودرس في دمشق وبيروت. وغادر سورية عند دخول الفرنسيين سورية، وحُكم عليهم بالإعدام، فانتقل إلى الحجاز، ومصر والأردن، وأُعطِي في مكة المكرمة الجنسيّة العربية، وأسهم في إنشاء حكومة الأردن (١٩٢١-١٩٢٣)، وانتقل إلى مصر، وأنشأ المكتبة العربية، وأصدر ديوانه الأول في مصر، و(الأعلام) في طبعته الأولى.

ولمّا قامت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ حُكم عليه مجدّداً بالإعدام، فقد كان صوتاً عالياً من أصوات الوطنية السورية... وسنة ١٩٣٠ سكن القدس، وأصدر صحيفة ما لبثت السلطات الإنجليزية أَن أوقفتها. ثم اسْتُدعي ليؤدّي مهامّ دبلوماسية مختلفة، وكان آخر منصب السَّفير للمملكة العربية السعودية، وكانت وفاته في القاهرة سنة ١٩٧٦.

والزركلي إلى جانب شاعريّته مؤلِّف، وكاتب، ومؤرّخ، وقد خلّده كتاب الأعلام[٢١] الذي طوّره الزركلي أكثر من مرّة.

ويعدّ الزركلي في كبار شعراء الوطنية، وشعراء الثورة السُّورية.

إذن: نَجا الزركلي من سطوة الفرنسيّين، ولجأ مدة إلى مكة المكرمة، ثم لحق بمصر، وأنشأ مطبعة ومكتبة، ونشر ديوانه الأول سنة ١٩٢٥، وانشغل بالطبعة الأولى من كتابه الفَذّ: «الأعلام»، وكان قلبه في الوطن الصغير (الشام) وعَيْنُه ملتفتة إليه، **ولهذا قال في مطلع قصيدته النفيسة:**

العينُ بعد فراقها الوطَنا لا ساكناً أَلِفَتْ ولا سَكَنا!

(٢١) ترجم الزركلي لنفسه في آخر كتاب (الأعلام) من الجزء الثامن.

واجتمع على الزّركلي: حُبُّ الوطن - وكان غالباً شديداً - والحنين إلى مَنْ فيه جميعاً، والاغتراب وإن كان مُرحّباً به في بلد عربيّ عزيز عليه.

التقى هذا كله، مع شاعريّة عالية[٢٢] وفيض وجداني غامر، وشرارة لمعت له من شاعر قديم شَكا الغربة، وعَرَض نفسَه وحالَهُ على قارئ الشعرِ وسامعه؛ وسجل ذلك في قصيدة فائقة الجودة، شديدة التأثير.

قال خير الدين الزركلي: [من بحر الكامل الأحَذّ]

العينُ بعد فراقِهَا الوَطنا ... لا ساكناً أَلِفَتْ ولا سكَنا

رَيّانةٌ بالدَّمعِ أقْلقَها ... ألّا تُحِسّ كرىً ولا وسَنا[٢٣]

كانت تَرى في كلِّ سانحةٍ ... حَسناً، فباتت لا ترى حَسنا[٢٤]

والقلبُ لولا أَنّةٌ صَعِدَتْ ... أنكرتهُ وشككْتُ فيه أَنا!

ليتَ الّذينَ أحبّهم عَلِمُوا ... وهمُ هنالكَ ما لقيتُ هنا[٢٥]

ما كنتُ أحسبني مفارِقَهُمْ ... حَتّى تفارِقَ روحيَ البَدنا

يا موطناً عَبثَ الزَّمانُ بهِ ... مَنْ ذا الذي أغرى بك الزَّمنا؟

قد كان لي بكَ عن سواكَ غنًى ... لا كانَ لي بسواك عنكَ غِنى![٢٦]

---

(٢٢) انظر مثلاً ما كتبه د. سامي الدَّهَّان في كتابه: الشعراء الأَعلام في سورية، وسامي الكيالي في كتابه: الأدب العربي المعاصر في سورية: ٢٥٨-٢٦٨، وما ورد في مطالعات كُتّاب الإصدار المعنون بـ «علم الأَعلام» الذي جَمع ما قيل في خير الدين الزركلي من باحثين ودارسين، كالذي كتبه د. شكري فيصل فيه. وانظر: «خير الدين الزركلي» لأحمد العلاونة: لسرد سيرته وبيان كتبه...إلخ.

(٢٣) رَيّانة من الريّ. جعل اخْضِلالَ العين بالدّمع، لغزارته، ريّاً. وهو تعبير فائق الجودة.

(٢٤) السّانحة: الخاطرة، والجمع: سَوانح.

(٢٥) هنالك: في دمشق، والشّام.

(٢٦) جملة: «لا كان لي...» دعائيّة.

ما كنت إلا روضةً أُنُفاً كَرُمَتْ وطابَتْ مَغْرِساً وجنى[٢٧]
«عَطَفُوا عليك» فأوْسَعُوكَ أَذًى وهمُ يسمّون الأذى مِنَنا!!
و«حَنَوْا عليك» فجَرّدوا قُضُباً مسنونةً، وتقدّموا بـ«قَنا»[٢٨]
يا طائراً غنّى على غُصنٍ والنِّيْلُ يَسْقي ذلكَ الغُصُنَا
زِدْني وهِجْ ما شئت من شجني إن كنتَ مثلي تعرفُ الشَّجنا
أذكرتني ما لستُ ناسِيَهُ ولربّ ذِكرى جَدّدت حَزَنا
أذكرتني بَردى ووادِيَهُ والطّيرُ آحاداً به وثنى[٢٩]
كم ذا أُغالِبُهُ ويَغْلِبني دمعٌ إذا كَفْكَفْتُه هَتَنا[٣٠]
لي ذكرياتٌ في ربوعهمُ هُنّ الحياةُ تألقاً و سَنا
إنّ الغريبَ مُعَذّبٌ أبداً إن حَلّ لم يَنْعَمْ وإنْ ظَعنا
لو مَثّلوا لي موطني وَثَناً لَهَمَمْتُ أَعْبُدُ ذلكَ الوَثَنا![٣١]

– لقد اتفق النصّان في الروي وهو النون (المفتوحة)؛ واشتركا في عدد من المفردات المناسبة للشجن والبعد عن الأهل والوطن، واتفقا في حدة الانفعال بالشوق عن بُعد، واحتمال الصبر عليه؛ واشتركا في الشكوى من البُعد ومناجاة الطَّير، والتشوّق إلى الأهل والبلد؛ وزاد الزركلي على (البارع) قضية احتلال الأجنبي لبلاده، والتهاب العاطفة من تلك الجهة أيضاً.

(٢٧) الرَّوضة الأُنف: التي لم يطرقها أَحد (هي على حالها مِن الألق) ولم يَرْعَها أحد. وقوله: «عطفوا عليك» في البيت التالي تهكّم...

(٢٨) القضب: السّيوف (جمع قضيب). والقَنا: جمع القناة، والمراد: الرُّمح. وقوله: «وحَنَوْا عليك»: مبالغة في التهكم والإزراء.

(٢٩) المقصود وادي بَردى الذي يسلكه نهر بردى قبل دخوله دمشق بفروعه.

(٣٠) هتن الدمع: انسكبَ، ويقال: ديمةٌ هَتُون.

(٣١) أي: لو صاغوا الوطن تمثالاً (لو أمكنهم ذلك). والكلام جارٍ على المبالغة الفنّيّة.

وقد زاد من حرارة عاطفة الزركلي في القصيدة أن اغترابه كان اغتراب إلجاءٍ وإكراه، على حين كان اغتراب البارع اغتراب اختيار في حال أمان.

وانفرد البارع باختيار بحر المديد، والتفتَ الزّركلي إلى بحره المفضّل لتلك الحال: الكامل (الأحَذّ).

وعلى كثرةِ العناصر المشتركة بين النصّين في (مواد) الشعر الأولية، وفي الملمح النفسي العام، وفي الانفجار العاطفي الظاهر في بناء الشعر، بقي لكل شاعر أسلوبه، وشخصيته الفنية وبناؤه الشعري، وطابعه الذاتي، وحواره الداخلي، وخطابه لأهله وذويه وأصحابه وأهل بلده ومعاصري زمانه.

ويبقى للزركلي إبداعُه، وروعة خطابه، وأسلوب بنائه الشعري، وازدحام عواطفه، وانخراط هذا النص في خطّ طويل في ديوان الشاعر، من حبّ الوطن والانغماس في حبّه، والدفاع عنه والتشوّق إليه، وتفديته ومحاربة العدوّ فيه.

وقصيدة البارع على بحر المديد: نوع منه عروضه فَعِلُن وضَرْبُه فَعِلُن كالعروض، **ومثاله قول طرفة بن العبد**[٣٢]:

للفتى عقلٌ يعيشُ بهِ حيث تهدي ساقَهُ قَدَمُهْ

وضرب البيت هو: «قَدمُهْ» فَعِلُن.

ومطلع قصيدة البارع:

ذكرَ الأحبابَ والوطَنا والهوى والإلْفَ والسَّكَنا

فالعروض: «وطَنا = فَعِلُن»، والضرب: «سَكنا = فَعِلُن».

وهذا البحر «قليل الاستعمال... ولم يستعذب الشعراء في الجاهلية النظم عليه لثقلٍ فيه؛ ولذا قلّ في الشعر العربي قديمه وحديثه بالقياس إلى غيره...»[٣٣].

(٣٢) المعيار في أوزان الأشعار: ٤٧.

(٣٣) موسيقا الشعر العربي: ٤٠.

وقد عدل الزركلي عن إيقاع المديد، فهو لا يناسبه في مقصده في الكلام أولاً، وفي استيعاب انفعالاته، على المألوف في ديوانه من اختيار الوزن الملائم والقافية المناسبة.

وعند عبد الله الطَّيِّب أن الكامل الأحَذّ، والمُضْمَر[٣٤] من أوزان اللّين والترقيق[٣٥]، وأنهما يَنْفِران من الأسلوب الفخم الجليل... وهما يَجْفُوَان شيئاً عن الخطابة، ويستقيم فيهما الحِوار الظريف، والوصف المجيء به على أسلوب القصص، والخِطاب الرقيق في معرض التذكر والغرام والعظات[٣٦].

(٣)

ومن شعراء القرن السادس؛ وأدرك أول السابع؛ أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الغني بن أحمد... اللّخمي، المالكي، الفُطرسي (نسبة إلى جَدّه فُطرس، المعروف بـ النفيس)[٣٧]، وكان أديباً فقيهاً، وقال فيه ابن خلكان: «له ديوانُ شعر أجاد فيه». وترجم له العماد الأصفهاني، وقال فيه: «فقيه مالكيّ المذهب له يدٌ في علوم الأوائل والأدب»[٣٨]. ويبدو أنّ غرض المديح كان من أبرز أغراض شعره.

وكانت وفاة النفيس سنة ٦٠٣ بمدينة قُوص بمصر، وقد ناهز سبعين سنة من عمره.

---

(٣٤) في الكامل المضمر العروض فَعِلُن، والضّرب فَعْلُن، مثاله:

ولأنـــتَ أشـــجعُ مـــن أســـامةَ إذْ دُعيـــت نَـــزَالِ ولـــجّ فـــي الـــذُّعْرِ

(المعيار: ٦٣).

(٣٥) المرشد ١: ١٦١.

(٣٦) المرشد ١: ١٦٦-١٦٧.

(٣٧) ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ١: ١٦٤.

(٣٨) نقله في الوفيات ٢: ١٦٥. قال المحقق: لم ترد ترجمته في شعراء مصر من الخريدة.

وكان في مَمْدُوحي (النّفيس) الأمير شجاع الدين جَلْدَك التقوي المعروف بوالي دمياط. وأورد ابن خلكان[٣٩] قطعة من قصيدة له في مدحه، **قال فيها (من أوّلها):** [من مجزوء الكامل المُرَفّل]

قُل للحَبيبِ أَطَلْتَ صَدّكْ ... وجَعلْتَ قَتْلِي فيك وُكْدَكْ[٤٠]
إن شئت أَن أَسْلُو فَرُدّ ... عليَّ قلبي فهو عِنْدَكْ[٤١]
أَخْلَفْتَ حتّى في زِيا ... رَتِنا بطيفٍ منكَ وعْدَكْ
وأنا عليك كما عَهِدْ ... تَ، وإِنْ نَقَضْتَ عليَّ عَهْدَكْ
أَحْرَقْتَ يا ثَغْرَ الحَبيـ ... ـبِ حَشايَ لمّا ذُقْتُ بَرْدَكْ
وشَهِدْتَ أَنّي ظالمٌ ... لمّا طلبْتُ إليك شَهْدَكْ
أتظنُّ غُصْنَ البانِ يُعْـ ... ـجِبُني وقد عايَنْتُ قَدّكْ؟
أم يَخْدَعُ التفّاحُ أَلـ ... ـحاظِي وقد عايَنْتُ خَدَّكْ؟!
أَمْ خِلْتَ آسَ عِذارك الـ ... ـمَنْشُوقِ يحمي منك وَرْدَكْ؟![٤٢]

---

(٣٩) وفيات الأعيان ١: ١٦٤.
– وقد ترجم ابن خلكان للأمير جلدك، في آخر ترجمة النفيس.

(٤٠) كلمة الحبيب (على وزن فعيل) تذكر وتؤنّث، وأجرى الشاعر الكلام في القصيدة على المحبوبة المخاطبة بالشعر بصيغة المذكّر، وهو يريد التأنيث، جرياً على الأصل في كون فعيل بمعنى مفعول للمذكر والمؤنث. وانظر قول الأخطل الصغير الآتي ذكره: عش أنتَ إني متّ بَعْدَك!
– جعله وُكْدَهُ: مطلبه وشاغله.

(٤١) وقد قال جرير:
يا أم عمروٍ جزاكِ الله مغفرةً ... رُدّي علي فؤادي مثل ما كانا

(٤٢) يُشَبَّهُ العذار (ما نزل من الشعر عند الأذنين) بالآس، مقاربةً بين خضرته الشديدة، والسَّواد (كما قالوا سواد الغوطة وسواد العراق). وزاد الشاعر بإضافة رائحة الآس العطرية ليتم له معنى المنافسة بين الآس والورد (وهو من التشبيه، والكناية عن الخدّ بالوَرْد).
ومن الإشارة اللطيفة إلى حُمرة الخد قول شوقي:
جَحدتْ عيناك زكيّ دمي ... أكذلك خدّك يَجْحَدُهُ؟!

لا والـــذي جَعـــل الهـــوى مـــولايَ حتّـــى صِـــرْتُ عَبْـــدَكْ
يـــا قَلْـــبَ مَـــنْ لانَـــت مفـــا ... صِـــلُه، علينـــا مـــا أشـــدّكْ!
أتظنّنـــــي جَلْـــــدَ الهَـــــوى أم أنتَ في عَزماتِ (جَلْـدَكْ)؟!

(٤)

وَفي شعراء العصر الحديث بشارة عبد الله الخـوري (١٨٨٥-١٩٦٨)، مولده ووفاته ببيروت. صحافي شاعر، قال فيه خير الـدين الزركلـي[٤٣]: إنـه «أشهر شعراء لبنان في العصر الحديث».

درس في عدد من مدارس لبنان، وهو من تلاميذ عبد الله البستاني: أحـد علماء لبنان في اللغة والأدب. وأصدر بشارة الخوري جريـدة البـرق، وظـل يعمل في الصحافة طوال حياته.

و(الأخطل الصغير) اسم مستعار كان يوقع به بعـض مـا يكتـب، فغلـب عليه اللقب.

وصار مستشاراً في وزارة التربية الوطنية للغة العربيـة. ولـه ديـوان شـعر مطبوع[٤٤].

وقد غنّى المطربون كثيراً من قصائده في لبنان ومصر وسورية والعـراق. ومن قصائده المغناة «عش أنت» التي يدور حديثنا هنا حولها.

وشارك الأخطل في احتفالاتٍ وندواتٍ أدبيَّةٍ، منها مشـاركتُهُ فـي حفـل تكريم أحمد شوقي، ومنحه لقب: (أمير الشعراء)، سنة ١٩٢٧ في القاهرة.

عَنْوَن ديوانُ الأخطل الصغير للقصيدة[٤٥] بـ(عش أنـت) آخـذاً العنـوان

(٤٣) الأعلام ٢: ٥٣.

(٤٤) شعر الأخطل الصغير: بشارة عبد الله الخوري - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٧٢ ط٢.

(٤٥) ديوان الأخطل الصغير: ١٤٣-١٤٦. =

من مطلع البيت الأول:

عِـشْ أنـتَ إنّـي مِـتُّ بَعْـدَكْ وأطِلْ إلى ما شئتَ صَـدَّكْ![٤٦]

مـا كـان ضَـرّكَ لـو عَدَلْـ ... ـتَ أما رأتْ عيناكَ قَـدَّكْ؟[٤٧]

وجَعَلْـتَ مـن جَفنـيَّ مُتّـ ... ـكأً ومـن عينـيَّ مَهْـدَكْ

ورفَعْـتَ بـي عَـرْشَ الهـوى ورفعت فـوقَ العـرشِ بَنْـدَك[٤٨]

وأعـدْتَ للشّـعراء سَيّـ ... ـدَهُمْ وللعُشّـاقِ عَبْـدَكْ![٤٩]

يـا مَـنْ أسـأتَ بِـيَ الظّنـو ... ن ثَلَمْتَنِـي وثَلَمْـتَ خَـدَّكْ

إن لـم يكـن أَدبـي فَخُلْـ ... ـقكَ كان أَوْلـى أن يَصُـدَّكْ[٥٠]

أغضاضـةٌ يـا روضُ إنْ أنا شَاقني فشـمَمْتُ وَرْدَكْ؟[٥١]

ومَلامَـةٌ يـا قَطْـرُ إنْ أنـا راقنـي فأمَمْـتُ وِرْدَكْ؟[٥٢]

أَنْقـى مـن الفَجْـرِ الضَّـحُو ... كِ فهل أَعَرْتَ الفَجْرَ خَـدَّك؟[٥٣]

= – ظاهر الكلام طلب للتمادي في البعد والصدّ، وحقيقتُه العَتْبُ على ذلك، على أسلوب مألوف معروف في الفصيح والدارج من الكلام.

(٤٦) قوله: (عش أنت) جملة دعائية، وقوله: (وأطِلْ) أمرٌ على سبيل اللوم على الصدّ، مغلّف بصيغة القبول والرّضى، وهو عتابٌ رقيق.

(٤٧) جمع بين العَدْل في الحكم وبين الاعتدال في القوام، واستفاد من المشاكلة اللّغوية نوعاً من الجناسِ المقدّر.

(٤٨) البَنْد: العلم الكبير (معرّبةً).

(٤٩) أَطْرَفَ بالمطابقة بين السّيّد والعبد، واستفاد خصيصتين امتدح بهما نفسه: مكانته في الشعراء، ومكانته في العشاق!

(٥٠) إن لم يكن أَدبي كافياً ليمنعك من صدّي (وهجري) فحريٌّ بخلقك الكريم أن يعين على ذلك!.

(٥١) الغضاضة: العيب، والذلة، والمَنْقَصة.

(٥٢) أَمَّ الشيء: قصدَ إليه.

(٥٣) قارب – على نوعٍ من التشبيه – بين لون السّماء وفي وقت الإسفار (بين الفجر والشروق) وبين خدّ المخاطَبة بالشعر، وجاء بصيغة الاستفهام ليثير الانتباه! وجعل =

وأرقُّ مـــن طَبـــعِ النسيـــ ... ـمِ فهـل خَلَعْـتَ عليـهِ بُـرْدَكْ؟
وألـــذُّ مـــن كـــأسِ النديـــ ... ـمِ فهل أبَحْتَ الكأسَ شَهْدَكْ؟
وحيـــاةِ عَيْنِـــكَ وهـــي عنـــ ... ـــدِي مثلمـا القُـرآنُ عِنْـدَكْ(٥٤)
مـــا قَلْـــبُ أُمّـــك إنْ تُفَـــا ... رِقْهـــا، ولـــم تَبْلُـــغْ أَشُـــدَّكْ
فهـــوَتْ عليـــك بِصَـــدْرِها يـــومَ الفِـــراق لِتَسْـــتَرِدّكْ
بأشـــدّ مِـــن خفقـــانِ قلـــ ... ـــبي يـــومَ قيـــل: «خَفَـــرْت

قصيدة الأخطل الصغير نصّ شعريّ نظمه صاحبه لغرضٍ فَنّي بحت، فقد أعجب الشاعر - كما يبدو - بقصيدة النفيس، أو الباقي منها، وأراد أن يصنع قصيدة كالمعارضة أو المنافسة. صَدَر ذلك عنه بسبب إعجابه بالشعر الطّريف وزناً وقافية ومقصداً أدبيًّا. وجرى الأخطل الصغير في قصيدته على خصائص المذهب الشّامي في صنعة الشعر، ومن تلك الخصائص: الأخذ من الأَلفاظ الغريبة، وشيوع التّشابيه والاستعارات، وألوان من البديع (الجناس والطباق خاصّة).

واستفاد الشاعر من الأُسلوب القُرآني؛ فقوله: «ولم تبلغ أشدّك» من الآية الكريمة: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقوله: «ما قلب أمك...» من قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [القصص: ١٠]، وأدخل كلمة (القُرآن) في سياقٍ ملائم لغرضه من إظهار الصّدق والإخلاص مكمّلاً

= الفجر ضحوكاً، يعني: مشرقاً (بعد الليل)، وشبّهه بالبياض الظاهر من أسنان الفتاة المبتسمة الضاحكة. وفي الكلام استعارة.

(٥٤) لاحظ ما في عبارة (وحياة عينك) من الرقّة، ومن اللفتة الشعبيّة. وجاء بالتشبيه ليحقق تثبيت قَسَمِه الذي بدأ به البيت.

(٥٥) خَفر عهده: نقضَه.

- ونلاحظ لطافة الاستدارة التشبيهية في الأبيات الثلاثة الأَخيرة.

بذلك محاكاته للأسلوب الفني التقليدي[٥٦].

ويلاحظ قارئ قصيدة الأَخطل المُفردات الأساسيّة التي عالج بها قضية الغزل، وموافقتها أو مقاربتها لمفردات النفيس، كما يلاحظ ذلك في بعض العبارات أيضاً.

وهذا كلّه من دلائل إتقان الأخطل صنعة قصيدته على الأسلوب الشعري القديم، مع تميّز النص بإدارة الشاعر مقاصد القصيدة ومجرياتها من خلال ثقافته، وبراعته اللغوية، وإحكامه الإيقاع الذي اختاره فَقَلّده، ومِنْ تَمَثُّلِه للثقافة العربية الإسلاميّة.

وكأَنّ الأخطل، وهو يصنع قصيدته ويزخرفُها، وضع نفسه في موضع منافسة الشاعر القديم الذي حَرّك كوامنه الفنّية، واستخرج منه قصيدة مشابهة أو مقاربة، من خلال تمثّل ما رأى وقرأ واستمتع به، فجاءَ بنص جديد، ولكنه مغموس بخصائص القديم.

(٥)

بنى الفُطْرُسيُّ النّفيسُ قصيدته على مجزوء بحر الكامل المُرَفّل، وهو يتألف في كل شطر من تفعيلتي (متفاعلن)، غير أن تفعيلة الضرب الأخير (آخر تفعيلة في البيت) تجيء على وزن: (متفاعلاتن)، أي: بزيادة سبب خفيف (حركة فسكون: ـ٥) في آخر التفعيلة[٥٧]. وهذه الزيادة تعطي إيقاع القصيدة نغمة خاصّةً وإيقاعاً مميّزاً.

(٥٦) تغيرت كلمة (القرآن) الكريم في النص المُغَنّى إلى (الإيمان)، وهو تغيير أَضْعَف حماسة الشاعر (كما يصوّرها النصّ)، وأضعف الصورة الفنّية. ولكنه ملائم من الناحية الإعلاميّة.

(٥٧) انظر المعيار في أوزان الأشعار: ٦٢-٦٤.

وعَلّق د. عبد الله الطيب على مجزوء الكامل المذيل والمرفّل[٥٨] فقال: «الكامل المذيّل والمرفّل يزيدان على الكامل الأصلي (مُتَفاعِلُن مُتَفاعلُن) **بشيء من أناة، مع ما يشبهانه فيه من روح الترنّم والنشيد. ولهذا فهما يصلحان لأن تجيء فيهما** القصائد الطويلة الرقيقة التي تذهب مذهباً بين الخطابة والترنّم نحو **قول العَدْواني**:

أَأُسيدُ إنْ مالاً ملكْـ ... ـتَ فَسِرْ بهِ سيراً جميلا
آخِ الكرامَ متى استطعـ ... ـتَ إلى إخائهمُ سبيلا[٥٩]»

ونلاحظ مطلع قصيدة الفطرسي:

قل للحبيب أطلتَ صَدَّكْ وجعلتَ قتلي فيك وكدَكْ!

فالضرب من البيت هو: «لي فيك وكدك» والوزن: متفاعلاتن.

(٦)

وقد تنبّه الأدباء والشعراء والإعلاميون إلى **قصيدة الأخطل الصغير**:

عشْ أَنْتَ إنّي متّ بعدك وأطِلْ إذا ما شئتَ صَدَّكْ!

وهي قصيدة غزلية تضاف إلى التراث الغزلي الكبير في شعر الشاعر، لكنّ المزية كانت في اختيار الوزن والقافية، وائتلاف عناصر الشعر المختلفة ائتلافاً يدخل فيه الوزن والقافية ونوعاهما معاً، وائتلاف المعاني وأدوات البناء الشعري مع الإطار الخارجي من وزن وقافية.

وبلغ إعجابُ معاصري ولادة النصّ وانتشاره أَنْ تطوّعت إحدى

(٥٨) التّذييل: زيادة سكون في آخر تفعيلة من مجزوء الكامل، ومثاله:

يا بَدْرُ والأفعال يَضْـ ... ـربُها لذي اللبِّ الحكيمْ
دُمْ للخليل بودّهِ ما خيرُ ودٍّ لا يدومْ؟

(٥٩) المرشد إلى فهم أشعار العرب ١: ٩٨-٩٩.

الصُّحف بتقديم جائزةٍ لمن يَتَفَوَّق على أقرانه في معارضة قصيدة الأخطل الصغير المذكورة. وفي كتاب «المثالث والمثاني»[٦٠] صورة للأخطل الصغير في شبابه، وتحتها: «الصحافي الكبير الشاعر الناثر المبدع بشارة الخوري صاحب جريدة البرق المشهورة في بيروت». وجاء وراءها قصيدتان فازتا معاً بالجائزة الأولى لمسابقة أجرتها جريدة «الأحرار المصوّرة»[٦١] **لمعارضة قصيدة بشارة الخوري:**

عش أنت إني متّ بعدك وأطِلْ إذا ما شئتَ صَدَّكْ

أمّا القصيدة الأولى فكانت «من نظم الشّاعر[٦٢]: جرجي نَخْلة»[٦٣]، قال فيها:

والله ما أقصرتُ وُدَّك مهما أَطَلْتَ عليَّ صَدَّكْ
ما كان قبلك مَنْ أُحِبّ ... ولا أحبّ سواك بَعْدَكْ
ما بال ليلي لا يحو ... لُ فهل مَنَعْتَ الفجْرَ خَدَّكْ؟
أَحْيَيْتَه ظمأً إلَيْ ... كَ إذا شربت ذكرت شهدَكْ
حتى إذا طلع الصّبا ... حُ عرفْتُ في رَيّاه بُرْدَكْ!

(٦٠) المثالث والمثاني، حليم دَمّوس. ظهر الكتاب في جزأين، فالأول سنة ١٩٢٦ في مطبعة العرفان بصيدا (لبنان)، وعنوانه الكامل «المثالث والمثاني: مجموعة شعرية مصورة ورسوم لنخبة أدباء العصر وأَدِيباتِه مع أمثلة من خطوطهم وتواقيعهم». وصدر الجزء الثاني سنة ١٩٣٠ عن مطبعة العرفان بصيدا.

(٦١) صدرت جريدة الأحرار المصورة سنتي ١٩٢٦-١٩٢٧، وكان صاحبها الصحفي المشهور: جبران تويني. فالمسابقة جرت في إحدى هاتين السَّنتين.

(٦٢) لم أجد له ترجمة في مصادري. وفي معجم البابطين: جرجي نَخْلة سعد، كان حيّاً سنة ١٩١٦. قلت: وهاهو ذا يُشاركُ في المنافسة في الشعر في سنة ١٩٢٦ أو ١٩٢٧، ولم يذكر حليم دَمّوس في المثالث والمثاني سنة ١٩٣٠ شيئاً عن وفاته.

(٦٣) المثالث والمثاني ٢: ٢٩١-٢٩٢.

وجاءت هذه القصيدة في ستة عشر بيتاً، **وقال في آخرها**[٦٤]:

قد شاقني يا روضُ أنّ ... يَد الربيع كسَتْك مَجْدَكْ
عطفاً على العبد الفقيـ ... ـرِ جثا ببابك واستَمدَّكْ
ماذا عليه يوم وِرْ ... دِكَ خلسةً ويشمّ وَرْدَكْ؟[٦٥]
وإذا رأيتَ غضاضةً دَعْهُ يمُتْ، وسلمتَ وَحْدَكْ!

ونال الجائزة الأولى أيضاً حليم دَمّوس عن قصيدةٍ، **قال فيها**[٦٦]:

ودّعْتَني وأَطَلْتَ بُعْدَكْ فهجرتُ طيبَ العيش بَعْدَكْ
آهاً لعهدك في الهوى لو تَرْجعُ الآهاتُ عَهْدَكْ
عهدٌ ألذّ من المنى أيامَ وجدي هزّ وَجْدَكْ
والحُسْنُ دولتكَ الرفيـ ... ـعةُ والقلوبُ رفَعْنَ بَنْدَكْ
يا لَيّنَ الأعطافِ في قَهْرِ المتيّم ما أشَدَّكْ!
يا ناعسَ الأجفانِ في يَوْمِ الرّماية ما أَسَدَّكْ!

وجاءت القصيدة في أربعة وعشرين بيتاً، **وفي آخرها**:

قسماً بحبّك وهو أقْـ ... ـدَسُ حلفةٍ عندي وعندَكْ

---

(٦٤) المثالث والمثاني ٢: ٢٩٢.

(٦٥) كذا في المثالث والمثاني: «ويشمّ وردك»، قلت: وظاهر أن أصل الشعر: «لو شمّ وَرْدك» كما أتوسَّم.

(٦٦) المثالث والمثاني ٢: ٣٩٢-٣٩٤.

- وحليم دَمّوس (بن إبراهيم) (١٨٨٨-١٩٥٧) ترجم له الزركلي في الأعلام (٢: ٢٧٠) وقال فيه: متأدّب، له نظم كثير في بعضه إجادة، ولد ونشأ في زحلة بلبنان، وسافر إلى البرازيل وعاد إلى بلده، فشارك في تحرير جريدة المهذّب، واستوطن دمشق بعد الحرب الأولى إلى آخر حياته، وتوفي في مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت ودفن في (جونية) بناءً على وصيته. وقال فيه: كان مهذّب الطبع دمث الخُلق، له ديوان حليم، والمثالث والمثاني، والأغاني الوطنية ورسالة، وزبدة الآراء في الشعر والشعراء، وقاموس العوامّ، ورباعيات وتأملات، ويقظة الروح، وهي جميعاً مطبوعة.

مـــا حـــال شـــعبٍ بـــائسٍ هتفـوا بـهِ: «بُلّغْـتَ قَصْـدَكْ»
وغـــدوت حـــرًّا مطلقـــاً وأتمّـــت الأيـــامُ سَـــعْدَكْ
يومـــاً بأهنـــأ مـــن فـــؤا ... دي حين يغدو الصَّـدْرُ مَهْـدَكْ!

ونلاحظ الاستدارة التشبيهية في آخر القصيدة على غرار ما صنع الأخطل.

(٧)

لقد التقط الأخطل الصغير الأنغام التي وصلت إليه من قصيدة الفطرسي النفيس، وهي أنغام اجتمعت من إيقاع البحر الذي اختاره، والقافية التي ناسبت مقاصده، وأفادته في إيراد «جَلْدَك» اسم الممدوح إيراداً لا يخلّ بسلامة الإيقاع والموسيقا. لقد استطاع أن يجعل من ذلك الانتقاء في العروض والقافية مزيّةً لافتة. واتفق موضوعا القصيدتين في القسم الباقي من نصّ النفيس، والقصيدة التي أخلصها الأخطل لموضوع الغزل. وصنعَ الأخطل قصيدته على مَلْمَح قصيدة النفيس ومَنْحاه، فهي قصيدة حديثة قديمة، وهي مُتقنةٌ مُعجبة(٦٧).

(٨)

لقد اشترك الشاعران المعاصران في الالتفات إلى التراث الشعري وفي الغَوْص على نصوصه، والاستئناس به، أما الزركلي فكانت قصيدة (البارع) الشرارة والمنطلق، وغذّت وجدان الشاعر بما تحتاج إليه البداية: الفكرة،

(٦٧) وأما القصيدتان اللتان عارضتا قصيدة الأخطل (التي هي - أصلاً - معارضة للنفيس الفُطرسي) فليس هنا مجال الحديث عن تقويمهما، ولكني أقول اختصاراً: إنه يقال فيهما ما قال ابن الخيمي، في قصيدةٍ له مشهورة:

يـا بارقـاً بأعـالي الـرقمتين بـدا: «لقد حَكَيْتَ، ولكـنْ فاتَكَ الشَّـنَبُ»!

ترجم ابن شاكر الكتبي لابن الخيمي في فوات الوفيات ٢: ٤٥٨-٤٦٨. والقصيدة ثمّة، وقد عارضها وسمّطها كثيرون، ولابن خاتمة الأنصاري تخميس لها في ديوانه: ٥٠-٥٧.

وعدد من المفردات الأساسية الموحية، ومقاربة الاغتراب؛ ثم انطلق معبّراً عن حاله مستفيداً ممّا يدّخره في نفسه ووجدانه وفكره وشاعريّته؛ ومن جَمع غربة الذات إلى مأساة الوطن؛ واحتفظ بمثلِ رويّ البارع (حرف النون)، واعتمد البحر الذي جَرّبه من قبل في إحدى وثبات شاعريّته الوجدانية، واختار نمطاً من فروع بحر الكامل.

وأما الأخطل الصغير فأُعجب بقصيدةِ النَّفِيس: لفته أولاً إيقاعُها، ونَوعُ قافيتها، وهي قصيدة داليّة، فالدال هو حرف الروي، أمّا الكاف فتدعى في علم القافية وَصْلاً[٦٨]، وهي وإن لم تكن حرف الروي جزءٌ عن كلمة القافية، لازمة لأبيات القصيدة كلّها.

لقد تمثَّل الأخطل القصيدة، واستحضر الأدوات الفنية المشابهة لأدوات (النفيس) التي صنع بها شعره، وتمثَّل الزّمان والأحوال، وصنع قصيدة مشابهة. ويستطيع الناقد - لو شاء - أن يقول: إنها نسخة طبق الأصل عن نصّ عباسي متأخّر، سلك فيه الشاعر مسلك المذهب الشامي في صنعة الشعر، ثم ختم فوضع اسمه تحت القصيدة.

ولم يَخْلُ النص الأخطلي (المعاصر) من اللمحة الشامية في الرقة والدُّعابة والنَّفَسَ الشعبي كقوله: «عش أنت! إني مت بعدك»، وقوله: «وحياة عينك»....

ويظهر للقارئ والناقد أنّ الزركلي حَلّق في قصيدته، وأضاف إلى ما استفاده من نصِّ (البارع)، وصنع قصيدةً عليها طابعهُ الشخصيّ، وأسلوبه الذّاتي، من وراء ثقافة متعدِّدةِ الجوانب.

---

(٦٨) إذا كانت الكاف ضميراً مسبوقاً بحركةٍ عُدَّتْ وصلاً، والتزمَ الشاعر معها حرفاً آخر يكون هو الرويّ، أما إذا كانت مسبوقةً بسكون فهي الروي. (فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٥٥).

ونَسجَ الأخطلُ الصغير ثوباً جديداً، ولكنه ثوبٌ مَنْسوجٌ على منوالٍ قديم، وأدواتٍ فنّيةٍ تقليديّة. ولكن هذا لا يلغي جمال القصيدة، واتّساق أجزائها، وتسلسل أفكارها، ووصولها بالقارئ إلى ما أراد الشاعر أن يصل إليه، ويثيره من المقاصد والأنغام في آنٍ معاً.

ثم أقول:

- إن حركة الشعر العربي، على امتداد الزمن منذ العصر الجاهلي، هي حركة دائبة، متحرّكة مع الأجيال المتعاقبة، والأزمان المتوالية.

- وهي حركة حيوية: فاعلة منفعلة؛ فالشّاعر الذي يتربّى على ما كان بين يديه من نظم وما قدمه له شيوخه ومعلّموه، وما راقَهُ، أو ائتلف معه، ويَتَمثَّلُ ذلك، ويجعلُه في فكره ووجدانه، لا يلبث - إن جمع الموهبة إلى المتابعة والمدارسة - أن يكون عنصراً فاعلاً في تلك الحركة، ويترك أثراً يسجّله تاريخ الأدب له، ويخصّه به.

- والنصوص الشعرية الباقية للشعراء الذين ضاعت دواوينهم، أو لا تزال في بطون المكتبات - هي نصوص ذات أهميّة من جهتين: فهي تكشف عن حقيقة شاعرية ذلك الشاعر، وتدل عليها ولو كانت قليلة، وهي تفيد في توضيح صورة العصر الأدبية، والانتباه إلى أطيافها.

- وهي نصوصٌ تعدّل من الأحكام العامة التي يَقْتَرِحُها مؤرّخُو الأدب، وتجعلها أحكاماً غالبةً.

- ومن هنا يلتقط الدّارس، وهو يقرأ أشعار الشعراء الذين لا دواوين بين أيدينا لهم، تلك النصوص ذات المزايا الفنّية، والألق الشعري، والخصوصية الظّاهرة.

- هذه النّصوص مُفَرّقَةٌ في كتب الأدب، والاختيارات، والحماسات،

وفي كتب التواريخ والتراجم وبرامج العلماء وغيرها، وكثيراً ما يكون مؤلِّف مثل هذه الكتب ومصنّفها يشفّ عن شخصية أديب ذواقة يتقن الانتقاء والاختيار، ويقدم لنا - ممّا اختار - نتيجة مطالعاته، ورهافة ذوقه.

هذه الأشعار، وهي ماثلةٌ بين أيدي القراء عامة والشعراء خاصّة، قد تكون ملهمة، أو شرارة تلهب الشاعرية، وتصل ما بين الشاعر القديم فيما أبدع والشاعر التالي فيما تحرّكت له نفسه ومال إليه ذوقه، وطابت له خصائصه من ذلك الموروث (القديم)!.

* * *

المصادر والمراجع

- الأدب العربي المعاصر في سورية - سامي الكيالي - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية.
- الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٩.
- تاريخ الأدب العربي - د. عمر فرّوخ - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى.
- حياة الحيوان الكبرى - كمال الدين محمد بن موسى الدّميري - دار الألباب للطباعة والنشر (بيروت- دمشق).
- خير الدين الزركلي - أحمد العلاونة - دار القلم - دمشق، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ديوان ابن خاتمة الأنصاري - تحقيق محمد رضوان الداية - دار الفكر - دمشق الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٤م.

- ديوان الزركلي: خير الدين بن محمود الزركلي – مؤسسة الرسالة (بيروت – دمشق) الطبعة الأولى.
- ديوان خير الدين الزركلي – المكتبة العربية – القاهرة – ١٩٢٥ – الجزء الأول.
- شرح ديوان صريع الغواني: مسلم بن الوليد – للطبيخي الأندلسي – تحقيق د. سامي الدهان – دار المعارف بالقاهرة – الطبعة الأولى.
- شعر الأخطل الصغير: بشارة عبد الله الخوري – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٧٢.
- الشعراء الأعلام في سورية – د. سامي الدهان – مكتبة العباسية – دمشق، الطبعة الأولى.
- فن التقطيع الشعري والقافية – د. صفاء خلوصي – مكتبة المثنى – بغداد – الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- فوات الوفيات – ابن شاكر الكتبي – تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.
- الكافي في علم القوافي – أبو بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني، عرف بابن السّراج – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الملاح – دمشق.
- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس – تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتّاني الطبيب – تحقيق د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – الطبعة الأولى.
- المثالث والمثاني – حليم دموس – المطبعة العصرية – صيدا، الجزء الأول ١٩٢٦، الجزء الثاني ١٩٣٠.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب – د. عبد الله الطيب – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى.

- المرصع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأذواء والذوات - ابن الأثير الجزري - عالم الكتب - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي - دار المأمون - بالقاهرة - الطبعة الأولى.
- المعجم المدرسي - محمد خير أبو حرب - وزارة التربية - دمشق - الطبعة الأولى.
- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة (بيروت - دمشق) - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- المعيار في أوزان الأشعار - أبو بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني، عُرف بابن السّراج - تحقيق محمد رضوان الداية - دار الملاح - دمشق.
- وفيات الأعيان - ابن خلّكان - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.

* * *

المُستدرَكُ على
ديوان ابن النقيب الفقيسيّ
(ت ٦٨٠هـ)

أ. د. عباس هاني الجرَّاخ(*)

يعودُ اهتمامي بالحسن بنِ شاور المعروف بابن النقيب الفقيسيّ (ت ٦٨٠هـ) إلى سنة ٢٠٠٤م، وهو تاريخ انتهائي مِن جَمْعي لِشعرهِ وتَحقيقه، وقَدِ اطَّلعَ عليهِ بعضُ الباحثين والمحققين وقتذاكَ، وبَعد هُدُوءِ الأَوضَاعِ الأمنيَّةِ أصدرتُهُ كتاباً في مدينةِ الحلَّة سنة ٢٠٠٨م، ثمَّ رجعتُ إلى مصادر مخطوطة ومطبوعة أمدَّتني بنصوصٍ كثيرةٍ، ونَشرتهُ ثانيةً في دار (تموز) بدمشق ٢٠١٢م، ثمَّ في مجلة (الذخائر) البيروتيَّة، وظهر في العددين ٣٣-٣٤، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، وأخيراً قدَّمتهُ - مع زياداتٍ وافرةٍ - إلى دار صادر ببيروت، ونُشِرَ ضِمْنَ إِصدَارَاتها سنة ٢٠١٤م، ووَقَعَ في (١٦٧٤) بيتاً في (٣١٦) نَصًّا، ما بينَ قطعة ونتفة، فضلاً عن تخريجات جديدة، وإضافات هنا وهناك(١)،

(*) باحث من العراق

ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠١٩م.

(١) نَشَرَ د. محمد بن إبراهيم الدوخي (شعر ابن النقيب) سنة ٢٠٠٨م، وقد جمع للشاعر (١٠٨٧) بيتاً فقط، مع دراسةٍ سريعةٍ ومصادر قليلة، وقد اطَّلعتُ عليهِ عَبْرَ الشبكة العنكبوتيَّة (الإنترنت)، وكانَ خالياً من جميع الهوامش.

وسَبقتُ كلَّ ذلكَ بمباحث مهمَّةٍ تناولَتْ سِيرةَ الشاعر، ودراسة موضوعية وأخرى فنيَّة لِشِعرِهِ.

ولمْ أنقطعْ عن تتبُّعِ شعرِهِ في المظان المختلفَةِ، وكانَ أَنْ وَقَفتُ – بِحَمْدِ اللهِ وتَوفيقِهِ – على خَمسِ مخطوطاتٍ نادرة جديدةٍ ضَمَّتْ (٤٥) قِطْعةً جَدِيدَةً لمْ تَرِد في الدِّيوَان، مجموعها (٤٥٩) بيتاً ؛ لِذا صَنَعتُ منها هذا المستدرَك الذاتي على صنعتي للديوان، ومِن ثَمَّ يكونُ مجموعُ أبياتِ الشَّاعرِ كاملةً (٢١٣٣) بيتاً في (٣٦١) نَصًّا، سأضمُّها إلى طبعةٍ قادمةٍ إنْ شاء الله.

وهذا نصُّ المُستدرَكِ:

[١]

ابن النقيب: (الوافر)

١- فَإنْ تَكْلِمْ[٢] تَخَفْ عَتْباً ولَوماً ولَمْ تَحفَلْ بِذَمٍّ أَو هِجاءِ

٢- فَخَفْ دَعَواتِ مِثلِي في الزَّمانِ ورَفْعَ أَكُفِّهِمْ نَحوَ السَّمَاءِ

٣- فَمَا تُخطِي سِهَامُ الليلِ قَصْداً وإنْ أَبطَتْ إِجَابَاتُ الدُّعاءِ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٢ أ.

[٢]

ابن النقيب: (الطويل)

١- إذا كنتُ أَلقَى البؤْسَ عِندَ أَحِبَّتِي تُرَى عِندَ أَعدَائي يَكُونُ شِفَائِي؟

٢- إلى الماءِ يَسعَى مَنْ يَغَصُّ بِرِيقِهِ إلى أَينَ يَسعَى مَن يَغَصُّ بِماءِ؟

التخريج: مطلب الأديب ١٢٠.

(٢) تكلِمُ: تجرحُ.

[٣]

كتبَ ابنُ النَّقيبِ إلى العزازيّ[٣] جَوَاباً عَن أَبيَاتٍ: (الوافر)

١- كتابُكَ كفَّ مِنْ دَمعِي غَرُوبَا ونَفَّسَ مِنْ جَوَى قلبي كُرُوبَا
٢- ورَدَّ لِمَوطِنِ الأَجفَانِ نَوماً نَأَى عَن دَارِهِ، وثَوَى غَرِيبَا

منها:

٣- وكَمْ نَادَى على قُربٍ وبُعْدٍ حَمِيماً صَادِقاً وأَخاً حَبِيبَا
٤- فَما لبَّوا نِدَاهُ ولا دُعَاهُ وكُنتُ على النَّوَى المُصغِي المُجِيبَا
٥- وما أنسَاكَ ما أَغنَاكَ عنهُ وكَمْ نَسِيَ القَرِيبُ كذا قَرِيبَا

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠١ أ-١٠٢ ب.

[٤]

قال يعتذرُ: (الكامل)

١- مَنْ لا لهُ رَكْبٌ ولا مَركُوبُ مَا ذاكَ مَحسُودٌ ولا مَحسُوبُ
٢- فَإِذا تَأَخَّرَ أو تَعَذَّرَ سَعيُهُ فَالرُّسْلُ والأَورَاقُ عَنهُ تَنُوبُ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب، السفينة (١٦١٩) ٩٠ ب.

[٥]

كتبَ ابنُ النقيب إلى العزازيِّ، وبلغهُ أنَّ معشوقاً لهُ كانَ مُغضباً، فوقع الصُّلحُ بهِ والوصال، وكان أعارَهُ ديوانَي (كشاجم) و(ابن الظريف)، ولم يطلبهما منهُ. منها: (المتقارب)

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز المصري. تُوُفِّيَ سنة ٧١٠هـ. حقَّقَ ديوانَه وقدَّم لهُ د. رضا رجب، وصدرَ عن دار الينابيع بدمشق، ٢٠٠٤م، وقد كتبنا مقالاً نقديًّا مع مُستدرك، نُشِرَ في مجلة (آفاق الثقافة والتراث)، ع ٨٤، ٢٠١٣م، ص ١٢٢- ١٣٨. (وضمَّ المستدرك ١٤٦ بيتاً في ٢٣ نصًّا ما بين قصيدة ونتفة، فَضلاً عن ثلاثة موشَّحات، وملاحِظ نقديَّة وتخريجات جديدة).

١- وأنــتَ الخليــعُ بِــذاكَ الوليــد وعُــذِريُّ ذاكَ الغَــزالِ الأريــب

منها:

٢- فمليــت تقبيــل خــدّ الهــلال وضـمَّ قَـوام القضـيب الرَّطِيـب

منها:

٣- نسيت كشـاجم وابـن الظَّريـف ومـا فيهمـا مـن بـديعِ غَرِيـب

منها:

٤- وهنِّئتُ رَشْـفَ الطـلا مِـنْ لَمَـاهُ وكــأس جلاهَــا بِثَغــرٍ شَــنِيبِ

منها:

٥- فخُذْ منهُ حظَّكَ قبلَ الـذَّهابِ ومطلع شمسـك قبـلَ الغُـرُوبِ

٦- وثِــقْ بالإلــهِ، فــإنَّ الإلــهَ يُسَــامِحُنَا عَــن كِبَــارِ الــذُّنُوبِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ٩٥ أ.

[٦]

قال مجيباً العزازيّ عن قصيدةٍ: (الخفيف)

١- أَتُــرَى للعُيُــونِ عنــدَ القُلــوبِ طلبــات كثيــرة للحُــرُوبِ

٢- لــيسَ تنفــكُّ شــاهرات عليهــا كلَّ ماضٍ مِـنَ الـدِّماءِ خضـيبِ

٣- مُرســلات لهــا بغيــرِ قســيٍّ كلَّ سَـهْمٍ مِـنَ اللِّحـاظِ مُصـيبِ

٤- وجُفُــونٍ مِــنَ الفُتــورِ كســالَى وَهْيَ في الفَتكِ مُسرعَاتُ الوُثُوبِ

٥- يَتَّقيهــا غيــرُ الكئِيــبِ، ويَخشَــا هَــا، فَمَــا ظَــنُّكُمْ بِكُــلِّ كَئِيــبِ

٦- وقَــوامٌ يَهتَــزُّ مِــن فَــوقِ رِدفٍ كَاهتِزَازِ القَضِيبِ فَـوقَ الكَثِيـبِ

٧- حدَّثَتْهُ الشّـمالُ مـن عشـقها فيْـ ـهِ، فَغَارَتْ عليهِ رِيـحُ الجَنُـوبِ

٨- وَبرُوحِـي مَـنْ لا يُوافيـهِ حَقًّـا غَزَلِــي إنْ وَصَــفتُهُ أو نَسِــيبِي

٩- ينتمِــي وردُ خَــدِّهِ لِنصيبِيْــ ـــنَ، فيــا ليتَــهُ يكــونُ نصــيبِي

١٠- وإلـى ثَغـرِهِ وأنفاسـهِ تُنْـ ـسبُ أنفاسُ كُـلِّ عِطـرٍ وطِيـبِ
١١- وإلـى أحمـد العـزازيّ يُعـزَى كُلُّ فضـلٍ قـد حـازَ كـلّ أديـبِ
١٢- شَاعرٌ مـا يـرَى لـهُ مِـنْ ضـريبٍ في أعاريضِ شِـعرهِ والضُّـروبِ
١٣- وأديبٌ مُستعذبُ اللَّفظِ مُسْتَجْـ ـلِ المعانِي، مستملح الأُسلوبِ
١٤- هـذَّبَ القـولَ ثُـمَّ أَوجـزَ فيـهِ فَـأَتَى بـالوَجِيزِ فـي التَّهـذِيبِ
١٥- وامتطَـى بـاليَراعِ مَـتنَ بنـانٍ فَـأَتَى بِالبَيَـانِ والمَنسُـوبِ
١٦- وأرانِـي البعيـدَ غيـرَ بعيـدٍ وأَرانِـي القَرِيـبَ غَيـرَ قَرِيـبِ
١٧- وكـأنَّ اليَـراعَ فـي يَـدِهِ الطُّـو لَى خَطيبٌ يثنِي على ابن الخطيبِ
١٨- أَيُّهـا المُبتَـدِي بِحُسْـنِ ثنـاءٍ فـائقٍ رائـقٍ علـى ابـنِ النَّقيـبِ
١٩- أنتَ ما زلْتَ صَاحِبَ الفَضْلِ، وَالفَضْـ ـلُ بِـلا مِريـةٍ ولا تكـذِيبِ
٢٠- وَصَلَتنِي عقـودُ نَظْمِـكَ يـا أَحْـ ـمَدُ، تسبي العُقُولَ في التَّرتيـبِ
٢١- كَسَبَتْ طِرسـها جَمـالاً وحُسْـناً مثـل عقـدٍ مُـزَيَّنٍ بتَريـبِ
٢٢- أَطْرَبَتْنِـي ألفاظُهـا ومَعَانِيْـ ـهَا، ومـا كنـت قبلهـا بِطَـروبِ
٢٣- عَرَضَتْ لي، فَمَا صَبَوتُ إلى التَّصا بِي، وأَعرَضتُ عندَهَا عَن حَبِيبِ
٢٤- وتَخَيَّرتُهـا علـى حُسْـنِ مـا قـا لَ ابنُ هاني بِمِصرِنا في الخَصِيبِ(٤)
٢٥- وأَفـادتْ قلبـي الحَـزِين سُـرُوراً وأَعـادَتْ صِـبَايَ بَعـدَ المَشِـيبِ
٢٦- وتَصَـفَّحتُها، فَأُفحِمْـتُ حتَّـى صِرتُ ذا عُجمَـةٍ علـى تَعريبِـي
٢٧- ولـئِنْ قُلـتُ كـادَ يُشـبِهُهَا زَهْـ ـرٌ وزُهْـرٌ فكـاد للتَّقريـبِ
٢٨- وأَتَـانِي بِهَـا أَدِيـبٌ أَرِيـبٌ وكـذَا مُرسـلُ الأديـب الأريـبِ
٢٩- مَـا ابتَـدَأني تَأَدُّبـاً بسُـؤالٍ بـل إذا مـا سـألتُ فهُـو مُجيبِـي
٣٠- إِنْ تَثَنَّـى أثنَـى القضـيبُ عليـهِ أو تَغَنَّـى أَغنَـى عَـنِ العنـدلِيبِ

(٤) يُشيرُ في عجز البيتِ إلى أبي نواس وممدوحه والي مصر الخصيب.

٣١- يَـا أَبَيَّـا يَقتَـادُ كُـلَّ أَبِـيٍّ مِنْ نِظامِ الكَلامِ قَودَ الجَنِيبِ
٣٢- والـذِي نفسُـهُ الأَبِيَّـةُ تَـأْبَى أَنْ يُسَـمَّى بِشَـاعِرٍ مُسـتثيبِ
٣٣- والـذِي يَسحرُ القُلُوبَ بِشِعرٍ بلْ بِسِحرٍ مِنَ الكَلامِ خلوبِ
٣٤- دُمتَ يا شاعرَ الشَّآمِ ومصرٍ في أمانٍ مِنْ حادثاتِ الخُطُوبِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ٩٣ أ – ٩٣ ب.

[٧]

ابن النقيب: (الطويل)

١- إذا زارَ بِالجُثمانِ غيري فإِنَّني أَزورُ مَعَ السَّاعاتِ رَبعَكَ بالقَلبِ
٢- وما كُلُّ ناءٍ عن ديارٍ بِنَازِحٍ ولا كُلُّ دانٍ بِالزِّيَارَةِ ذا قُرْبِ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب.

[٨]

قال: (مجزوء الكامل)

١- المَرءُ بِالدُّنيا شَديـ ـدُ تَعلُّقٍ حَتَّى المَمَاتِ
٢- تَلقَاهُ ذا أَمَلٍ بِها ما كانَ ذا أَجلٍ مُوَاتِي
٣- وَهوَ الأَسِيرُ بِحُبِّهَا مَا دَامَ في قَيدِ الحَيَاةِ

التخريج: التعليقة في أخبار الشعراء ١٢ ب.

[٩]

قال: (الكامل)

١- فلأشكُرنَّكَ ما حَييتُ وإنْ أَمُتْ أوصيتُ من بعدي بها ورَّاثِي
٢- دَينٌ عليَّ لكَ اعترفتُ بِقَبضِهِ ووفاهُ قَبلَ تَقَاسُمِ المِيرَاثِ

التخريج: جواهر الكلام ١١ ب.

[١٠]

ابن النقيب: (الطويل)

١- أَأَحبَابَنَا كَمْ تَجرَحُونَ بِهَجرِكُمْ فُؤَاداً يَبِيتُ الدَّهْرَ بِالهَمِّ مُكْمَدَا؟
٢- إِذا رُمْتُمُ قَتلي، وَأَنتُمْ أَحبَّتي فَمَاذا الذي أَخشَى إِذا كُنتُمُ عِدَا؟

التخريج: مطلب الأديب ١٢٠ أ.

[١١]

كَتَبَ إِلى ابنِ الظَّهيرِ الإِربلِّيّ: (الكامل)

١- أُهدِي إليكَ أَجلّ ما يُهدَى مَنْ لَمْ يَخُنْ وُدًّا ولا عَهْدَا
٢- بَعَثَ النَّسيم لِروضةٍ أُنُفٍ تَندَى مَعَاطِفهُ كَمَا تَنْدَى
٣- فَجَلَى أزاهرَهَا لهُ، وجلَا غُصنَيْنِ منها الشُّكر والحمدَا
٤- وتجشَّمَ الأهوالَ يركبُها وكذاكَ مَنْ يتطلَّب المجدَا
٥- وإذا رآهُ والتَقَاهُ فَقَد لَحظَ السَّعَادَةَ والتقَى السَّعدَا
٦- مَرآهُ كُحْل جلاء ناظرِهِ تجلُو قذاهُ، فلمْ يعُدْ يصدَا
٧- يا ابنَ الظَّهيرِ ومَنْ فَضَائِلُهُ تَجْلَى وتُسْتَجْلَى وتُسْتمدَا
٨- هذا العزازيُّ الشِّهَابُ، وهَلْ يَخفَاكَ عَرْفُ النَّدِّ إِنْ نَدَّا؟
٩- قد زارَ جِلِّق لا لِغَوطَتِهَا شَوقاً، ولا نهراً بها مدَّا
١٠- إِلَّا لِيودعَ سَمْعهُ دُرَراً قد طالما نظَّمتَها عقدَا
١١- ويذوقَ منْ لفظٍ تَفُوهُ بهِ نفساً يفوقُ الخمرَ والشَّهْدَا
١٢- واسْمَعْ لِمَا تُوحِي قَصائدهُ ممَّا بهِ يُشدَا ومَا يُحدى
١٣- وانظرْ لِمطلعِهَا ومَقطَعِهَا في جَودةِ الأَلفَاظِ والمَبدَا
١٤- وموشَّحات ما رأيتُ لها مثلاً، ولَمْ أَشهدْ لها نِدَّا
١٥- كَمْ قد تَهَادَتْهُ المُلوكُ، وكَمْ أهدَى إليها خيرَ ما يُهدَى
١٦- ولأنتَ ذاكَ الصَّيرفيُّ، ومَنْ نَقَدَ الكَلامَ فَأَحسَنَ النَّقدَا
١٧- أعديته بالشَّوقِ فيكَ، وبالـ أشواقِ والعُذريُّ كَمْ أَعدَى

١٨- ومحمَّـد شَـوقي لـهُ أَبـداً مُتَـرَادِفٌ، مُتَضَـاعِفٌ جِـدَّا
١٩- ذاكَ الـذِي قـد ظـنَّ بـي حُسْـناً فَسَعَى إِلـيَّ، وأَحسَـنَ القَصـدَا
٢٠- ورأيـتُ منـهُ مكارمـاً وَفـراً لـمْ أُحصِـهَا حَصـراً ولا عـدَّا
٢١- لا زالَ يفتْـي فـي العُلُـومِ بِمَـا لـمْ يسـتطِعْ أَحـدٌ لـهُ رَدَّا

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٨ ب.

[١٢]

أهدى ابنُ النقيبِ إِلى العزازيِّ أَقلاماً، وأَرسَلَ لهُ هذه الأبيات: (الوافر)

١- بعثـتَ بهـا تُـذكِّرني القُـدودَا ومختضـب الأنامـل والخـدودَا
٢- ومـا وافـتْ مُجرَّحـة، ولكـنْ معدَّلـة بـودِّكَ لـي شُـهُودَا
٣- أَتَـتْ ملكيَّـة تُعـزَى لِعِيسَـى ولمْ تـذق الختـان ولا الحديـدَا
٤- وقـد أمنـتْ بباريهـا، وقامـتْ بِخِدمتِـهِ، ومـا أبـدَتْ جُحُـودَا
٥- أَتَتْ عددَ الصَّحابة مـن صـدِيقٍ صدوقٍ، لمْ يزَلْ يرعَى العُهُـودَا
٦- شـهابٌ كـمْ تَوَقَّـدَ مـن ذَكـاءٍ وكـمْ أبـدَى بِمنطقـهِ وقُـودَا
٧- أديـب فاضـل نفسـاً ودَرسـاً وسَلْ عنـهُ المقاصـد والقصيـدَا
٨- تَهادتـهُ المُلـوكُ ونادَمَتـهُ وأسـمعها سِـواهُ لـهُ النَّشِـيدَا
٩- وصـاغَ لهـا مِـنَ الأمـداحِ حليـاً تُـزانُ بـهِ وقلَّـدها عُقـودَا
١٠- وأيقظَ مِنْ معـانِي الشِّـعرِ فـيهم عيـون محاسـنٍ كانـت رُقُـودَا
١١- وشـيَّدَ مِـنْ مَـدائِحِهِمْ بُيُوتـاً وخلَّـدَ فِـيهِمُ مَـا لـنْ يَبِيـدَا
١٢- ومـا وفَّـوهُ مـا هُـوَ مُسـتحقٌّ ولو وَصَلُوا بـهِ الغَـرَضَ البعيـدَا
١٣- وما وَفَّـى الثَّنَـا عمـرُو بـنُ هنـدٍ بِمـا أعطَـى الرَّبيـعَ ولا لبيـدَا
١٤- أَيَا مَـنْ قَـد نَـوَى عَنِّـي ارتحَـالاً وأخلـفَ مـن إقامتـهِ وُعُـودَا
١٥- أَترحـلُ فـي جُمـوعِ سـالماتٍ وتتركنِـي وأَشـواقِي وحِيـدَا

١٦- وقد أبليتُ مِن شَيبي ثِيَاباً وقد أخلقتُ من عُمرِي جَدِيدَا
١٧- فَأُقسمُ ما التَذَذتُ بِطِيبِ عَيشٍ ولا ذُقتُ الكَرَى حتَّى تَعُودَا

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٣ أ.

[١٣]

قال يخاطب العزازيَّ والسراجَ الورَّاق: (الطويل)

١- أَبَحرَانِ قَد عَبَّا وهَاجَا وأَزبَدَا أَمِ القَمَرانِ النَّيِّرانِ تَوَقَّدَا؟
٢- فيا لهما مِن زاخِرَينِ تَسَاجَلا فَقَصَّا عَنِ الأَكبَادِ وَاقِدَةَ الصَّدَا
٣- ومِنْ شَاعِرَينِ استَعليَا لِمكانَةٍ مِنَ الشِّعرِ جلَّتْ أَنْ يُحَدَّ لها مُدَى
٤- سِراجٌ كَسَا عِرضَ الشَّهابِ مِن الثَّنا بَيَاناً ومَدحاً لَيسَ يبلى وجَدَّدَا
٥- فعمَّرهُ الله الذي مِنهُ نُورُهُ وعمَّرَ قلباً منهُ بالذِّكرِ والهُدَى
٦- فَجاوبَهُ عن مَدحِهِ الحُرُّ أَحمَدٌ جواباً مُفيداً، لا مجاوبة الصَّدَى
٧- وقد نَظَما داليَّتينِ وأَبدعَا وقد رَمَيَا سَهمَينِ سَدَّا وسَدَّدا
٨- إمامانِ في نَظْمِ الكلامِ ونَثرِهِ وقد بَرَعا فِي فَنِّهِ وتَفَرَّدَا
٩- إذا خطبَ الأقلام ما سمحا بهِ من القَولِ خَرَّتَ في المَهَارِقِ
١٠- وما عزَّزا في ذاكَ مِنِّي بثالثٍ ولكنَّنِي كُنتُ الرَّسِيلَ إلى المَدَى
١١- وإِنِّيَ عنْ شَأْوَيهما لَمُقصِّرٌ وكُلُّ فَصيحٍ قَامَ لِلشِّعرِ مُنشِدَا

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٥ أ.

[١٤]

كتبَ إلى العزازيِّ: (الخفيف)

١- أينَ من شِعركَ الفرزدقُ قِدْماً وجَريرٌ وجَروَلٌ ولَبِيدُ؟
٢- كُلُّهُمْ للشِّهابِ أحمد في الشِّعْـ ـرِ عبيدٌ، إن ارتَضَى، وعَبيدُ
٣- وثَنَاهُ مَا لا يبيدُ، وأَمَّا ما سِوَاهُ مِنَ الثَّنَاءِ يَبِيدُ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٠ أ.

[١٥]

ابن النقيب: (الكامل)

١- قد كُنتَ عُدَّتيَ التي أَسطو بها ويَدي - إذا اشتدَّ الزَّمانُ - وساعِدِي
٢- فَرُمِيتُ مِنكَ بِغَيرِ ما أَمَّلتُهُ والمَرءُ يشرقُ بالزُّلالِ البارِدِ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٠ أ.

[١٦]

كتبَ إلى العزازيِّ يُعَاتِبهُ على عَدَمِ زِيَارَتِهِ: (الطويل)

١- وإِنِّي غَنيٌّ عن تَفَقُّدِ مَعشَرٍ سِوَى أحمدٍ لي حاجةٌ بِافتِقَادِهِ
٢- فَمَا بَالُهُ قَد مَالَ عنْ حُسْنِ ظَنِّهِ وَحُسْنِ تَأَتِّيهِ، وحُسْنِ اعتِقَادِهِ
٣- وما هُوَ إِلَّا جِهْبِذٌ في انتِقَائِهِ وذو بَصَرٍ، لا خانَهُ، في انتقادِهِ
٤- وذُو خَاطِرٍ كالمَاءِ في جَرَيَانِهِ ولكنَّهُ كالنَّارِ عِندَ اتِّقَادِهِ
٥- يَرُوضُ أَبِيَّ القَولِ في كُلِّ مَعرَكٍ فَيصحَبُ مَجنُوباً لهُ في مَقَادِهِ
٦- ولو زارَ يوماً رَدَّ قلبي لِوَكْرِهِ ورَدَّ على جَفنِي لذِيذَ رقادِهِ
٧- فقد حَكَمَ التَّسهيدُ ما غابَ وجهه على هدبهِ مَعْ حَاجَتِي بِانعِقَادِهِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ٩٥ ب.

[١٧]

كتبَ ابنُ النقيب إِلى العزازيِّ جواباً عن قصيدةٍ: (الكامل)

١- أنفذتَ أحسنَ ما أَتَى مِنْ مُنفذِ باللهِ من عينِ الحسودِ تَعَوَّذِ
٢- شعرٌ أَدرتَ عليَّ من ألفاظهِ نُبَذاً، فَكَانَ بِكأسِهِنَّ تَلَذُّذِي
٣- شَافَى الحَدِيثَ لأَنَّهُ من مُسْلمٍ يَروي كمَا يَروِي حَدِيثَ التّرمِذِي
٤- ونقعتَ غلَّةَ ما بقلبي من صَداً بِسَخائِكَ المُتَرَدِّدِ المُتَلَذِّذِ
٥- وأَمرتَ أَنْ آتِي بِمِثلِ رَوِيِّهِ وأنا السَّميعُ، فقلت: من هذِي وذِي

٦- يا مَنْ غَدَا وهو المعاذُ لِعُوَّذِ فيما عَرَا، وهو المَلاذُ لِلَّوَّذِ
٧- أَفحَمتَ أَربَابَ القَريضِ بِأَسرِهِمْ مِنْ كُلِّ مِصريٍّ وكُلِّ مُبَغذِذِ
٨- وبَعَثتَ لي ضَرباً يُشابُ بِقَهوةٍ أو ماء مُزْنِ دَوِيَّةٍ[٥] بِطبرزذِ[٦]
٩- وَأَتَيتَنِي بِمُجدِّدٍ في حُسنِهِ لكنَّني عَارَضتُهُ بِمُجَذِّذِ
١٠- لا زلتَ تَرمِي يا شهابَ الدِّينِ كُلْ لَ مُعَانِدٍ لكَ بالمعاني النُّفَّذِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٢ ب -١٠٣ أ.

[١٨]

ابن النقيب: (الطويل)

١- وإِنْ كانَ شَخصِي غَائِباً عَن دِيَارِكُمْ فَصَبرِيَ مَحظُورٌ، وقَلبيَ حَاضِرُ
٢- وما كُلُّ دَانٍ بِالمَحَبَّةِ دَائِنٌ ولا كُلُّ قَاصٍ في المَوَدَّةِ قاصِرُ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب.

[١٩]

قال: (البسيط)

١- أنا المُحبُّ، ونارُ الشَّوقِ آلمنِي والغَيرُ بِالوَصلِ قَد دقَّتْ بَشَائِرُهُ
٢- لا عيبَ لي غيرَ أَنِّي مِن دِيارِهِمُ وزامرُ الحِيِّ ما تطرب مزامرُهُ

التخريج: سكردان العشَّاق ٥٣ ب.

[٢٠]

كتبَ إلى العزازيِّ مجيباً لهُ عن قصيدةٍ يَطلُبُ فِيها مِنهُ سَمَكَ الرَّاي مَقلُوًّا: (الوافر)

١- طلبتَ الرَّايَ مِنْ شَيخٍ كبيرٍ حَنيكٍ بالتَّجاربِ مُستشَارِ

(٥) الدويَّةُ: الفلاة المستوية الواسعة البعيدة الأطراف.
(٦) الطَّبَرْزَذُ: السُّكَّرُ. تاج العروس (طبرزذ).

٢- مُـــدَاوٍ للقُلُـــوبِ إذا تَشَـــكَّتْ فَحَسْبُكَ بِالمُـدَاوي والمُـدَارِي
٣- وغـــوَّاص علـــى دُرَرِ المعـــانِي وطـــلَّاعٍ لِأَفـــلاكِ الـــدَّرَارِي
٤- فيختـــار الكواكـــبَ مـــن بُـــرُوجٍ ويختـــارُ الفَرَائِـــدَ مِـــن بِحَـــارِ
٥- وأَحمد خيرُ مَـنْ عرضَـتْ عليـهِ وأعـــرف بـــالجَواهرِ والنُّضَـــارِ
٦- أديـبٌ سَـارَ فـي شَـرقٍ وغَـربٍ بِـــذِكْرٍ مُســـتطابٍ مُســـتطارِ
٧- ووقَّـــاد القَريحـــةِ مـــن ذَكـــاءٍ متَى اقتَدَحَتْ وَرَتْ بلهيـبِ نـارِ
٨- لـــهُ شِـــعرٌ كمِثـــلِ الـــنَّجمِ سَـــامٍ ومِثـلِ الطَّيـفِ بالأحبـابِ سَـارِ
٩- مُجيـدٌ فـي فُنـونِ الشِّـعرِ طُـرًّا وفي تطويلـهِ، أو فِـي[٧] اخْتِصَـارِ
١٠- وفـي عمـلِ الرَّويَّـةِ إِنْ تَـرَوَّى وفـي حُسْـنِ البَدِيـهِ والابتِكـارِ
١١- أَأحمـدُ لا عَـدِمتُكَ مِـنْ صَـديقٍ حمدتُ أخـاهُ عنـدَ الاختبـارِ[٨]
١٢- أَشَـــارَ إلـــيَّ لا لِسِـــوايَ حـــلًّا بِنَجوَى النَّفسِ حتَّى في السِّـرَارِ
١٣- وأَهَّلنـــي كمـــا هـــو مُشـــتَهِيهِ فَقُمـــتُ لِمَـــا أرادَ بِـــلا اعتـــذَارِ
١٤- وقَد أَرسَـلتُ ذَاكَ إِليـكَ فَاعـذرْ وقَابِلْ - إِنْ هَفَوتُ - بِالاغتِفَـارِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ٩٥ أ.

[٢١]

ابن النقيب: (الطويل)

١- مَرضتُمْ فَأَمسَكْتُ الزِّيَارَةَ عَامِداً ومَا عَن قِلًى أَمسَكتُها، لا ولا هَجْرِ
٢- ولكنَّني أَشفَقتُ مِن أَنْ أَزُورَكُمْ فأُبصِرُ آثَارَ الخُسُوفِ على البَدْرِ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب.

[٢٢]

كتبَ إلى العزازيّ: (الخفيف)

(٧) في الأصل: «وفي».
(٨) في الأصل: «اختبار».

١- خلِّنِي مِنْ حَدِيثِ شِعرِ المَعَرِّيْ ... يِ قَدِيماً، وَمِن حَدِيثِ المنازِي[٩]
٢- وحديثِ الكُوفِيِّ[١٠] والجاسِمِيِّ[١١] الـ ... ـدَّارِ، واذكُـرْ حَـدِيثَ شِـعرِ العـزَازي
٣- فهو شِعرٌ كالعقدِ في عُنُقِ النَّظْـ ... ـمِ، وفي نَسجِهِ كمِثلِ الطِّرازِ
٤- (شاعر مُنشدُ القَريض لدَيهِ ... يَضَعُ الثَّوبَ في يَدَي بَزَّازِ)[١٢]
٥- نَاقِدٌ للكلامِ نَقدَ بَصِيرٍ ... بِاحتِرَاسٍ في نَقدِهِ واحتِرازِ
٦- وسِوَاهُ أَعمَى، ولكنَّهُ يَمْـ ... ـشِي بِلا قَائِدٍ ولا عُكَّازِ
٧- فَارسُ الصَّنعَتَينِ نَظماً وَنَثراً ... تَتَّقيهِ الأَبطالُ يَومَ البِرَازِ
٨- وإمامُ الشِّعرِ الذي هو مُفتٍ ... بِجَوَازٍ فِيهِ، وغَيرِ جَوَازِ
٩- والذي حَلَّ مُشكلاتِ المَعَاني ... وأَحَاجِي الكلامِ والأَلغَازِ
١٠- والسَّليمُ الطِّباع في الشِّعرِ واللَّحْـ ... ـنِ، وفِي كُلِّ بردةٍ وأوازِ[١٣]
١١- والبديعُ البديهُ يَومَ ارتِجَالٍ ... والسَّرِيُّ الرَّوِيُّ يَومَ ارتِجَازِ
١٢- ذو جَنَانٍ كالزَّاعبيِّ مُضاءٍ ... ولسانٍ كالمشرفيِّ الجرازِ
١٣- وقوافٍ فيها الحياةُ، وفيها الـ ... ـمَوتُ، فهيَ المُسالِمَاتُ الغَوازِي
١٤- ووعيدٍ يُخشَى، ووَعْدٍ يُرَجَّى ... وهو في الحالتين ذو إنجَازِ
١٥- لا يُملُّ الإسهاب منهُ، وإنْ أَوْ ... جَزَ كانَ البَلِيغَ في الإيجَازِ
١٦- أحمدُ أحمدُ البريَّةِ طُرقاً ... سَهْلةً في مَدَائِحٍ وتَعَازِي

(٩) أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي، نسبةً إلى منازجرد (من بلاد أرمينية): شاعر، اجتمع بأبي العلاء المعري وله معه قصة لطيفة. توفي سنة ٤٣٧هـ.
(١٠) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبيِّ.
(١١) هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائيّ. وُلِدَ في قرية جاسم.
(١٢) البيت مضمَّنٌ، وهو للمتنبيِّ، ديوانه ١٩٠، وفيه: «ملِكٌ».
(١٣) الآواز، مفردة فارسيّة، تعني اللحن أو النَّغَم.

١٧- شِعرهُ المُرسلُ النَّبيءُ المَعَانِي جَاءَ بالبيِّناتِ والإعجازِ
١٨- يا فريداً أضحَى بغيرِ مُضاهٍ ووَحِيْداً أمسَى بِغَيرِ موازِ
١٩- خُذْ ثناءً أرجُو بهِ أنْ أُجازِيْـ ـكَ، وإنِّي لَعَاجِزٌ أَنْ أُجَازِي

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٠ أ - ١١٠ ب.

[٢٣]

استعارَ ابنُ النقيب (ديوان الغزِّيّ) من العزازيِّ، ثمَّ رَدَّهُ، وكَتَبَ إليهِ: (المجتث)

١- كمْ لي بِشِعرِكَ هِزَّهْ مِن قَبلِ شَاعِرِ غَزَّهْ
٢- وكمْ تَمَتَّعَ سَمعِي فيهِ، وطَرفِي تَنَزَّهْ
٣- أَلفَاظُهُ جَاريَاتٌ وسَهْلةٌ غيرُ كزَّهْ
٤- أَبيَاتُهُ كمْ بِهَا مِن فَتَّانَةِ الحُسْنِ بَرْزَهْ
٥- وإنَّها فَاغْتَنِمْهَا لَفُرْصَةٌ ولَنُهْزَهْ
٦- كريمةٌ وهي تُعزَى إلى كِرَامٍ أَعِزَّهْ
٧- إلى الشِّهَابِ العزَازِيْ يِ ذِي الجَنى والمهزَّهْ
٨- طابوا، فَلا نَفسَ تُلفَى مِنْ قُرْبِهِمْ مُشمَئِزَّهْ
٩- فَدَامَ مَا وَحَّدَ اللـ ـهَ مُؤمنٌ، ثُمَّ نَزَّهْ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٤ ب.

[٢٤]

كتبَ ابنُ النقيب إلى العزازيِّ جوابَ أَبياتٍ: (الطويل)

١- رفعتَ شِهابَ الدِّينِ أحمدُ مُهدِياً إليَّ عَرُوساً، والبديعُ جهازُهَا
٢- مُمَنَّعَة عزَّتْ على مَن يرُومها ومنعتُها حقَّتْ لها واعتزازُها منها

٣- أديبُ قوافِي الشِّعر هانَ بِهِ علـى سِرَاطِ المَعَانِي والبَدِيع مَجَازُهَـا

منها:

٤- قصائدُ إن أثنى عليها إياسُها[١٤] الذْ ذَكـيُّ، كمـا أَثنَـى عليهـا إيازُهَـا

٥- فلا تَذكُرِ الأَعرَابَ عِنـدَ قَرِيضِـهِ فَمِنْ دُونِهِ تَقصِيدُهَا وارتِجَازُهَـا

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٣ ب.

[٢٥]

ابن النقيب: (الكامل)

١- العَتبُ مَا بينَ الصِّـحَابِ مُـنَفِّسُ مِمَّا تجنُّ صُـدورُهُمْ ومُخَلِّـصُ

٢- والحُبُّ مُرتبطٌ بِإِخلَاصِ الهَوَى لكنْ تُرَى أينَ المُحِبُّ المُخلِصُ؟

التخريج: مطلب الأديب ١٢٠.

[٢٦]

كَتَبَ إِلى العزازيِّ جواباً عن أبياتٍ يُعَاتِبُهُ على مُرُورِهِ بِبَابِـهِ ولـمْ يـدخلْ إليهِ، وأَرسَلهَا إِليهِ: (الخفيف)

١- كلّ شيءٍ، ولا تكُـنْ غيـرَ رَاضِ فَـالْقِنِي ضَـاحِكاً بِغَيـرِ انقِبَـاضِ

٢- فَلَقَـدْ خِفـتُ أَنْ يُقَـالَ بـأَنِّي لمْ تَكُنْ زَورَتـي لِغَيـرِ التَّقَاضِـي

٣- وبنـاء الـودادِ مِنِّـي وثيـقٌ مثل عهدِي، فما يهنْ بِانتِقَاضِـي

٤- أَيُّهـا السـيِّدُ الـذي بعـثَ الرُّقْـ ـعَةَ تَزهَى بِحُسْنِ زهـرِ الرِّيَـاضِ

٥- نَضَرَتْ[١٥] فالتفتُّ منها إلى أَحْـ ـلَى سـوادٍ رأيتُـهُ فـي بيـاضِ

٦- والقوافي - كما علمتَ - سِهامٌ لا تَـدعني لهـا مِـنَ الأغـراضِ

٧- ولـئِنْ كنـت جانيـاً فالتَّغـابِي بِكَ أَولَى في مثلِها والتَّغَاضِـي!

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٦ ب.

---

(١٤) هو أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة المزني، قاضي البصرة. يضرب المثل بذكائه وزكنه.

(١٥) في الأصل: «نظرت».

[٢٧]

ابن النقيب: (الكامل)

١- ولقدْ هَمَمتُ بأَنْ أَفوزَ بنَظرَةٍ مِن مالكٍ تَهْوَى المعالي وَصْفَهْ
٢- لمْ يستَطِعْ نَظَري يراهُ شَاكِياً فَبَعَثْتُها عَنِّي تُقَبِّلُ كَفَّهْ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب.

[٢٨]

ابن النقيب: (السريع)

١- يا صَاحِباً كدَّرَ مَا بَيْنَنَا وأَفسَدَ الوُدَّ الذي قَد سَبَقْ
٢- أَقِلنيَ العَثْرَةَ، إِنِّي امرُؤٌ مَا زِلتُ في الصَّحوِ كثيرَ الزَّلَقْ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب.

[٢٩]

بعثَ ابنُ النقيبِ إلى العزازيِّ في شهرِ رَمضَان بقطائف وكُنافة، وكتبَ معها: (المتقارب)

١- بعثتُ إليكَ بمطويَّةٍ على مثلها أَنطَوِي للصَّديقِ
٢- كمثلِ التَّعاويذِ لو أَنَّها توقيكَ من زائرٍ أو طرُوقِ
٣- ونِصفِ الدَّوائرِ في شَكلِهَا ومنتصفِ الشَّمسِ عِندَ الشُّروقِ
٤- حوامل كمْ وَضَعَتْ طَيِّباً ذَكيّ الثَّناءِ كريم العروقِ
٥- ومجبولة بجنَى لفظِكَ الشْـ ـشَهِيِّ المَذَاقِ البَدِيع الأَنِيقِ
٦- وهذِي هديَّةُ شَهْرِ الصِّيامِ وإنْ كُنتُ لمْ أَقضِ بَعضَ الحُقُوقِ
٧- فَكُنْ جَابِرِي بِقَبولٍ لَهَا كما يَقتَضِي بِكَ عِندِي وُثُوقِي

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٦ ب.

[٣٠]

كتبَ إلى العزازيِّ جواباً عن أبياتٍ لهُ: (الكامل)

١- يـا مُسـترقِّي بالجميـلِ ومُعتقِـي ... ومُقلِّـــدِي بَثنائِـــهِ ومُطـــوِّقِي
٢- ماذا أَقولُ وقـد تَرَكـتَ عِبَـارتِي ... مُحتَاجَـةً عِنـدَ الجَـوَابِ بِمَنطِـقِ
٣- حاولتُ سَعيَكَ في القريضِ فلمْ أَنَلْ ... غَايَاتِـهِ، وبِشَـأْوِهِ لـمْ أَلْحَـقِ
٤- وَافَـى حَـدِيثُكَ كالقَـدِيْمِ مُرَوَّقـاً ... فَسَـكرتُ مِـنْ نَظَـرٍ لـهُ وَتَنَشَّـقِ
٥- وصبَوتُ في عَصْرِ المَشِيبِ، ولمْ أَكنْ ... لولاهُ ترجـعُ صَـبْوَتِي وتَعَشُّـقِي
٦- لم لا، وألطفُ من كلامِكَ ما يُرَى ... أبـداً، وأحسـن مـن نظامـكَ مـا
٧- قُلْ للعزازيِّ الشِّـهابِ المُنتَخِـي ... نهجَ البلاغـةِ وحـدهُ، والمُنتقِـي
٨- ها قـد لحقـتَ الأَوَّلِـينَ وفُـتَّهُمْ ... وبلغتَ حيثُ النَّجمُ تَحتَكَ فَارْفِقِ
٩- وأَرَى غُبَـارَكَ لا يُشَـقُّ، وهكـذَا ... مَنْ كانَ فـي أشـعارهِ لـمْ يُلحـقِ
١٠- ولَكَـــمْ أَرينـــاهُ لنـــاظر أكمـــهٍ ... حَسَداً، فَراحَ كمثلِ ذَاكَ الأحمـقِ
١١- إِنِّـــي لَمُعتـــذِرٌ إليـــهِ، وكـــانَ إِذْ ... لالِـــي عليـــهِ لِـــوُدِّهِ وَتَـــوَثُّقِي
١٢- قَسَـماً بِحُسْـنِ وفـاء أحمـدَ إِنَّـهُ ... بِوَفائِـهِ ليفـوتُ ربّ الأَبلـقِ[١٦]

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٤ أ.

[٣١]

كتبَ ابن النقيب إلى العزازيِّ جواباً عن قصيدةٍ شكا فيها من سقوطهِ من حِمَارٍ: (المنسرح)

١- أُقسِـــمُ بـــاللهِ والنَّبـــيِّ وبالـــ ... ـكُتبِ التـي نُزِّلَـتْ وبالرُّسـلِ
٢- وما حَـوَاهُ الشِّـهابُ مـن حَسَـنٍ ... في حُسْنِ تفصيلهِ، وفي الجملِ
٣- إِنِّـــي لِمَـــا نَالَـــهُ لَفـــي أَلَـــمٍ ... لا نَالَـهُ خَطْـبُ حَـادِثٍ جَلَـلِ
٤- حاشـا يـداً للشِّـهابِ ذات نَـدًى ... يَنُوبُ عنْ صَوبِ عَارضٍ هَطِلِ
٥- وينبـتُ الـرَّوضُ فـي صَـحَائِفِهَا ... فَترتَعِيـــهِ سَـــوَائِمُ المُقَـــلِ

(١٦) الأبلق: حِصن، وصَاحبُهُ هو السَّموأل المشهور بالوفاء.

٦- أنْ يشتكي الـوَهْنَ وهـي جـابرةٌ لكُـلِّ قلـبٍ بأحسـنِ الخلـلِ
٧- وكـمْ لِمـولايَ مِـنْ مُعلَّقَـةٍ أسـرع فـي سَـيرِهَا مِـنَ المَثـلِ
٨- واللهُ يكفي الجَوادَ من تعس الـ ـحمارِ يومـاً، ووقعـةِ الجَمَـلِ!

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٣ أ.

[٣٢]

أرسَلَ ابنُ النقيب إلى العزازيّ قطائفَ في رمضان، وكتبَ مَعها: (مجزوء الرمل)

١- إنْ أَكُنْ أرسـلتُ نـزراً تافهـاً دونَ مَحَلِّـكْ
٢- فالـذي أَوجـبَ هـذَا ثِقَتِـي مِنـكَ بِفَضـلِكْ
٣- ولقـد يَصـغرُ عِنـدِي كُلُّ مَا يُهـدَى لِمِثلِـكْ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٠ ب.

[٣٣]

كتبَ إلى العزازيِّ يَشكرهُ على هَدِيَّةٍ بَعَثَها إليهِ: (الكامل)

١- وَافَـى تَفَضُّـلُكَ الـذي عُوِّدتُـهُ مِـن دقِّ مـا أَهدَيتـهُ وجَلِيْلِـهِ
٢- وسـلامة المَـولَى أَجَـلُّ هَدِيَّـةٍ جَـاءَتْ إلـى مَملُوكِـهِ وخَلِيْلِـهِ
٣- واللهُ يَعلَـمُ أَنَّنِـي مُتَفائِـلٌ بِـالخَيرِ يَـومَ قُدُومِـهِ ووُصُـولِهِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٠ ب.

[٣٤]

قال يرثي الشَّيخ الإمامَ ابن عبدِ السَّلام[١٧]: (الكامل)

١- لِيطُـلْ عليـكَ بُكـاءَهُ الإسـلامُ والمُسـلِمُونَ، فَكُلُّهُـمْ أَيتَـامُ

(١٧) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بـن حسـن الشـافعي. وُلِـدَ فـي دمشـق سـنة ٥٧٧هـ. تولَّى الخطابة بالجامع الأموي والتدريسَ. انتقلَ إلى مصر، وعُيِّنَ قاضـياً للقُضَـاة فيهـا، وقام بالتدريس والإفتاء، وشارك في الجهاد ضدَّ التتار. تُوُفِّيَ في القاهرة سنة ٦٦٠هـ.

٢- هيهات يُخلفكَ الزَّمَانُ بِآخَر ... أوْ أنْ تُعَوّضَ مِثلَكَ الأَيَّامُ
٣- عَجَباً لِشَخصِكَ فوقَ نَعشِكَ سائراً ... وكأَنَّما هُوَ يذبلٌ وشمامُ
٤- وقدِ اعتلَيتَ على الرُّؤوسِ جلالةً ... وتَنَافَسَتْ في حَملِكَ الأَقوَامُ
٥- وأَمامَكَ الأُمَراءُ والوزراءُ تَمْشي طَاعَةً، ووَرَاءَكَ الأعلامُ
٦- ولقد أَقُولُ لِمَنْ تَمَنَّى مَوتَهُ ... والنَّاسُ في حالِ الحياةِ نيامُ:
٧- هذا هو العزُّ الإلهيّ الذي ... من شَأْنِهِ الإجلالُ والإعظَامُ
٨- أَقسَمتُ يَا عَبدَ العزيزِ بِمَا جَرَتْ ... في الحَالَتَينِ بِذلكَ الأقلامُ
٩- مَا هذِهِ الدُّنيا بِدُنيا عندنا ... لمَّا فُقِدتَ، ولا الأَنَامُ أَنامُ
١٠- ذَهَبَتْ فوائِدُكَ التي استنباطُهَا ... وَحيٌ من الخلَّاقِ أَو إلهامُ
١١- وكلامُكَ الشَّافي الصُّدُورِ، وإنَّهُ ... في قَلْبِ مُبتَدِعٍ أَسىً وكِلامُ
١٢- قد كُنتَ ذا قَدَمٍ يَسُرُّكَ بَينها ... في الدِّين يَومَ تُزَلزَلُ الأقدامُ
١٣- مُتَبَتِّلاً للهِ في حَثٍّ على ... بَحْثٍ بِه تَتَجَوْهَرُ الأفهَام
١٤- تهدي بهِ سُبُلَ الحَلالِ، فنهتدِي، ... وتَزُولُ عنَّا شُبهَةٌ وَحرامُ
١٥- وكأَنَّما كانتْ أئمَّةُ ديننا ... ما مَاتَ مِنهُم حِينَ كُنتَ إمامُ
١٦- والآنَ قد فُقِدوا بِفَقدِكَ، وانقَضَى ... مِنهُمْ بِهِ أَجَلٌ، وجَلَّ حِمَامُ
١٧- فَلِمَالِكٍ والشَّافِعيِّ تَأَسُّفٌ ... بَادٍ عَليكَ، ولَوعَةٌ وغَرَامُ
١٨- وأبو حنيفةَ وابنُ حَنبَلَ أَصبَحَا ... جَزِعَيْنِ، دَمعُهُمَا عَليكَ سِجَامُ
١٩- وكذا البخاريُّ الإمامُ ومُسْلِمٌ ... لهُمَا احتِسَابٌ فِيكَ، واستِسلامُ
٢٠- ولِصَاحِبِ العُنوَانِ والتَّيسِيرِ[١٨] بَعْـ ... ـدَ مُصَابِكَ الحَسَرَاتُ والآلامُ
٢١- والثَّعلَبِيُّ[١٩] فَدَمعُهُ مَا يَرتَقي ... والمَهدَوِيُّ ففي حَشَاهُ ضِرَامُ

(١٨) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الدانيّ. تُوُفِّيَ سنة ٤٤٤هـ، ألَّفَ (العنوان في القراءات) و(التيسير).

(١٩) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. تُوُفِّيَ سنة ٤٢٧هـ. له (الكشف والبيان) المعروف بـ(تفسير الثعلبيّ).

٢٢- والفَارِسيُّ أبو عليّ[٢٠] عِندَهُ مَا لَمْ يَحُطْ وَصْفٌ بِهِ وكَلامُ
٢٣- خَوفاً على (الإيضاح) مِنْ أَنْ يَعتَرِيْـ ـهِ لِفَقدِكَ الإشكالُ والإبهَامُ
٢٤- والجَوهَرِيُّ[٢١]، فَإنْ أَطَالَ بُكاءَهُ أَسَفاً عَليكَ، فَمَا عَليهِ مَلامُ
٢٥- فَـ(صِحاحُ)هُ مِن بعدِ فَقدِكَ يُختشَى أنْ تَعتَرِيهَا عِلَّةٌ وسِقَامُ
٢٦- يَا وَاضِعاً في الدِّينِ كُلَّ مُصَنَّفٍ يَقضِي بِهِ الحُكَّامُ والأَحكامُ
٢٧- مَنْ للفَتَاوَى والفُتُوَّةِ والمُرُوْ وَةِ، والوُفُودُ لهَا عَليكَ زحَامُ؟
٢٨- مَن لِلأَرَامِلِ واليَتَامَى والإمَا والنَّازِحِ الأَوطَانِ حِينَ يُضَامُ؟
٢٩- فَعليكَ مِن عبدِ المُهيمنِ يا فتَى عبدِ السَّلامِ تَحِيَّةٌ وسَلامُ
٣٠- لا زَالَ قَبرُكَ رَوضَةً مِن جَنَّةٍ لِلحُورِ فِيهَا مَسْكَنٌ ومقَامُ
٣١- وَأَحلَّ فِيهِ اللهُ أَوسَعَ رَحمَةٍ وسَقَتْ ثَرَاكَ مَدَامِعٌ وغَمَامُ

التخريج: التعليقة في أخبار الشعراء ١٢.

[٣٥]

كتبَ ابن النقيب إلى العزازيِّ بعدَ أَنْ أُصِيبَ في يَدِهِ: (البسيط)

١- قالوا: الشِّهابُ اشتَكَتْ مِن وَقعَةٍ يَدُهُ وَهْناً تَعَطَّلَ منها الطِّرْسُ والقَلَمُ
٢- وقد تَشَكَّى لِمَا قد نالهَا أَلماً وفي قُلُوبِ المعالي ذلِكَ الأَلَمُ
٣- فقلتُ: يا حبَّذا كفٌّ تُقبَّلُ حَتْـ ـتَى مِن حَوَادِثِ دُنيَاهَا وتُستَلَمُ
٤- تُجرَى على صُبحِ طِرسٍ من كتابتِهَا ظلام نِقسٍ لها تُمحَى بِهِ الظَّلَمُ
٥- وكَمْ تَلَقَّى بِهَا مِن رَايَةٍ رُفِعَتْ للمجدِ، وهو بها المَشهُورُ والعَلَمُ
٦- وإِنَّ وُصَّافَهُ ما أَنصَفُوا يَدَهُ إِذْ شَبَّهوها بفيضِ البحرِ، بل ظَلَمُوا
٧- فهيَ الأديبُ الذي لولاهُ ما حَسنَتْ في الشِّعرِ سَلمَى، ولمْ يُستحسن السَّلمُ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٣ أ – ١٠٣ ب.

(٢٠) هو أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ. تُوُفِّيَ سنة ٣٧٧هـ. له (الإيضاح العضديّ).
(٢١) هو أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد. تُوُفِّيَ سنة ٣٩٣هـ، صاحب (تاج اللغة وصحاح العربيَّة).

[٣٦]

قال: (الطويل)

١- شَكَتْ زوجةُ القاضِي مِنَ الطَّلقِ شِدَّةً فنالَ الإمامَ الهمُّ، وهو هُمامُ
٢- فقلتُ لهُ: صبراً جميلاً، فربَّما يَكُونُ مَعَ الطَّلقِ الشَّديدِ غُلامُ

التخريج: سكردان العشَّاق ٥٣ ب.

[٣٧]

كتبَ العزازيُّ إلى ابنِ النقيبِ أبياتاً يستدعيهِ، فكتبَ إليه ابنُ النقيب جَوَاباً: (البسيط)

١- يَا مَنْ دعاني وناجاني بِأَسطُرِهِ وَضمنها دُرَرٌ جَلَّتْ عَنِ الثَّمَنِ
٢- وراحَ يُورِدُ ممَّا خَطَّهُ نُبذاً فكانَ فِيهَا التِذَاذُ العَينِ والأُذُنِ
٣- وكانَ كالرَّوضِ أَهدَى زَهرَهُ سَحَراً إليَّ، وهو نَدٍ غَضُّ القِطَافِ جَنِي

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٧ أ.

[٣٨]

كتبَ إلى العزازيّ: (الخفيف)

١- يَا بَدِيعاً مَا للبَدِيعَينِ فِي النَّظْـ ـمِ والنَّثرِ، مَا لهُ مِن مَعَاني
٢- وأَدِيباً لا يدرك اللفظَ مَعنَا هُ؛ لأَنَّ السَّماعَ دُونَ العِيَانِ
٣- وَصَلَتْ مِنكَ رُقعَةٌ تَحْملُ الحُسْـ ـنَ على رَاحَةٍ مِنَ الإِحسَانِ
٤- قُلتُ لمَّا بَدَتْ لِعَيني، وَأَبدَتْ جُمَلاً مِن جَمَالِهَا الفَتَّانِ
٥- أَجَنَى الجنَّتَينِ أم قِطَعُ الرَّو ضِ، أم السِّحرُ، أم سُلافُ الدِّنَانِ؟
٦- أم سُطُورٌ مِن الشُّذُورِ، أمِ العَقْـ ـدُ، تُرَى، أمْ قَلَائِد العِقيَانِ
٧- لمْ يفتها السِّحرُ المُبِينُ وَلا السْـ ـسِحرُ البَيَانِيُّ عِندَ نُطْقِ البَيَانِ
٨- جَدَّدتْ لي ذِكرَى حَبيبٍ، وقالتْ: مَتِّعِ الطَّرفَ مِن حَبِيبٍ ثَانِي

٩- وأَرَتْ مُعجِـزاً لأَحمَـدَ أَنسَـى أَحمَـداً مَادِحـاً بَنِـي حَمْـدَانِ
١٠- شَـاعِرٌ زَادَ عَـن زِيَـادٍ، وأَضحَى قَطـرةً عنـدَ بَحـرِهِ البَحـرَانِ
١١- سـبقَ الأَوَّلـينَ فـي كُـلِّ فـنٍّ وهو سبقٌ خلاف سبق الزَّمـانِ
١٢- وأتانَـا بِكُـلِّ مُعجـزةٍ خَـا رِقَـةٍ للعُقُـولِ والأَذهَـانِ
١٣- نيِّـرات مِـنَ الشِّـهابِ استمدَّتْ فَغَـدَا دُونَ نُورِهـا النَّيِّـرانِ
١٤- أثبتَـتْ مَـا نَفَـاهُ عنـهُ حَسُـودٌ مـن مَعَـانٍ غُـرٍّ وسِـحرِ بَيَـانِ
١٥- ودليـل الشَّـمس المُنيـرة منهـا وضُـحاها يُغنِـي عـنِ التِّبيـانِ
١٦- وإذا كانـتِ البَصَـائِرُ عُمْيـاً مَـا انتفـاعُ الإِنسـانِ بِالإِنسـانِ
١٧- أَيُّهـا النَّـاظِمُ الكـلامَ عُقُـوداً لو تَجَسَّـدنَ كُـنَّ حلـيَ الغَـوانِي
١٨- والـذي قلَّـدَ الطُّـروسَ سُـطُوراً وكَسـتها يُمنـاهُ بُـرداً يمـانِي
١٩- لـو رَأَى خَطَّـكَ ابـنُ هـلالٍ[٢٢] راحَ يحكِـي أبـاهُ فـي النُّقصـانِ
٢٠- دُمـتَ ريحانـةً لِكُـلِّ أديـبٍ ذِكـرهُ طيِّـبٌ بِكُـلِّ مكـانِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٠ ب – ١١١ أ.

[٣٩]

كتبَ ابنُ النقيبِ إلى العزازيِّ جواباً عن قصيدةٍ نظمهَا: (الوافر)

١- أُجِـلُّ بيوتهـا نظـراً وفِكـراً وفـي الألفـاظِ منهـا والمَعَـانِي
٢- فَذِهنُ الشَّـيخِ كَـلَّ، وقَـد تَصَـدَّا وذِهنُـكَ كالحُسَـامِ الهِنـدُوَانِي

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٥ أ.

[٤٠]

كَتـبَ ابـنُ النقيـبِ إلـى العـزازيِّ يشـكُو إليـهِ أنَّ دارَهُ أُخـذتْ أعمـدتُها ورخامها اغتصاباً باليدِ القويَّةِ، ويبثُّ ما نالهُ من الجَور، وكانا متجاورَين:

(٢٢) يُشيرُ إلى: أبي الحسن علي بن هلال البغداديِّ (المتوفَّى ٤٢٣هـ) الذي اشتهرَ بجودةِ الخطِّ.

(الكامل)

١- جَاوَرتَني لكنْ جِوَارَ جَنِيْبِ[٢٣] فهو القَرِيبُ، ولا يُرَى بِعُيُونِي
٢- يا ليتَ طيفَكَ زارني مُتَفَقِّداً وقنعتُ لو زار المنام جفوني
٣- أَوَما سَمِعتَ بِمَا على داري جَرَى مِنْ كُلِّ عالٍ في الأَنامِ ودونِي؟
٤- ولقد عَهَدتُكَ يَا جَوَاداً سَابِقاً فِي مَا يَعِنُّ، وكُلِّ مَا يَعنِينِي
٥- فَقَعَدتَ عَنِّي، لا قَعَدتَ عَنِ العُلا وعنِ المَكارِمِ، يَا شِهَابَ الدِّينِ

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١٠٦ ب.

[٤١]

كتبَ ابن النقيب إلى العزازيِّ: (الكامل)

١- قُلْ للشِّهابِ ومَنْ تَوَدُّ الشَّمسُ أَنْ تَحكِي طَلاقَةَ وَجهِهِ فَتَكُونَهَا
٢- أَوضَحتَ مِنْ طُرقِ القَوافِي مُبهماً يَخفَى، فَكُنتَ مُنِيرَهَا ومُبِينَهَا
٣- قَد سَارَ شِعرُكَ فَانتَهَى مُوغانها[٢٤] وَسَرَى بِأَبحُرِهَا فَشَافَهَ صِينَهَا
٤- وَلَكَمْ أَخَذتَ أَبِيَّها وعَزِيزَها ولَكَمْ تَرَكتَ ذَلِيلَهَا ومَهِينَهَا
٥- وَلَكَمْ أَجَدتَ نَسِيبَها ومَدِيحَهَا فِيما أَجَدتَ، وجِدَّها ومُجُونَهَا
٦- وبالاختبارِ فَقَد عَرفتَ هِجَانَها وبالانتقادِ فَقَد عَلِمتَ هَجِينَهَا
٧- ولكَمْ معانٍ قد أَبَقْنَ شَوارداً فكفلتَ عودَتَها، وكُنتَ ضَمِينَهَا
٨- وَلَطالَمَا أَنشَدتَها طَنَّانةً سَمِعَ الأَصَمُّ مِنَ العُداةِ طَنِينَهَا
٩- سَبَقَتْ سَوَابِقَ لا يُرَامُ لُحُوقُهَا ولهَا أَطَالَ الصَّافِنَات صُفونَها

(٢٣) في الأصل: «جنيبي».

(٢٤) موغان، أو (موقان): من أهل طبرستان ابن كماشح بن يافث بن نوح عليه السلام، وهي أعجميَّة. تاج العروس (موغ).

هكذا ورد! وهو ليس في تاج العروس، بل في معجم البلدان (ط دار صادر ٥/ ٢٢٥) = المجلة.

١٠- وبَعثتَهـا لـي رُقعَـةً، فَكأنَّمـا هي طُرَّةٌ قَـد أبـرزَتْ لـي سِـينَهَا
١١- جَاءَتْ بِهَا تلكَ القَرِيحَةُ سَمْحَةً وَبِسَمحَةٍ مَـن ذا يَقِـيسُ ضَـنِينَهَا
١٢- وأنَـا المُسِـنُّ، فـلا عَـدِمْتُ فَتِيَّـةً اللهَ أسـألُ أنْ يُـديمَ سِـنِينَهَا

التخريج: السفينة (١٦٢٠) ١١٤ أ-١١٤ ب.

[٤٢]

قال: (الخفيف)

١- ورَخِـيمِ الـدَّلالِ مُعتـدِلِ القَـا مَـةِ كالغُصـنِ حَـنَّ قَلبـي إِليـهِ
٢- أَشتَهِي أَنْ يَكُونَ عِندِي وفِي بَيْـ ـتِي، وبَعضِي فِيـهِ، وكُلِّـي عليـهِ

التخريج: السفينة (١٦٢١) ٢٣ ب. ومن غير عزوٍ في: المقصد الأتمّ ١٤٨، معاهد التنصيص ٢/ ٣١١.

[٤٣]

ابن النقيب: (مجزوء الكامل)

١- أسـرفتَ فـي فَـرطِ التَّجَنِّـي واختِصَـارِكَ فـي الكـلامِ
٢- وصَدَدْتَ حتَّـى فـي الكـرَى وبخلـتَ حتَّـى بالسَّـلامِ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٠ ب.

[٤٤]

ابن النقيب: (البسيط)

١- لَئِنْ تَأَخَّرتُ عَن مَفرُوضِ خِدمَتِكُمْ مُحَقِّقـاً، فَضَـمِيري غَيـرُ مُـتَّهَمِ
٢- تَسعَى إليكَ ابتِهالاً في الدُّعَاءِ لكُمْ فَالسَّعيُ بِالرَّأْسِ فَوقَ السَّعيِ بالقَدَمِ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٣ ب.

[٤٥]

ابن النقيب: (الكامل)

١- تَـوَلَّى قَبلَـكَ الـدِّيوَانَ خَلْـقٌ ومَا طَاشُوا كَطَيشِكَ في الولايَـهْ

٢- وقد صُرِفُوا بِعَزْلٍ أو بِمَوتٍ وفي هذا لِمُعتَبِرٍ كِفَايَهْ

التخريج: مطلب الأديب ١٢٢ ب.

[*]

أورَدتُ هذهِ القَصِيدَةَ الميميَّةَ في الديوان برقم (٢٣٨) عن كتابِ (ذيل مرآة الزمان)[٢٥]، وقد بَدَتْ بَعضُ أبياتها مُحَرَّفَةً، ثُمَّ وَجَدنَاهَا في مخطوط (السفينة) بزيادةِ بيتٍ واحد، ورأينا أنْ نثبتَ القصيدةَ مُصَحَّحَةً مع البيتِ الجديدِ: (المتقارب)

١- ولمَّا عَدِمتُ رَسُولَ النَّدَى إلى الرَّوضِ مِنِّي بَعَثتُ النَّسِيمَا

٢- لِيَأخُذَ عَنهُ الشَّذَا والثَّنَا ويَروِيَ مَنثُورَهُ والنَّظِيمَا

٣- ولَمْ أُوصِهِ حِينَ أَرسَلتُهُ لِأَنِّيَ أَرسَلْتُ مِنهُ حَكِيمَا

٤- وكلَّفْتهُ حَمْلَ شَوْقِي إِلَيْهِ وكَمْ كُلِّفَ الحُرُّ أَمراً عَظِيْمَا

٥- أَمحمودُ حاشاك أنْ لا تَكوْ نَ بِشُكرِي وشَوقي وحُبِّي عَلِيمَا

٦- وقد يَسأَلُ اللهُ عَن سَاعَةٍ إذا صَحِبَ الحُرُّ حُرًّا كريمَا

٧- رأيتُكَ رُؤيةَ طَيفٍ سَرَى وما كانَ طَرفِيَ طَرْفاً نَؤُومَا

٨- فَحَلَّيتَ سَمعِي بِمَا قَد رَأَيتُ وجَلَّيتَ من خَطْبِ دَهْري يَتِيمَا

---

(٢٥) كنتُ قد قدَّمتُ كتاب (ذيل مرآة الزمان) مُحقَّقاً (النسخة الورقية ومعها قرصٌ ليزريٌّ CD) إلى الناشر الوسيط في ٩/ ١/ ٢٠١١م، ليُطبع في بيروت، وآخرُ ما قُمتُ بتحقيقِهِ منهُ هي سنة ٦٨٧هـ الواردة في المخطوطة التركية التي وَصَلَتني في النهاية، وبها يبدأ الجزء الخامس، ص ١٣-٢٣، وفيه ترجمة ابن النقيب، وبضمنها جاءتِ القصيدة التي أَورَدَهَا اليُونينيُّ، وصدر الكتاب سنة ٢٠١٣م، ولكنَّني فُوجئتُ بأنَّ بداية ذاكَ الجزء جاءَتْ مُشَوَّهَةً، ولم يرد فيه جهدِي على الإطلاق، وتبيَّنَ لي أَنَّ الناشِرَ لمْ يأخذ بالقرصِ الليزريِّ الذي وَضَعتُ فيه النَّصَّ، وكذاك سقطتْ (٢٠) ترجمةً مهمَّةً من بداية الجزء الأوَّل، وعليه اقتضَى التَّنبيه.

٩- وأَنعَشْتَ عَيشِي[٢٦]، وَسَرَّيْتَ عَن سَـرَائِرِ قَلبِـي المُعَنَّـى هُمُومَـا
١٠- وأرسـلتَ نَحـوِيَ مِيْمِيَّـةً رأيْـتُ المَسِيحَ بِهَـا والكَلِيْمَـا
١١- رَقيتَ السَّماءَ، وخُضتَ البِحَارَ فَنظَّمتَهَـا[٢٧] دُرَراً ونُجُومَـا(*)
١٢- وأَبـرَزتَ طِرْسـاً يَـرُوقُ العُيُـونَ ويَسبِي العُقُولَ، ويُصبِي الحَلِيْمَا
١٣- وفيـه مِـنَ الخَـطِّ مثـل العـذَارِ فَبِـتُّ أُقَبِّـلُ خَـدًّا رَقِيمَـا
١٤- فَيَـا جَـابِرَ الشِّـعرِ مِـنْ كَسْـرِهِ ويَـا شَـافِياً مِنـهُ لَفظـاً سَـقِيمَا
١٥- ويـا آخِـراً سَـبَقَ الأَوَّلِـيْنَ وَيَـا مُحْـدَثاً فَـاقَ فِيْـهِ القَـدِيْمَا
١٦- عَـلَامَ بَخلْـتَ بِـرَدِّ السَّـلامِ كَأنْ لم تكنْ لي صَدِيقاً حَمِيمَا؟
١٧- وحتَّـى كـأنِّي عـن الوَاجِبَـاتِ قَعَـدْتُ ولا مَـانِعٌ لـي أَنْ أَقُومَـا
١٨- وإنِّـي أَصُـونُ بُيُـوتَ القَـرِيضِ ولا أَهْتِـكُ الـدَّهْرَ مِنهـا حَرِيمَـا
١٩- ولا أغمـطُ[٢٨] الفَضْـلَ أَربَابَـهُ ولَسْـتُ المُعَفِّـيَ مِنـهُ رُسُـومَا
٢٠- ولا دجيـةَ الخِـلّ فـي وَجهِـهِ ولا مضـرجّوا دم النَّـدِيمَا[٢٩]
٢١- ولا أرتضِـي أنْ أُرى آكِـلاً لِأَمـوَاتِ إِخـوَانِ دِينِـي لُحُومَـا
٢٢- خلائِـق مَـنْ حَـوَى سُـؤدداً عِصَاميّ نَفْـسٍ ومَجـداً صَـمِيمَا
٢٣- وسَلْ أَحمَداً، فَحَدِيثُ الشِّـهَابِ صَـحِيحٌ، ولـمْ تَـدرِ مِنْـهُ سَـقِيما
٢٤- وَبَاحِثْـهُ فِـي كُـلِّ مَعنًـى تَجِـدْ جَنَانـاً نَقِيًّـا وذِهنـاً سَـلِيمَا
٢٥- فقد سَارَ عن مِصرَ نَحـوَ الشَّـآمِ حَمِيـداً، ومـا كـانَ يَومـاً ذَمِيمَـا
٢٦- وحُسَّـادُكُمْ أهـل مِصـر عَليـهِ فلا غَـرْوَ أَنْ جَعَلُـوْكُمْ خُصُـوْمَا

---

(٢٦) السفينة: «عيسى».

(٢٧) ذيل مرآة الزَّمان: «فأبرزتَها».

(*) كذا وَرَد البيتَ = المجلة.

(٢٨) ذيل مرآة الزَّمان: «اغمض».

(٢٩) كذا ورد عجزُ البيت في المصدر السابق، ولم يتوجَّه لي صوابهُ، ولمْ يرد في (السفينة).

٢٧- وقَـد بَـالَغَ البَـينُ يَـومَ الفِـرَاقِ وعَـذَّبَ قَلْبِـي عَـذَاباً أليمـا
٢٨- فَمَـا كـانَ إِلَّا الغِنَـى وَالشَّـبَابَ ومَـا كـانَ إِلَّا النَّعِـيمَ المُقِيمَـا

التخريج: ذيل مرآة الزمان ٥/ ٢١ -٢٢ (عـدا: ٢١)، السـفينة (١٦٢٠) ١١٩ (عدا: ٢٠).

* * *

المصادر والمراجع

المخطوطة:

- التعليقة في أخبار الشعراء: عز الدِّين عبد العزيـز بـن محمـد بـن جماعـة (ت ٧٦٧هـ)، دار الكتب بباريس، رقم (١٣٧٨) أدبيات.
- جـواهر الكـلام فـي فنـون المراسـلات والمكاتبـات ولطـائف الأشـعار الرائقـات: نَسَـخَهُ محمـدُ بـنُ محمـد بـنِ شـرف الزرعـيُّ الشـافعيُّ (ت ٧٧٩هـ)، المكتبة الوطنية بباريس، رقم ٣٣٤٣.
- السَّفينةُ: شهاب الدين أحمـد بـن محمـد بـن مبـارك شـاه المصـريّ (ت ٨٦٢هـ)، مكتبة فيض الله أفندي بإستانبول، رقم ١٦١٨، و١٦١٩.
- سكردان العشَّاق ومنازه الأسماع والآماق: أُويـس بـن عبـد الله الحمـويّ (ت ٩١٠هـ)، جامعة ييل yale.
- مطلب الأديب: الشـريف صـلاح الـدين محمـد بـن أبـي بكـر بـن علـيّ الأسـيوطيّ (ت ٨٥٩هـ)، دار الكتـب بببـاريس، رقـم ٣٤٧١، مصـورة الأستاذ عبد السلام الناجم.

المطبوعة:

- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام، الكويت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق د. عبد الوهاب عزَّام، لجنة التأليف والترجمة والنّشر، القاهرة، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.
- ذيل مرآة الزمان: موسى بن محمَّد اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، تحقِيق د. عبَّاس هاني الجراخ، دار الكتب العِلْمِيّة، بيروت، ٢٠١٣م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٨م.
- المقصد الأتمّ في شرح لاميّة العجم: كمال الدين محمد بن موسَى الدَّمِيرِيّ(ت ٨٠٨هـ)، تحقيق د. حيدر فخري ميران، و د. عباس هاني الجراخ، عمَّان، ٢٠١٢م.

البحوث:

- ديوانُ العزازيّ (ت ٧١٠هـ) نظراتٌ نقديّة.. ومُستدركٌ: د. عباس هاني الجراخ، مجلة (آفاق الثقافة والتراث)، ع ٨٤، ٢٠١٣م.

* * *

المقالاتُ والآراء

صَلّى يُصَلِّي صَلاةً

(ولا يقال: تَصْلِيَةً، وهو القياس مثل: تزكِية، تجرِبة...)

أ. د. مكي الحسني(*)

- جاء في «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذي أصدر مجمع القاهرة طبعته الثانية المنقّحة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م مايلي:

١- الصلاةُ: العِبادة المشروعة، وهي الأقوال والأفعال مُفْتَتَحةً بالتكبير مُخْتَتَمةً بالتسليم.

وجاء في معجم «لسان العرب»: أصل الصلاة في اللغة الدعاء، وقيل: أصلها التعظيم. وسُمّيت الصلاة المخصوصة (المشروعة) صلاةً لما فيها من تعظيم الربِّ تعالى وتقدَّس. وقَوله في التشهّد: **الصلوات لله**، أي: الأدعية التي يُراد بها تعظيم الله، هو مُستحِقُّها لا تليق بأحدٍ سواه.

٢- صَلّى: أدّى الصلاة: قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وغيرها.

٣- يُصلّي: يؤدّي الصلاة: قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

٤- صَلِّ عليهم: اُدْعُ لهم: قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

٥- يُصَلّون: يدعون: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

يُصلّي الله على عباده: **يرحمهم**، وتُصلّي الملائكة عليهم: **تستغفر لهم** ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

صَلّوا عليه: أُدْعُوا له!

فكيف ندعو له؟ أي: كيف نلتمس له ونطلب؟ الجواب: نَتوجَّه إلى من يَملك القدرة على الإجابة: (إذا سألت فاسْألِ الله)! فماذا نقول؟

نقول: «اللّهم (أي: ياأله) صلِّ على سيدنا محمد وسلِّم تسليماً كثيراً».

جاء في «اللسان»: قولنا: **اللهم صلِّ على محمد**، معناه: عَظِّمْهُ **في الدنيا** بإعلاء ذِكرِهِ وإظهار دعوته وإبقاء شريعتِه، **وفي الآخرة** بتشفيعِهِ في أُمَّتِهِ وتضعيف أجرِهِ ومَثوبتِهِ.

وقيل: المعنى لَـمّا أَمَرنا اللهُ سبحانه بالصلاة عليه ولم نَبْلُغْ قَدْرَ الواجب من ذلك، أَحَلْناه على الله وقُلنا: اللهم صَلِّ أنتَ على محمد، لأنك أعلمُ بما يليق به!

وفي كلام المفسِّرين:

- الصلاة من الله: الرحمة والرضوان.
- ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار.
- ومن المؤمنين: الدعاء والتعظيم.

• وحين نقول: (صلى الله عليه وسلَّم) هذه **صيغة دعاء أيضاً**، لأن من **دلالات الفعل الماضي** التي تتجاوز العَشْر[1] **الدعاء بالخير**، نحو: رحِمَه الله، غفر الله له، رضي الله عنه، لا سمح الله، لا قدَّرَ الله، أحسن الله إليك، لا عدِمتُك، لا أراك الله مكروهاً، جزاك الله خيراً، حماك الله، حَيّاك الله وبيّاك

(١) ينظر: مكي الحسني - نحو إتقان الكتابة العلمية: ١٥٣.

(أي رفع شأنك)، بارك الله فيك، لا فُضّ فُوك، لا جَعَل الله لك حاجةً إلى لئيم، **لا زال** بيتُك عامراً.

• إذا دخلتْ «ما» على «زال» تَغيّر المعنى وأفاد الدوام إلى الوقت الذي يقتضيه سياق الكلام فإذا قيل مثلاً: **ما زال** الهواء بارداً، فالمعنى: هو باردٌ حتى الآن.

فائدة (١): قال الإمام الفَيُّومي في «المصباح المُنير»: الصلاةُ في قول المنادي: الصلاةَ جامعةً: منصوبةٌ على الإغراء: أي اِلزموا الصلاةَ!

فائدة (٢) مما جاء في اللسان:

١- صَلَى اللحمَ وغيَره يَصْلِيهِ صَلْياً: شَواهُ. صَلَيتُه أَصْلِيهِ صَلْياً (مثال رميته أَرْميهِ رَمْياً): إذا فعلتَ ذلك، وأنت تريد أن تَشْوِيَهُ. وفي الحديث أن النبي ﷺ أُتِيَ بِشاةٍ مَصْلِيَّةٍ، قال الكسائي: أي: مَشْوِيّة. فإذا أردت أنك تلقيه في النار إلقاءً كأنّك تريد الإحراق قُلت: أَصْلَيتُه أُصْلِيهِ إصْلاءً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠] و﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

٢- صَلَّيتُهُ أُصَلِّيهِ **تَصْلِيَةً**: أَلقيتُه في النار على وجه الإحراق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤].

٣- صَلِيَ بالنار وصَلِيَها (لازم ومتعدّ) يصلاها صَلْياً وصُلِيًّا وصِلِيًّا **وصَلىً** وصِلاءً: احترق فيها. وفي التنزيل العزيز: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠]. ومعنى هذه الأفعال الثلاثة (٢،٣،٤): قاسى حَرَّها.

• صَلِيَ يَصْلى صَلًى (مثال عَمِيَ يَعْمى عَمًى، وغَشِيَ الليلُ يغشى غَشاً: أظلَمَ). ومنه: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢]، و﴿يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، أي: يحترق فيها.

مَرايا الحِكايةِ:
وَجْها شَمْسٍ ومولانا في حِكايةِ «رُقْعةِ الكنز»
في المَقالاتِ والمثْنَويّ(*)

أ. د. عيسى علي العاكوب (**)

تقصِدُ الورقةُ إلى تَلَمُّسِ خاصِّيّاتٍ مُميِّزةٍ لِكُلٍّ مِن شَمْسِ تَبريز (٥٨٢-٦٤٥هـ) ومولانا جلالِ الدّينِ الرّوميّ (٦٠٤-٦٧٢هـ) في مَجالِ الفِكْرِ والفَنّ، مِن خلال تَناوُلِهما الفِكْريِّ والفَنِّيِّ لِحكايةٍ واحِدةٍ عَوّلا عَلَيها في بَيانِ فِكْرةٍ صُوفيّةٍ عميقةٍ، تتمثَّلُ في أنّ كنزَ الحقيقةِ لَيْسَ خارجَ الإنسانِ بل داخِلَه. وتُعْرَفُ هذه الحِكايةُ في (مَقالاتِ) شَمْس، ومثْنَويّ مولانا، بِـ (رُقْعة الكَنْز) (گنج نامه ای - بِالفارسيّة). **ولِتحقيقِ ذلك تقفُ الورَقةُ عندَ النِّقاطِ الآتية:**

إطارُ الموضوع، نَواةُ القَصْدِ في هذه الوَرَقة، حِكايةُ رُقْعةِ الكَنْزِ في (المَقالاتِ) و(المثْنَويّ)، طَبيعةُ تَناوُل شَمْسٍ ومولانا حِكايةَ رُقْعةِ الكَنْز عَبْرَ النِّقاطِ الآتية: تداعي المعاني عندَ كلٍّ مِنهما، عَرْض نَواة الحكاية، المطْلَب الصّوفيّ مِن الحكاية عندَ كلٍّ مِنهما، صُورة الكاتِبِ مِمّا كتَبَ.

(*) أصلُ هذه المادّةِ ورقةٌ ألقاها الكاتبُ في المؤتمرِ الدّوليِّ الرّابع (شَمْسٌ ومولانا)، الذي عُقِدَ في مدينةِ خُوي الإيرانيّة في آخِرِ شهر آب ٢٠١٨م.

(**) عُضْوُ مَجْمَعِ اللّغةِ العربيّةِ في دمشق، أستاذُ البلاغةِ والنّقدِ في جامعةِ حَلَب.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠١٩م

أوّلاً – إطارُ الموضوع:

كان التقاءُ عارفٍ كبيرٍ مِثْلِ شَمْس تَبريز، وفَقيهٍ حَنَفيٍّ كبيرٍ مِثْلِ مولانا جلالِ الدّين، حَدَثاً كبيراً في تاريخ الثّقافةِ الإسلاميّة خاصّةً، وفي تاريخِ الثّقافةِ الإنسانيّة عامّةً. ويَرجِعُ ذلك أساساً إلى الآثارِ التي نَشَأت عن هذا اللّقاء. وفي مُتناوَل المُتأمِّلِ المُدَقِّق أن يقولَ هنا: إنّ شَمْسَ تَبْريز وِعاءٌ فِكْريٌّ جامِعٌ لِضَرْبٍ مِن الثّقافةِ عَجيبٌ. ففي شخصيّةِ شَمْسٍ بَرَز الإسلامُ الآخِذُ بِرُسُومِ الشَّرْع إلى الغاية، والآخِذُ بِأصول التّصوّفِ الإسلاميِّ إلى الغايةِ أيضاً. وبِلُغةِ التّمثيلِ لِحالِهِ معَ جلالِ الدّين، نقولُ: إنّ شَمْسَ شَمْسٍ هي التي أشرقَتْ عَلَى قَمَرِ مولانا، فكان مِن ذلك هذا النُّورُ الذي يَطْلُعُ في كُلِّ ناحيةٍ مِن فَضاءِ سُلُوكِ مولانا العَمَليِّ وفي آثارِه الفِكْريّة والفَنِّيّة. فهَلْ كان (ضِياءُ) شَمْسٍ مِن قُوّة الأَلْقِ بِحَيثُ يَعجِزُ الأفرادُ العاديّونَ عن تحمُّلِه، فجاء قَمَرُ مولانا لِيتلقّى هذا (الضّياءَ) القاهِرَ، ويُخفِّفَ مِن سُطوعِه، ويُحوِّلَه إلى (نُورٍ) تتحمّلُه الأبصارُ العاديّةُ؟. في مُتناولي أن أُؤكِّدَ ذلك، وأن أتقدّمَ أكثرَ في التّمثيلِ فأقولَ: كان مولانا الوَسيطَ الذي أعَدّهُ مولاه سُبْحانَه لِيجعَلَ نارَ شَمْسِ تَبريز بَرْداً وسَلاماً عَلَى العقولِ الطّالبةِ لِلّهِ سُبْحانَه (عقل خُدا جو، عقل كمال طَلَب – بِالفارسيّة). فإنّ تعاليمَ مولانا في المثْنَويّ هي عَيْنُ تعاليمِ شَمْسٍ في (المقالات)، مُلطَّفةً بِالمَحبّةِ والعِشْق وبِالتَّقْنياتِ الشِّعْريّة اللّطيفة البارعة.

وقد تَراءى هذا الذي أتحدّثُ عنه بِجَلاءٍ في (مَقالاتِ) شَمْس، فكُنتَ تَراه كثيرَ المُقارَنةِ بينَه وبينَ مولانا جلالِ الدّين. وتبدُو لَكَ حالُه معَ مولانا شبيهةً بِالفُولاذِ المُحمَّى بِالأفرانِ العاليةِ حتّى التّوهُّجِ التّامّ، الذي يُبرَّدُ بعدَ ذلك بِالماء، عَلَى نحوٍ شَبيهٍ بما يُبصِرُه المَرْءُ حينَ يَزورُ مَعامِلَ الحَديدِ والصُّلْب في مدينة أصفهان. وأُدَلِّلُ عَلَى هذا الذي أدّعيه بِشَواهِدَ مِن كلامِ

شَمْسٍ في (المَقالات)، وذلك حَيثُ يقولُ مَثَلاً: «يقولُ أحَدُهم: إنّ مَوْلانا كُلَّهُ لُطْفٌ، وإنّ لِمَولانا شَمْسِ الدّين صِفةَ اللُّطف أيضاً، وصِفةَ القَهْر أيضاً. فقال آخَرُ: إنّهما كِلَيهما كذلك. ثُمّ أخذَ هذا يُؤوِّلُ، ويعتذِرُ قائلاً: إنّ قَصْدي كان رَدَّ كَلامِه، لا الانتقاصَ مِنكم. أيُّها الأَبْلَهُ، حِين يَجْري كلامي [عَلَى لِسانِه] كيفَ تُؤوِّلُه أنتَ؟. وأيُّ عُذْرٍ يمكنُ قَولُه؟. كان يَصِفُني بِأوصافِ الله، الذي مِن صِفاتِه سُبْحانَه القَهْرُ واللُّطْفُ أيضاً. لَمْ يكن ذلك الذي قالَه كلامَه، ولا قُرآناً، ولا حديثاً. كلامي هو الذي كان يجري عَلَى لِسانِه. كيفَ يبلُغُ بِك البَلَهُ أن تقولَ: إنّهما كِلَيهما كذلك؟. القَهْرُ واللُّطْفُ اللّذانِ يُنسَبانِ إلَيَّ، كيف يكونانِ لَنا نحنُ الاثنَيْنِ؟... إنّ لِمَولانا جَمالاً أخّاذاً، ولِيَ جَمالاً وقُبْحاً. وكان مولانا يَرَى جَمالي، ولا يَرَى قُبْحي. وهذه المَرّةَ لا أُجامِلُ، وأَتواقَحُ؛ ابتغاءَ أن يَرَى كُلِّيّتي: جَمالي وقُبْحي» (مقالات، ص٧٣-٧٤ - نَشْرة مُحمّد عَلِي مُوحِّد).

وكان شَمْسٌ حَقًّا دقيقَ الإدراكِ لِفَرْقِ ما بينَه وبينَ مولانا، حينَ قال: «الدّنيا حَرامٌ عَلَى أهْلِ الآخِرةِ، والآخِرةُ حَرامٌ عَلَى أهْلِ الدّنيا، والدّنيا والآخِرةُ حَرامٌ عَلَى أهْلِ الله، هذا هو المَعْنَى، أي: ينسَوْنَهما. ذلك لِأنّ لِمَولانا سُكْراً في المَحبّة، لكنْ ليسَ له صَحْوٌ في المَحبّة. أمّا أنا فَلِيَ سُكْرٌ في المَحبّةِ، وصَحْوٌ في المَحبّة: ليسَ لِي ذلك النّسيانُ في السُّكْر. فكيفَ يكونُ لِلدُّنيا جُرأةٌ عَلَى أن تحجُبَني، أو تحتجِبَ عنّي؟» (مقالات، ص٧٩).

نَعَم، فُولاذُ شَمْسٍ الأحمرُ كالنّار، لا يتحمّلُ بُرودةَ الخَلْقِ ولا يتحمّلُه الخَلْقُ أيضاً. لم يأتِ شَمْسٌ إلّا لِيختبرَ أولئك الأشخاصَ الذين يُرشِدُونَ النّاسَ إلى الحقّ. فإنّه هو الذي يقولُ: «في هذا العالَمِ، لا شأنَ لِيَ بِهؤلاءِ العَوامِّ، لم آتِ لِأجلهم. هؤلاءِ الأشخاصُ الذين يُرشِدونَ النّاسَ إلى الحقِّ، أضَعُ الإصْبَعَ عَلَى عُروقِهم» (مقالات، ص٨٢).

كان شَمْسٌ يعي جيّداً أنّ مولانا متميِّزٌ جِدًّا، وأنّ نُحاسَه خَيْرٌ مِن ذَهَبِ الآخَرينَ، وأنّ مَن يَفهمونَ كلامَه سيكونون تَبَعاً له، وأنّ بابَ المعارفِ الإلهيّة كان مُغلَقاً ثُمّ انفتحَ بِمِفتاحِ مولانا، وأنّ تَعرُّفَ حقيقةِ مولانا محتاجٌ إلى وقت. يقولُ في هذا الشّأن: «إنّ دانِقَ(*) مَوْلانا يَعْدِلُ مِئةَ دينارٍ عندَ غيرِه، عندَ المُحِبّينَ له. وكُلُّ مَن يَصِلُ إلَيَّ سيكونُ تَبَعاً له؛ لِأنّ البابَ كان مُغلَقاً، ثُمّ انفتحَ له. واللهِ، إنّني عاجِزٌ عن مَعْرِفةِ مولانا، وليسَ في هذا الكلامِ مُجامَلةٌ وتكلُّفٌ وتأوُّلٌ، إنّني عاجِزٌ عن معرفته. في كُلِّ يومٍ ينكشِفُ لِي شَيءٌ عن حالِهِ وأفعالِه لا أكونُ قد عرَفْتُه أمْسِ. افهَمُوا مولانا عَلَى نَحْوٍ أفضلَ، لكيلا تندَموا وَلَاتَ حِينَ مَنْدَم. فذلك يومُ التّغابُن. يقولُ مولانا الصّورةَ الجَميلةَ والكلامَ الجَميلَ، لا ترضَوا مِنه بِهذا؛ لِأنّ وَراءَ ذلك شيئاً، فاطْلُبُوا مِنه ذلك الشّيءَ» (مقالات، ص١٠٤).

وعَلَى هذا النَّحْوِ، بَرَزتْ شَمْسُ المَعارِفِ الإلهيّةِ في سَماءِ تَبْريزَ الضِّياءِ، وتلقَّى ضِياءَها قَمَرُ العِنايةِ الإلهيّة في آفاقِ (قُونِيةَ) النُّورِ والمحبّةِ واللُّطف.

ومُختصَرُ القولِ هنا أنّ كُلًّا مِن شَمْسٍ ومولانا كان يعْلَمُ أنّ الفِكْرَ الذي يشاءُ له أن يَصِلَ إلى قلوبِ المُحِبِّينَ واحِدٌ؛ إنّه عَيْنُ (الضِّياءِ) عندَ الشّمْس، الذي غدا (نُوراً) عندَ القَمَر.

ثانياً – نَواةُ القَصْدِ في هذه الورَقة:

تَقصِدُ الورقةُ التي بينَ أيدينا إلى بَيانِ مَسيرةِ تحوُّلِ (ضِياءِ) المَقالاتِ إلى (نُورِ) المثْنَويّ. ونَسعَى في تضاعيفِها إلى تَلَمُّسِ بعضِ مَعالِمِ الفِكْرِ والفَنّ عندَ كُلٍّ مِن شَمْسٍ ومولانا، بِوَساطةِ الوقوفِ عندَ نَواةٍ حِكائيّةٍ واحِدة، عَرَضَها كُلٌّ

(*) هو بِفَتْحِ النّونِ وكَسْرِها: سُدُسُ الدِّرْهَم. والمُرادُ هنا عُمْلةٌ ضَئيلةُ القيمة.

مِنهما بِطريقةٍ عبّرَتْ عن غيرِ قليلٍ مِن نِقاطِ الالتقاءِ والافتراقِ بينَهما. وقد آثَرْنا لِهذا الغَرَضِ حِكايةً واحِدةً أفادَ مِنها العارفانِ الكبيرانِ هي حِكايةُ «رُقْعةِ الكَنْز (گنج نامه ای)». ووَقَعَ اختيارُنا عَلَى (الحِكاية) أساساً لِلتّأمُّلِ والاستنباطِ والتّفسير؛ لِأنّ الإطارَ الحِكائيَّ أداةُ تعبيرٍ عاليةٌ تنطوي عَلَى عناصِرَ تركيبيّةٍ قادرةٍ عَلَى اختزالِ المَعارفِ والرُّؤى والمَقاصِدِ العالية. ففي الحِكايةِ نَمَطٌ مِن التّعليمِ يَتسابقُ فيه المضمونُ والصّورةُ في التّوصيل. وفيها مِن تَقْنياتِ الجَذْبِ والسِّحْرِ والقُرْبِ مِن الأفئدةِ ما يُنشِّطُ أدَواتِ الإدراك، ويُسهِّلُ مَلْءَ الفَراغاتِ، ويُعينُ عَلَى الاستظهارِ والاختزانِ في الذّاكِرة. ونَخالُ أنّ ما وَقعَ عليه اختيارُ شَمْسٍ ومولانا مِن نَماذجِ الحِكاياتِ ينتمي كثيرٌ مِنه إلى ما سَمّاهُ البَيانُ الإلهيُّ (أَحْسَنَ القَصَص). ومَهْما يكنْ، فإنّ القَصَصَ القُرْآنيَّ والقَصَصَ في المَقالاتِ والمثْنَويّ ينتميانِ إلى نَمَطٍ حِكائيٍّ يُبصِّرُ الإنسانَ، وهو في مُغترَبِ الدّنيا، بِحقيقةِ الطّريقِ المستقيمِ المُوصِلِ إلى بَرِّيّة الأمان.

وتُقدِّمُ الحِكايةُ المُعتمَدةُ أساساً لِلتّأمّلِ والاستنباطِ هنا نَموذجاً لَعلّه يكونُ مُمثِّلاً لِمِئاتِ نَماذجِ الحِكاياتِ في المَقالاتِ والمثْنَويّ، نَموذجاً لَعلَّه العِطْرُ الذي يختصِرُ الرّبيعَ. وقد حَدانا إلى اعتمادِ النّموذَجِ الواحِدِ ضِيقُ مَجالِ القَوْل في كُلِّ المؤتمراتِ والنّدَوات، وضَرورةُ التّركيزِ والتّكثيفِ في أوراقِها. وقد أحسَنَ مَن قال: خَيْرُ الكلامِ قَليلُ – عَلَى كثيرٍ دَليلُ. وسَنُقدِّمُ فيما يأتي، إن شاء اللهُ، تَرْجَمةً عَرَبيّةً لِمادّةِ الحِكايةِ الفارسيّةِ في (مَقالاتِ) شَمْس، ومُختصَراً لِمَضمونِ الحِكايةِ في أبياتِ مولانا في المثْنَويّ، التي وَسّعَتْ مادّةَ الحِكاية، ووزّعَتْ جُزْئيّاتِها عَلَى نِطاقٍ واسِعٍ، تتخلَّلُه انقطاعاتٌ كثيرةٌ أَمْلاها حِرْصُ مولانا عَلَى مُلاحَقةِ الفِكَر، وإحساسُه حاجةَ النّاسِ إلى كلِّ ما يأتي به. وسَنُقدِّمُ أيضاً مُناقَشةً نَقْديّةً مُعمَّقةً لِطَبيعةِ تَناوُلِ كُلٍّ مِن شَمْسٍ ومولانا مادّةَ الحِكايةِ نفسَها.

ثالثاً- حِكايةُ رُقْعةِ الكَنْزِ في «المَقالاتِ» وفي المثْنَويّ:

- يقولُ شَمْسٌ في المَقالاتِ:

«كُلُّ مَن زادَ في المجهودِ، ابتعدَ عن المقصود. وكُلَّما غَمُضَ فِكْرُ الإنسانِ انبهَمَ عَلَى الفَهْمِ والبَيان. إنّ هذا العمَلَ هو عَمَلُ القَلْبِ، لا عَمَلُ الجَبْهةِ والدّماغ.

قِصّةُ ذلك الشَّخْصِ الذي وَجَدَ رُقعةً تتحدّثُ عن كَنْزٍ، تقولُ له أن يخرُجَ إلى بَوّابةِ كذا، حَيْثُ ثَمّةَ قُبّةٌ، عَلَيهِ أن يجعَلَ ظَهْرَه إلَيها، ويتّجهَ نحوَ القِبْلة، ويُطْلِقَ سَهْماً، وحيثُما وَقعَ السَّهْمُ سَيَجِدُ ثمّةَ كنزاً. فذهَبَ، ورَمَى حتّى عَجَزَ، ولم يَجِدْ شيئاً. فوَصَلَ خَبَرُ ذلك إلى المَلِك. فَرَمَى رُماةُ السِّهامِ الذين يَرْمُونَ بعيداً، لكنّه لم يَظهَرْ لَهم أيُّ أثَرٍ لِلْكَنْز. ثُمّ حِينَ عاد هذا إلى حَضْرةِ [الحَقّ] ألهَمَه: لم نَقُلْ لَكَ أغْرِقْ في شَدِّ القوس. فجاء، ووَضَعَ السَّهْمَ في القَوْسِ [ثُمّ رَماه] فوَقَعَ أمامَه تَماماً. فحِينَ وصَلَتِ العِنايةُ [الإلهيّةُ] خُطْوتانِ وقد وَصَل.

والآنَ، أيّةُ عَلاقةٍ لِهذا الظّفَرِ بِالكَنْزِ، بِالعَمَل؟- أيّةُ عَلاقةٍ له بِالرِّياضاتِ والمُجاهَداتِ؟- كُلُّ مَن أبعدَ في رَمْيِ سَهْمِ [تفكيرِه] ظَلَّ محروماً. كان لا بُدّ مِن خُطوةٍ واحِدةٍ لِكَيْ يَصِلَ إلى الكَنْز. لكنْ أيّةُ خُطْوةٍ هذه؟- تلك خُطوةُ مَن؟- مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ رَبَّه. مَن عَرَفَ نفسي فقد عَرَفَ رَبّي. تلك التي أسْمَوها «أمّارةً» هي [عِندِي] مُطمئنّةٌ» (مقالات، ص٧٥-٧٦).

- أمّا في المثْنَويّ فقد بَسَطَ مولانا الحِكايةَ عَلَى أبياتٍ كثيرة في الكتابِ السّادِس، امتدّت مِن البيت ١٩١٥ إلى البيت ٢٣٨٢ (نَشْرة استعلامي). وقد تخلّلَ ذلك انقطاعاتٌ تناولَ فيها فِكَراً أُخَر. ومُلخَّصُ الحكايةِ عندَ مولانا عَلَى النّحوِ الآتي مُترجَماً عن (شَرْحِ جامع مثنوى معنوى) لِلْأستاذ كريم زماني (٦/ ٥٠٧-٥٠٨):

قِصّةُ الفقيرِ الطّالبِ لِلرّزْقِ بِغَيرِ كَسْب:

فقيرٌ مُفْلِسٌ بَلَغَ رُوحُه شفتَيْهِ مِن فَـرْطِ الفَقْـرِ والفاقـة، سـألَ اللهَ سُـبْحانَه مُستعيناً بِالصّلاةِ والدُّعاءِ رِزْقاً بِغَيرِ سَعْيٍ وكَسْب، لِكَي ينجُوَ مِن عَـضِّ الفَقْـرِ والبُؤس. استمرّ عَلَى هذا العَمَلِ أمَداً طويلاً، حتّى حَدَثَ لَيْلةً في أثنـاءِ نَومِـه أن قالَ له هاتفٌ: هُناكَ رُقْعةٌ تتحدّثُ عن كَنْزٍ، موجودةٌ بـينَ قُصاصـاتِ وَرَقِ فُلانٍ الوَرّاق، فاذهَبْ إلى دُكّانِه، واسـتلَّ رُقْعـةَ الكَنْـزِ تِلْـك بِخَفـاءٍ، واقرَأْهـا بعيداً عن الأنظارِ، واعْمَلْ وَفْقاً لِلْأمْرِ لكي تظفَرَ بِكَنْزٍ عظيم.

مضَى الفقيرُ إلى دُكّانِ الوَرّاقِ، وظَفِرَ بِرُقْعةِ الكَنْزِ، وتَوارَى عـن الأنظـارِ وقرأَها. وقد جاء في رُقعةِ الكَنْز: تذهبُ إلى خارجِ المدينة، فتَجِدُ بَلاطَ كذا، فتُديرُ ظهْرَكَ له وتَتوجّهُ إلى ناحيةِ القِبْلة. ثمّ تضَعُ سَهْماً في القَوْسِ، وتَرْمـي، وحيثُما وَقَعَ السَّهْمُ تَحفِرُ، فثَمّةَ تَجِدُ الكَنْزَ.

انطلقَ الفقيرُ مُسْرِعاً، فأحضرَ أقواساً قَويّـةً ومُحْكَمـةً، ووَضَـعَ السِّـهامَ عَلَـى الوَتَر، وأطلقَها، وحَفَرَ في مَحَلِّ سُقوطِها، لكنّه لم يَجِدْ أثَراً لِلْكَنْز. ثُمّ بعْـدَ انقضـاءِ أيّامٍ عَلَى هذا الأمْرِ الغريب، أثار تَصرُّفُه سُوءَ ظَنِّ النّـاس، خاصّـةً أهْـلَ الفُضـول. ثُمّ شَيئاً فشَيئاً ثارتِ الوَشْوشةُ والهَمْسُ. وخَشـيةَ النَّميمـةِ والسِّـعايةِ، أسْـلَمَ الفقيـرُ رُقعةَ الكنزِ إلى المَلِك خوفاً مِن تَعْذيبِه. فما كان مِن المَلِـك الـذي أهاجَتْـه عَظَمـةُ الكَنْزِ الموعودِ إلّا أن ينتدِبَ لِلْعَمَل قَوّاسِينَ مَهَرةً ومُجرَّبينَ، لِيَعْمَلُـوا وَفْـقَ الأمْـرِ، لكنْ لم يُظفَرْ بِالكَنْز. وفي نِهايةِ الأمْرِ يَئسَ المَلِكُ نفسُـه، فأعـادَ الرُّقعـةَ إلـى ذلـك الفقير. ثُمّ مَرّةً أُخرى، استأنفَ الفقيرُ العَمَلَ، لَعَلّ الكنزَ يظهَرُ له! أما وقد يَئسَ مِـن العُثورِ عَلَى الكَنْز، سألَ الحقَّ سُبْحانَه بِقَلْبٍ مُنكَسِرٍ ضارعٍ أن يكشِفَ له سِرَّ رُقْعـةِ الكَنْز. ثُمّ، وهو في هذه الأثناءِ، قال له هاتِفٌ مِن عالَمِ الغَيْب: كان الأمْـرُ فقـط أن تَضَعَ السَّهْمَ في القَوْس، فلِماذا أغرَقْـتَ فـي شَـدِّ وَتَـرِ القَـوْس؟! أقـالَ لَـكَ: شُـدَّ

الوَتَرَ بِكُلِّ قُوّتِك؟! الآنَ انهَضْ، ورَكِّبِ السَّهْمَ عَلَى وَتَرِ القَوْس، لكنْ لا تَشُدَّ الوَتَر. دَعِ السَّهْمَ نفسَه يَقَعْ مِن القَوْس. فعَمِلَ الفقيرُ ما طُلِبَ مِنه تَماماً، فوَقَعَ السَّهْمُ أمامَ قَدَمَيْهِ مُباشَرةً، وعَلَى الفَوْرِ حَفَرَ في ذلك الموضِعِ، فوَجَدَ الكَنْزَ».

رابعاً- طَبيعةُ تناوُلِ شَمْسٍ ومَولانا حِكايةَ رُقْعةِ الكَنْز:

يَشترِكُ شَمْسٌ ومولانا في أنّهما صُوفيّانِ فارسِيّانِ كبيرانِ، وفي أنّ الفَضاءَ الفِكْرِيَّ والثّقافيَّ الذي نشأ فيه كلٌّ مِنهما يُشبِه نَظيرَه الذي نشَأ فيه الآخَرُ. ونَحْسَبُ أيضاً أنّ فَضاءَ قُونِيةَ الذي عاش فيه مولانا، ثمّ انضمّ إليه فيه شَمْسٌ لِبعضِ الوقت، كان مُهيَّأً أكثَرَ مِن أيِّ مَكانٍ آخَرَ لِنَماءِ الغَرْسةِ العِرفانيّةِ التي اجتمعَ عَلَى رِعايتها والِدُ مولانا، بهاءُ الدّين وَلَد، وتلميذُه مؤدِّبُ مولانا بُرهانُ الدّين مُحقِّقُ التِّرْمِذيّ، وشَمْسُ تَبريز، وصلاحُ الدّين زركوب، وحُسامُ الدّين جلبيّ. ولِلتّفصيلِ في هذا مَحَلٌّ آخَرُ.

لكنّني أقولُ بِمَقالةِ العَرَب: وتَحْتَ الرّغوةِ اللَّبَنُ الفصيحُ، وأعني أنّه تحتَ ظاهِرِ اشتراكِ شَمْسٍ ومولانا في أمورٍ كثيرة اختلافٌ كبيرٌ، أشَرْنا قَبْلُ إلى شيءٍ منه. ويُهِمُّنا هنا تحديدُ بعضِ نِقاطِ التّشابُه والتّباينِ بينَ تناوُلِ شَمْسٍ ومولانا لِحكايةِ رُقعةِ الكَنْز في المَقالاتِ والمثْنَويّ، ولَعلَّ مِرآةَ هذه الحِكايةِ صَقيلةٌ بِالقَدْرِ الذي يَسْمَحُ بِعَرْضِ بعضِ مَلامِح وَجْهَيهما. وسنعتمِدُ في مُناقشتنا هنا أربعةَ عناصِرَ أساسيّةٍ تسمَحُ، إن شاء اللهُ، بِالتقاطِ بعضِ العَلاماتِ الفارِقةِ المُحدِّدةِ لِلشّخصيّة. **وسَنَقِفُ عَلَى الولاءِ عندَ النِّقاطِ الآتية:**

التّداعي - السَّرْد الحِكائيّ - الرّسالة الصّوفيّة - صُورة الكاتبِ مِمّا كتَبَ.

١- التّداعي:

يَستجيبُ كُلٌّ مِن شَمْسٍ ومولانا في عَرْضِ المعاني الصّوفيّةِ لِعامِلِ تَداعي المعاني association. ويعني ذلك أنّ تَتابُعَ الفِكَرِ في المَقالاتِ

والمثْنَويّ لا يخضَعُ لِقَصْدٍ تأليفيٍّ مُنتظِم، تَفْرِضُه موضوعاتُ البابِ الواحِدِ ذي الفُصولِ الكثيرة، التي يُحدِّدُها كَوْنُها أجزاءً صغيرةً لِمَوضوعِ الباب.

تَداعي المعاني ظاهِرٌ تَماماً في الكِتابَيْنِ. وعندَ شَمْسٍ، جاء تَداعي المعاني في حِكايةِ (رُقْعةِ الكَنْز) هكذا: الأنبياءُ يُعرِّفُ بعضُهم بِبَعْض. ويسألُ الصّحابةُ النّبيَّ عليه الصّلاةُ والسّلامُ: إذا كان كُلُّ نَبيٍّ يُعرِّفُ مَن قَبْلَه، وكنتَ أنتَ خاتَمَ النّبيِّينَ، فمَن يُعرِّفُكَ؟- قال: مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ رَبّه. كأنّه يقولُ: عَرَفْتُ نفسي، فعَرَفْتُ رَبّي. ولا حاجةَ بي لِمَن يُعرِّفُني. وكأنّ هذا مِن الجوابِ الحكيم. ثُمّ ينقُلُ التّداعي شَمْساً إلى القول: كُلُّ مَن زادَ عن المطلوبِ ابتعَدَ عن المقصود. كأنّه يقولُ لَهم: لا تُبالغوا في التّفكيرِ في أَمْرِ مَن يُعرِّفُني، فإنّ الذي يُفيدُ الإنسانَ هو انشغالُ قَلْبِه بِرَبّه، لا كَدُّ عَقْلِه في التّحليلِ والاستنباط. بَعْدَ ذلك ينقُلُ التّداعي شَمْساً إلى سَرْدِ حِكاية الكَنْز التي أثبَتْنا ترجمتَها. والخُلاصةُ الفِكْريّةُ التي يَشاءُ شَمْسٌ إيصالَها عَبْرَ تَداعي المعاني في الحِكايةِ هي أنّ طريقَ المعرفةِ الإلهيّةِ لا صِلةَ له بِكَثْرةِ العَمَل، ولا بالرّياضةِ والمُجاهَدة، وأنّ كُلَّ مَن أبعدَ المَرْمَى ظانًّا أنّ اجتهادَه سَيُبلِغُه المُرادَ سَيَظلُّ محروماً. والأصْلُ أنّه لا بُدّ لِلْإنسانِ مِن خُطْوةٍ لِيبلُغَ الكنزَ. ثمّ يسألُ شَمْسٌ عن ماهيّةِ هذه الخُطْوةِ: تلك الخُطْوةُ خُطْوةُ مَن؟- ثُمّ يُعيدُ ما بدأ به: مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ رَبَّه. فكأنّه يقولُ: المُهمُّ لِلْإنسانِ هو أن يَعْرِفَ نفسَه، فإذا عَرَفَ نفسَه، عَرَفَ عُبوديّتَه، فقد عَرَفَ رَبَّه؛ أي: أن تصيرَ عِندَه تلك النّفسُ التي سَمَّوها (أَمّارةً) (مُطمئنّةً).

ويُلاحَظُ هنا أنّ شَمْساً سَريعُ الانتقالِ مِن معنًى إلى معنًى بِسبَبِ الإطارِ الضّيّقِ لِلْحِكايةِ، الذي لم يتجاوَزْ ثلاثةَ عَشَرَ سَطْراً، وأنّ الكلامَ جاء نَثْراً، وليسَ شِعْراً، وأنّ شَمْساً يَستشهِدُ بِالشّعرِ بعدَ إتمامِ الحِكاية.

وقد أخذَ مولانا مادّةَ الحِكايةِ نفسَها، وتصرّفَ فيها كثيراً. وجاء تَداعي

المعاني بالحكايةِ عندَ مولانا هكذا: في الدّيارِ المَسْكُونةِ المعمورةِ تُوجَدُ الكِلابُ الضّاريةُ العُقرُ، وفي الخَرائبِ الدّاثرةِ تُوجَدُ كُنُوزُ العِزِّ والنّور. ثمّ مِن ذِكْرِ الكَنْزِ هذا انتقلَ مولانا إلى حِكايةِ الفقيرِ طالِبِ الرّزْقِ بِغَيْرِ وَساطةِ الكَسْب، الذي أَلَحَّ في الدُّعاء فرأى في المَنامِ هاتفاً يقولُ له: اطْلُبْ رُقْعةً مِمّا يتمرّنُ به الوَرّاقونَ، وقد عَثَرَ عَلَى الرُّقْعةِ ووَجَدَ مكتوباً فيها كيفيّةَ الظّفَرِ بالكَنْز.

ويظهَرُ في تعامُلِ مولانا معَ الحِكايةِ في المثْنَويّ أنّها مِن سَماعِهِ ومَحْفوظِه، وأنّه يجعَلُ كُلَّ عُنصُرٍ مِن عناصِرِها أساساً لِعَرْضِ معنًى أو فِكْرةٍ تطولُ أحياناً مُعالجتُه إيّاها، حتّى إنّ القارئ يَخالُ أنّه خَرَجَ عن نَواةِ الحِكايةِ تَماماً، لكنّه يعودُ لِيستكمِلَ مادّةَ الحِكاية، فلا يَلبَثُ عندَها طويلاً، فتَرَى التّداعيَ قد صَرَفَه إلى خاطِرٍ آخَر.

وتَداعي المَعاني عندَ مولانا مَصحُوبٌ باستسلامٍ تامٍّ لِفَيضِ الخاطِر، وبِتَدفُّقٍ معرفيٍّ هائلٍ يَجِدُ صُعوبةً في ضَبْطِ مَجْراه، وبِحِرْصٍ عَلَى تسجيلِ كُلِّ ما يَعِنُّ له، وكأنّه يقولُ بِلِسانِ الحالِ مَقالةَ ذلك الشّاعِرِ الفارسيِّ الذي استشهَدَ العَلّامةُ مُحمَّد إقبال اللّاهوريّ بقوله:

ليسَ في أعْوادِ غابي سَقَطٌ هي لِلْمِنبَرِ، أو أَعْوادُ صَلْب

وخُلاصةُ القولِ في شأنِ تَداعي المعاني في الحِكايةِ الواحِدةِ عندَ شَمْسٍ ومولانا، أنّ كُلًّا مِنهما يَستمِدُّ مِن مَعينِ عَقْلٍ واسِعٍ ومحفوظٍ غَزير، لكنّ شَمْساً كان مُتحرِّراً مِن (الفَيْضِ التِّلقائيّ لِلْمَشاعِرِ القويّة) في الشِّعْر، كما يقولُ الشّاعِرُ الإنكليزيُّ الرّومانسيُّ الكبيرُ (وِلْيَمْ وُردزْوُرثْ) (ت ١٨٥٠م) في تعريفِ الشِّعْر، وكان في الوقتِ نفسِه مَشدوداً متوتِّراً، ومُمْسِكاً بِقُوّةٍ بِزِمامِ القولِ، مِثْلَما كان يُمسِكُ بِقُوّةٍ بِزِمامِ جَوادِه الكثيرِ التَّسْيار. كان شَمْسٌ في تَداعي مَعانيهِ أدنَى إلى الرّوحِ الشّرْقي المَيّالِ إلى

الجُمَلِ القِصارِ المُختزِنـةِ لِلْمعـاني الكِبـار. ونَحسَـبُ أنّ طريقـةَ شَـمْسٍ فـي عَرْضِ المعاني المُتداعِيةِ شَبيهةٌ بِطَريقةِ مولانا في (كتاب فيهِ ما فيـهِ). ولَعـلَّ هذه هي طَريقةُ المُحاضَراتِ، أو أحاديثِ المَجالِسِ، في ذلك الزّمان.

أمّا مولانا في المَثْنَويّ، فتَداعي المعاني عندَه شَبيهٌ بِتَداعي المعاني عنـدَ فُصحاءِ العرب، الذين وَصَفَ الجاحِظُ طَريقتَهم في الكلامِ بِالارتجالِ الشّبيهِ بِالإلهامِ، وذلك حَيْثُ يقولُ: «وكُلُّ شَيءٍ لِلْعَرَبِ فإنّما هـو بَديهـةٌ وارتجـالٌ، وكأنّه إلهامٌ، وليسَتْ هناكَ مُعاناةٌ ولا مُكابَدةٌ..» (البيان والتّبيين ٣/ ص٢٨).

وأظهَرُ ما يُحدِّدُ خَطَّ سَيْرِ المعاني في مَثْنَويِّ مولانـا، جَيَشـانُ صَـدْرِه بِكـلامِ النّفسِ، وإيفاءُ المعاني العارِضةِ حقَّها مِن الإبانـةِ والإيضـاح. فظـاهِرٌ عنـدَ مولانـا شَيءٌ يمكنُ تَسْميتُه الابتهاجَ بِمَواليدِ المعاني، أو بَناتِ العَقْل، والتّخليقَ التّامَّ لَها.

٢- السَّرْدُ الحِكائي:

في عَرْضِ نَواةِ الحِكاية لا يَحْرِصُ شَـمْسٌ إلّا عَلَـى تَخْليـقِ البـذْرةِ مُحتـوًى وصُورةً، فطَريقتُه هي طَريقةُ السَّرْدِ المتعجِّلِ الذي يحتفـي فقـط بِعَناصِـرِ الهَيْكَـلِ الحِكائيّ لا يتعدّاه. ولَسْتُ متحقّقاً مِن أنّ شيئاً مِن ذلك يعودُ إلى ضِيقِهِ بِمَن حَوْلَه، كأنّه كان يُحِسُّ أنّه هو في العُدْوةِ الدّنيا، وأنّ مَـن يُحـدِّثُهم فـي العُـدْوةِ القُصْـوى، وكأنّه في الوقتِ نَفْسِه كان يقولُ بِمَقالةِ الشّاعِرِ الصّوفيّ الحكيم سَنائي:

إنّ بَيْتـي لـيسَ بَيْتـاً، إنّـه إقلـيمُ إنّ هَزْلي ليسَ هَزْلاً، إنّه تَعْلـيمُ

أمّا طَريقـةُ عَـرْضِ مولانـا فهـي طَريقـةُ الـزّارِعِ الـذي يَضَـعُ البـذرةَ فـي التّراب، ثُمّ يتعهّدُ النّبتةَ حتّى الإزهارِ والإثمار. وما أدَلَّ ما قـال شَـمْسٌ نفسُـه عن طريقتِه هو وطَريقةِ مولانا: «كُلُّ مَن يَصِلُ إلَيَّ يكونُ تَبَعـاً لـه؛ لِأنّ البـابَ كان مُغْلَقاً ثُمّ انفتَحَ له».

تَناوُلُ شَمْسٍ الحِكايةَ هو تَناوُلُ الصّوفيِّ الجَوّالِ المتكتِّم، الذي يكتفي فـي

حِكايته باللَّمْحةِ العابرةِ والإشارةِ الدّالّة، غيرَ قاصِدٍ البتّةَ إلى أن تَغدُوَ الثّقافةُ الصّوفيّةُ، أو المعارفُ الإلهيّةُ، شَعْبيّةً مِن حَظّ الجُمهور. أَلَمْ يقُلْ شَمْسٌ عن نفسِه: «في هذا العالَم، لا شَأنَ لِيَ بهؤلاءِ العَوامِّ، لَم آتِ لِأَجْلِهم». وأجرُؤ عَلَى القولِ: إنّ مولانا جلالَ الدّين وَحْدَه استطاعَ بِفَذاذةٍ أن يؤنِسَ وَحْشةَ شَمْسٍ وغُرْبتَه، وأن يجعَلَ شَمْساً الجَوّابَ الآفاقِ، الحَذِرَ المتكتِّمَ، مُواطِناً قُونويًّا لِستّةَ عَشَرَ شَهْراً، مُواطِناً ذا زَوْجةٍ وبَيْتٍ، ويتحدّثُ في مَجالِسَ صغيرةٍ خاصّة.

أمّا تَناوُلُ مولانا عَيْنَ الحِكايةِ، فهو تَناوُلُ الفقيهِ الحَنَفِيِّ، المُدرِّسِ النّاجِحِ ذي التّلاميذِ الكثيرين، صاحِبِ الفُتْيا، الذي صار بِضِياء شَمْسِ شَمسٍ عارفاً إلهيًّا، شارِحاً لِأساسيّاتِ المعرفةِ الإلهيّةِ بِلِسانِ العاشِقِ المُمْتلِكِ إلى الغايةِ أدواتِ التّمثيلِ والتّخييلِ والجاذبيّة. نَعَمْ، الأمْرُ مِثْلَما قال شَمْسٌ نفسُه: كان بابُ المعرفةِ الإلهيّةِ عندي مُغلَقاً عَلَى العَوامِّ، فانفتحَ لِمَولانا. ولَوْ أنّ بابَ المعرفةِ الإلهيّة لم يُفتَحْ لِمَولانا لَاكتفَى في تقديمِ معارِفِه بكتابٍ واحِدٍ، ولَما نَظَمَ سِتّةَ كُتُبٍ استطاعَتْ أن تُجلِّيَ تصوُّفَه المُحَلِّقَ، وفِكَرَهُ العِرْفانيّةَ الغَزيرةَ، ووَثَباتِهِ الفِكْريّةَ والتّصويريّة.

٣- الرّسالةُ الصّوفيّةُ:

كان كُلٌّ مِن شَمْسٍ ومولانا يستعمِلُ أحياناً الحِكايةَ نفسَها لِيُحمِّلَها مَطْلَباً صُوفيًّا يُريدُ أن يَعْرِفَه مَن يُخاطِبُهم. والمَطْلَبُ الصّوفيُّ عندَ شَمْسٍ في هذه الحِكايةِ هو: طَريقُ المعرِفةِ الإلهيّةِ لا صِلةَ له بكَثْرةِ العَمَلِ، ولا بالرّياضةِ والمُجاهَدة، ولا بالإيغالِ في إعمالِ الفِكْر وكَدِّ الذِّهن، بل مَن أبعدَ المَرْمَى ظَلَّ محروماً. وكان يكفي صاحِبَ (رُقْعةِ الكَنْز) أن يُركِّبَ السَّهْمَ ويتركَه يَقَعُ بنَفْسِه لِيظفَرَ بِمَحَلِّ الكَنْز. أمّا شَدُّ نَزْعِ القَوْسِ، وانطِلاقُ السَّهْمِ بعيداً، فشَيءٌ آخَرُ. وكأنّ المُرادَ في كُلِّ الطّاعاتِ الامتثالُ والاستجابةُ، أمّا النَّظَرُ إلى الطّاعةِ نفسِها والتّزيُّدُ فيها فشَأنٌ آخَرُ.

أمّا المطْلَبُ الصّوفيُّ مِن الحِكايةِ نفسِها عندَ مولانا، فهو كما يقولُ شارِحُ المَثْنَويِّ الرّائعُ الأستاذ كريم زَماني: «إنّ حاقَّ رِسالةِ مولانا في هذه الحِكايةِ هو أنّ كَنْزَ الحقيقةِ ليسَ خارجَ الإنسان، بل داخلَه». ووَفْقَ هذا التّقديرِ يمكنُ عَدُّ هذه الحِكايةِ تفسيراً لِلْآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. كذلك في هذه الحِكايةِ كان مَشْرَبُ الفلاسِفةِ وأصحابِ القِيلِ والقالِ مَحَلَّ نَقْدٍ جاء في قالَبِ التّمثيل، وعَلَى نحوٍ حاذِقٍ؛ فإنّ التّزيُّدَ في التّفكيرِ والإفراطَ في إعمالِ العقلِ عندَ هؤلاءِ لا يُوصِلانِ إلى كَنْزِ الحقيقة، بل يَذهَبانِ بِالإنسانِ إلى مَضِلّةِ الأوهامِ والاضطرابِ. ورُماةُ السِّهامِ المُبعِدونَ بِالرَّمْي هم تمثيلٌ لِهؤلاء. والحقيقةُ أنّ مولانا أعاد استنتاجَه مِن هذه الحِكايةِ في الأبيات ٢٣٥٣-٢٣٥٨:

آنچه حقّ اسْتْ، اقرب از حَبْلِ الوريد — تو فكنده تيرِ فكرَتْ را بعيد
اى كمان وتِيرها بر ساخته — صيدْ، نزديك وتو دور انداخته
هركه دُورانداز تَرْ، او دُورتَرْ — وز چنين گنج استْ او مهجورتَرْ
فلسفى خودرا از انديشه بِكُشتْ — گو: بِدَو، كو راستْ سوى گنج پشتْ
گو: بِدَو چندانكه افزون مى دَوَدْ — از مُرادِ دِلْ جُداتَرْ مى شَوَدْ
(جاهَدوا فِينا) بِگفتْ آن شهريار — (جاهَدوا عَنّا) نگفتْ اى بى قَرارْ

وبِالعربيّة يقولُ:

- ذلك الذي هو الحَقُّ، أقرَبُ إليكَ مِن حَبْلِ الوَريد
وأنتَ رَمَيْتَ سَهْمَ فِكْرِكَ إلى القَصِيِّ البعيد
- فيا مَن رَكَّبْتَ القَوْسَ والسِّهام
الصَّيْدُ قَريبٌ، وأنتَ رَمَيْتَ إلى البعيد

- إنّ كُلَّ مَن أبعدَ رَمْيَ سَهْمِ تفكيرِه ظَلَّ أبعدَ عن الهَدَف
وابتعدَ أكثَرَ عن كَنْزِ حَقيقةِ وُجودِه
- وقد قَتَلَ الفيلسوفُ نفسَه مِن فَرْطِ التّفكير
فقُلْ له: اجْرِ، فإنّه قد أدارَ ظَهْرَه لِلْكَنْز
- قُلْ له: اجْرِ، فإنّه كُلَّما جَرَى أكثَرَ
صار أبعدَ عن مُرادِ القَلْبِ
- وقد قال ذلك المَليكُ الإلهيُّ: (جاهَدُوا فِينا)
ولم يَقُلْ: (جاهَدُوا عَنّا)، أيُّها القَلِقُ المُضطَرِبُ

٤- صُورةُ الكاتبِ مِمّا كتَبَ:

أرمي في هذه المندوحةِ إلى التقاطِ بعضِ خاصِّيّاتِ الشّخصيّةِ الفِكْريّةِ والفَنِّيّةِ لِكُلٍّ مِن شَمْسٍ ومولانا، مِن خلالِ الأثَرِ الحِكائيّ الواحِد، الذي وَظّفَه كُلٌّ مِنهما في كتابه. وأسجِّلُ هنا بعضَ النِّقاط:

- كُلٌّ مِن شَمْسٍ ومولانا مُفكِّرٌ عِملاقٌ في فَضاء العِرْفانِ الإسلاميّ، وقد أظهَرَ كُلٌّ مِنهما أبعاداً صُوفيّةً عميقةً لِلْإسلام، وَفْقَ عبارة الرّاحلةِ الكبيرة (أنّيماري شيمل). وقد جاء كِتاباهما لِيُنزَلا مُنزَلاً عَلِيًّا في مَصادرِ التّصوّفِ الإسلاميّ الكُبْرى.

- استعمَلَ كُلٌّ مِنهما الحِكايةَ والتّمثيل analogy أداةً لِلتّثقيفِ في مَجالِ تعرُّفِ مَذْهَبِ أهْلِ التّصوّف. ومَعَ أنّ شَمْساً كان ناثِراً، ومولانا جلالَ الدّين كان شاعِراً كبيراً، جمعَهما قَصْدٌ واحِدٌ هو تَجْليةُ حَقائقِ التّصوّفِ، وقَصَدَ الاثنانِ تقديمَ ثَقافةٍ تَتجاوزُ قِشْرَ التّديُّنِ وظاهِرَه، وتتخطّى آفاقَ التّفكيرِ العَقْليّ الذي يَدّعي امتلاكَ الحقائقِ والتّفسيرِ والتّعليل، ولكنّه يَقِفُ عندَ مَوادِّ الحواسِّ الخَمْسِ التي كثيراً ما كانَتْ أسباباً لِلْوَهْم.

- جَمْعُهما في التّفكيرِ والنّظَرِ بينَ البَساطةِ والتّعقيد، والسَّطْحيّةِ والعُمْق، والمادّةِ والرّوح، وإدراكهُما العَميقُ لِرُوحِ القُرآنِ ورِسالةِ الأنبياء، وثقافتهُما العميقةُ في مجالِ العقائدِ وتاريخِ الإسلام = كُلُّ ذلك يجعَلُ ما قدّماهُ مُؤثراً لَدَى جَمْهرةٍ عريضةٍ مِن أَهْلِ الأعصُرِ المختلفة.

- يمتازُ رُوحُ شَمْسٍ ورُوحُ مولانا بِجاذبيّةٍ وخِلابةٍ وإثارةٍ، وكأنّهما يُحدِّثانِ الإنسانَ، أيَّ إنسانٍ، عن رُوحِه هو، وهُما تَبَعاً لِذلك مُجدِّدانِ لِرُوحِ الإسلامِ المُشْرِقِ العَذْبِ الذي لا تنقضي عَجائبُه.

- تُناسِبُ الحِكايةُ القصيرةُ رُوحَ شَمْسٍ الجَوّابِ الجَوّال، الذي لم يجتذِبْه مكانٌ، ولم يستوقِفْه مِن أَهْلِ زمانِه إلّا مولانا جَلالُ الدّين، ولم ينشَغِلْ إلّا بِتَدْريس تلاميذِ الكُتّابِ الصِّغار.

وتُناسِبُ الحِكايةُ المُمْتدّةُ طُولاً، المُتنقِّلةُ موضوعاً، المُحلِّقةُ بِجَناحَي الشّعر، رُوحَ مولانا جلالِ الدّين، المُرْشِدِ الرّوحيّ، العاشِقِ الشّاعِر، الأستاذِ لِعَصْرِه ولِلْأعصُرِ اللّاحقة.

- عَبَّر شَمْسٌ في المَقالاتِ عن محبّتِه لِمَولانا وعن إعجابِه به، وعن وَحْدةِ (الرِّسالةِ) بينَه وبينَ مولانا حِين قالَ: (**إنّ دانقَ مولانا يَعْدِلُ مئةَ دينارٍ عندَ غيرِه، عندَ المُحبِّينَ له. وكُلُّ مَن يَصِلُ إلَيَّ يكونُ تَبَعاً له؛ لِأنّ البابَ كان مُغْلَقاً ثُمّ انفتَحَ له**). ألا يمكنُ هذا أن يعنيَ أنّ شَمْساً أراد بِهذا أنّه هو مَدينةُ العِلْمِ، وأنّ مولانا جلالَ الدّين هو البابُ لِهذه المدينة، فيُذكِّرَنا بِالحديثِ الشّريف: (**أنا مَدينةُ العِلْمِ، وعَلِيٌّ بابُها؟**)

أمّا بَعْدُ، فهذه هي مَرايا حِكاية (رُقْعةِ الكَنْز) في المَقالاتِ والمثْنَويّ، حاوَلْنا أن نَرى فيها وَجْهَي شَمْسٍ ومولانا، وسَعَيْنا ما استطَعْنا لِأَنْ تظهَرَ فيها قَسَماتُهما ومَلامِحُهما. ومِن اللهِ سُبْحانَه التّوفيقُ والإصابةُ والخَيْرُ.

مجمع دمشق
من المجمع العلميّ العربيّ
إلى مجمع اللغة العربيّة

أ. د. رفعت هزيم(*)

لمّا انتهى الحكمُ العثمانيّ في سورية بدخول الأمير فيصل دمشق في تشرين الأوّل عام ١٩١٨ قامت أوّلُ حكومة عربيّة برئاسة الحاكم العسكريّ العام علي رضا الركابي، وكان التعريب وإنهاء التتريك أوّل ما اهتمّت به، فألّف الركابي عدداً من اللجان لتحقيق هذا الغرض ؛ منها: لجنة الترجمة والتأليف التي كُلّفت بنشر الثقافة العربية اللغويّة والأدبيّة بين الموظفين، واستبدال الألفاظ العربيّة بالألفاظ التركيّة، لجنة المعارف للقيام بشؤون التعليم والكتب المدرسيّة. ثم دُمجتِ اللجنتان معاً في ١٢ شباط عام ١٩١٩ باسم «ديوان المعارف»، على أن يرأسه محمد كرد علي، وحُدّدتْ مهمته بتولّي شؤون التعليم والتأليف وتأسيس دار الآثار والإشراف على المكتبة الظاهريّة. فلمّا زادت أعباءُ هذا الديوان اقترح كرد علي تحويله إلى مجمعٍ علمي مرتبطٍ بالحاكم العام، فأصدر الركابي قراراً في ٨ حزيران عام ١٩١٩ جاء فيه: «دفعاً للالتباس الذي يمكن وقوعه نسّبنا أن يُسمّى ديوانكم

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٠/ ٢/ ٢٠١٩م.

بالمجمع العلميّ (أقاده مي)»، فوُلد بذلك المجمع العلمي العربي برئاسة كرد علي، وعقد أولى جلساته في ٣٠ تموز من العام نفسه.

ثم أرسل رئيسه نسخاً من رسالة بالعربية والفرنسية مؤرّخة في ٢٠ أيلول ١٩١٩ إلى جماعة من العلماء العرب والمستشرقين وإلى مراكز الدراسات والأبحاث في دولٍ شتى يُبيّن فيها أهداف المجمع، فقال: «لقد وُكل إلى المجمع النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشرُ آدابها، وإحياءُ مخطوطاتها، وتعريبُ ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربيّة، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمطٍ جديد. وعُنيَ أيضاً بجمع الآثار القديمة من تماثيل وأدواتٍ وأوانٍ ونقود وكتابات وما شاكل ولا سيّما ما كان منها عربيًّا، كما عُني بجمع المخطوطات القديمة الشرقيّة والمطبوعات العربيّة والإفرنجيّة على اختلاف موضوعاتها»[(١)].

ولا شكّ في أنّ الهدف الأوّل من إنشاء المجمع كان التعريب بمعناه الواسع للخلاص من التتريك ثم لمنع المستعمر الفرنسي من تطبيق سياسة الفَرْنَسة، أيْ: هيمنة اللغة الفرنسية وثقافتها في سورية على النحو الذي جرى في بلدان المغرب العربيّ. وينبغي ألا ننسى أنّ إنشاءه كان في إطار ما سعى إليه روّاد عصر النهضة العربيّة كجمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ورفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وعبد الله النديم ورشيد رضا وطاهر الجزائري الذين دعوا إلى إحياء العربيّة وصونها واستعمالها وحدها في الإدارة والتعليم. ويظهر أنّ الشدياق كان أول من دعا في جريدته «الجوائب» عام ١٨٧٠ إلى إنشاء مجمعٍ للغة العربية، فكان «المجمع العلميّ الشرقيّ» أول المجامع، وقد أُنشئ في بيروت عام ١٨٨٢،

(١) المجلّد الأوّل من مجلّة المجمع المنشور عام ١٩٢١.

وشارك في تأسيسه يعقوب صروف وبطرس البستاني وإبراهيم اليازجي وفارس نمر، وأنشأ الشيخ توفيق البكري «المجمع اللغوي» في القاهرة عام ١٨٩٢[٢]، وتلاه بعد زمن جمعية أخرى بالاسم نفسه - أي: «المجمع» - أسسها الشيخ سليم البشري وأحمد لطفي السيّد عام ١٩١٧. ثم جاء إنشاء المجمع العلمي بعد عامين بدمشق، وأُلحقَ به «المتحف الملوكي». ويحسن أن يعود المرء هنا إلى بعض ما قاله كرد علي في حديثه في «المنتدى الأدبي» - وهو مجمع الناشئة العربية من طلاب المدارس العالية في الآستانة - عام ١٩٠٩ بعد عودته من أوروبا مصوّراً حال العرب والعربيّة أواخر عهد الدولة العثمانية: «أليس مما يُزعجُ أن يُخاطِبَ العربيُّ أباه وأُمّه وأخاه وصديقه بغير لغته الأصليّة؟ لا يعملُ ذلك ليتمرّن على تلقّف غير لغته، بل لأنه لا يعرف أن يتكلّم ويكتب بلسان أبيه وأمّه، وقد يكون - في الأكثر - ممن يُفرض عليهم فَرضَ عينٍ تعلُّمُها ليفهم بها كتابه وشريعته. أنا إنْ كنتُ عربيًّا وأحبّ العرب وأريدُ نهوضهم أيتيسّرُ لي كلُّ ما أُريد إذا لمْ أُخاطبْهم وأخطبْهم وأكتبْ لهم بلغتهم التي يفهمونها؟ أنا إنْ كنتُ أريد الاطلاع على مجد آبائي وأجدادي أأتمكّنُ من ذلك بدون دراسة ما خلّفوه من آثارهم؟ وهل يتيسّر لي هذا إلا باللغة التي كتبوا بها؟»[٣].

ومن المؤكّد أنّ هذا المجمع أُريد منه أن يكون نظيراً لأكاديمية اللغة الفرنسيّة، ذلك أنّ كرد علي زار بلداناً أوروبيّة منها فرنسة عام ١٩٠٩، ووصف ما سمّاه «مجامع باريز العلميّة»، وأهمها - عنده - خمسة، أوّلها «المجمع العلميّ الفرنسويّ المعروف بالأكاديميّ...، وهو يشتغل خاصةً

(٢) المعلوف، مجلة المجمع: ١/ ١٠٤.

(٣) كرد علي، غرائب الغرب ١/ ١٦٠.

بتأليف معجم اللغة الفرنسويّة، وأعضاؤه أربعون رجلاً ويقال لهم المخلّدون». ووصف ما شهده في الجلسة السنويّة لأحد المجامع الخمسة، وختمه قائلاً: «وحدّثتني النّفسُ ببلادنا الشرقيّة، وقلتُ: هل يُكتبُ لنا في المستقبل تأليف مثل هذه المجامع فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين أو نظلّ كما نحن لا نعمل فرادى ولامجتمعين؟»(٤).

ويتضح من ذلك أنّ كرد علي هو الذي ترجم مُسمّى «الأكاديمية الفرنسية» (l'Academie Francaise) إلى «المجمع العلمي»، ويؤكّد ذلك أنّ الاسمين وردا جنباً إلى جنب في قرار الركابي الذي سبق ذكره، ثم وصفه كرد علي في رسالته المشار إليها بلفظ «العربيّ» الذي لم يرد في القرار محاكاةً لنظيره «المجمع العلمي الفرنساوي»، ولذا سمّاه بالفرنسية (Academie Arabe) في تلك الرسالة. ومن الطريف أن الشدياق ترجم كلمة «الأكاديمية» الفرنسية إلى «المشيخة» في حين عرّب الطهطاوي الاسم الفرنسي إلى «أكدمة الفرنسيس» و«أكدمية» و«قدمة»، وبيّن أصل الكلمة واستعمالها زمن أفلاطون، ولكنه أبقاها بدون ترجمة، أما «المجمع» أو «المجلس» فهما عنده ترجمة لكلمة «الأنسطيطوت» (Institute)(٥).

وإنْ تتبّع المرءُ مسيرة المجمع منذ نشأته حتى وفاة كرد علي فسيجد أنها ارتبطت بسيرة هذا الرجل ارتباطاً وثيقاً، ولو سُمّي هذا الصرحُ العلميّ «مجمع كرد علي» لما كان في ذلك مغالاة، فهو الذي اقترح إنشاءه، وهو مؤسّسه، وهو الذي سمّاه المجمع العلميّ، وهو الذي اختار أعضاءه، وهو الذي رفض أن يضمّ إليه مَن لم يكن أهلاً لذلك، وهو واضع نظامه ومحدّد أهدافه. وقد يعجب المرء

(٤) نفسه ١/ ١٠٤.

(٥) الطهطاوي، تخليص الإبريز ١٦٧-١٦٨.

من أن يكون هذا الرجل غير عربي، فهو الذي يقول: «جاء جدّي من بلاد الأكراد...، وأُمّي شركسيّة، فأنا على رغم مَن آمن وكفر من جنسٍ آريٍّ»[٦]، ولكن العجب سرعان ما ينقضي بعد مطالعة سيرته، ويرجع الفضلُ الأوّل في طابعها العربيّ إلى أُستاذه الذي ما انفكّ يذكر فضائله ثم أهدى إليه كتابه «كنوز الأجداد» بقوله: «إلى روح مَن أشربَ قلبي حبّ العرب وهداني إلى البحث في كتبهم؛ صدر الحكماء سيّدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري»، إذ كان التعريبُ الهمَّ الأكبر للشيخ الذي تلمذ له معظم أعلام سورية الذين عرفناهم في النصف الأوّل من القرن العشرين، وهو الذي أقنع مدحت باشا والي سورية بأن تحلّ العربية محلّ التركية لغة تعليمٍ في المدارس. وإذا كانت حكومة الركابي أمرت في آخر تشرين الثاني عام ١٩١٩ بتوقيف أعمال المجمع بدعوى الضائقة الماليّة توقيفاً مؤقتاً بعد أن عقد ٧٥ جلسة»[٧] وتنحية رئيسه وأعضائه ما عدا اثنين منهم يشرفان على دار الآثار ودار الكتب «أحدهما صاحب نوادر يسلّي الركابي في داره، والثاني ينظم له قصائد يمدحه بها»[٨]، فقد أعاد كرد علي إثر تولّيه وزارة المعارف في ٧ أيلول عام ١٩٢٠ المجمع إلى نشاطه بعد أسابيع من وقوع سورية تحت الانتداب الفرنسي. ثم أُبعد كرد علي ثانية عن رئاسة المجمع بين عامي ١٩٣٧ و١٩٤١، فبقي مقعد الرئيس شاغراً حتى عاد إليه ظافراً وظلّ رئيساً للمجمع حتى وفاته عام ١٩٥٣. ويروي معاصروه أنه كان يتفقّد المجمع صباح مساء، ويحضر جميع جلساته وندواته، ويوجّه محاضراته، وينجز أعماله، فغدا المجمع القوة الدافعة لحياته ونشاطه، وكأنه لا همّ له ولا شاغل عن المجمع،

(٦) كرد علي، المذكرات ١/ ٥.

(٧) المجلة ١/ ٣.

(٨) المذكرات ١/ ٢٧٨.

ولقي في سبيله عداء السلطة ونقدَ الخصوم والحاسدين. وقد بيّن ذلك في مذكراته، فقال: «إن المجمع العلمي لمْ يلقَ من السلطات الوطنيّة تنشيطاً بل لقي تثبيطاً، فالأمير الذي له الحقّ أن يُفاخر بأنّ المجمع أنشئ في أيامه خذله، والركابي ضربه ضربةً تكاد تقضي عليه وضرب رئيسه...، وقد لقيتُ الألاقي في سبيل هذا المجمع العلمي كأنه كان بعض ملكي، وكان الأردياءُ الحسدة يعرفون حرصي عليه فيضربونه ليضربوني، ويعبثون بمصلحته ليؤذوني...، وما رأيتُ باباً يوصلني إلى النهوض بالمجمع إلا طرقته، ولطالما بذلتُ ماء وجهي لأُناسٍ ما كنت أتنازلُ للسلام عليهم من قبل، حتى استهديتُ له المخطوطات والعاديات. وكنتُ أقتصد من موازنته القليلة مالاً أدّخره لأمورٍ تنفعه في المستقبل، وأُحاول إعلاء مكانته بين علماء الشرق وعلماء المشرقيات، وكان من أثر حرصي عليه الابتعادُ به عن السياسة، فأصبح المعهدَ الوحيد في جميع أرض الانتداب يعملُ حُراً لا رقيب عليه ولا مستشار له يُملي على مَن فيه إرادته. وكان الفرنسيُ في الشام سيّداً في كل مكان إلا في المجمع العلمي العربي، فإنه كان يزوره خاشعاً متواضعاً حتى لقد قال المفوّضُ السامي المسيو بونسو – وهو يزور المجمع مع المفوض السامي في فلسطين –: إنّ الفرنسيين في سورية يعلّمون، وفي المجمع العلمي يتعلّمون»[٩].

وجُعِل المجمعُ ومعهد الحقوق الذي أُنشئ عام ١٩١٤، والمعهد الطبّي الذي أُسّس مع المجمع في عامٍ واحد، ومدرسة الآداب التي يقوم المجمع بتأسيسها، فروعاً لما سُمّي «الجامعة السوريّة» في ١٥ حزيران ١٩٢٣[١٠]. وأُلّفتْ لجنة من ثلاثةٍ من أساتذة معهد الحقوق – وهم: فارس الخوري وعارف النكديّ وعثمان سلطان – لوضع نظام المجمع، فأعدّته بعنوان «قانون

(٩) المذكرات ١/ ٢٧٩-٢٨٥.

(١٠) انظر نص القرار في المجلد الثالث من مجلة المجمع (١٩٢٣) ص ٩٤.

المجمع العلميّ العربيّ»، وذكرت المادة الثانية من هذا القانون – الذي ظلّ حبيس الأدراج زمناً – أنّ «غرض المجمع هو خدمة اللغة العربيّة، وإحياءُ آثار العرب، والعناية بداري الآثار والكتب، وإنشاء مجلّة المجمع، والبحث عن الكتب النافعة وتصحيحها ونشرها»(١١). ثم فُصل المجمع وما يرتبط به – أيْ: دارا الآثار والكتب – بقرارٍ من المفوّض السامي عن الجامعة في ١٥ آذار ١٩٢٦ استجابة لطلب كرد علي، على أن يصبح مرتبطاً بوزارة المعارف، ثم نصّت المادة الثانية من التعليمات الموضّحة لذلك القرار التي نُشرت في ٨ أيار ١٩٢٨ – وكان كرد علي حينذاك وزير المعارف – على «أنّ المجمع العلمي العربي جمعية عُلماء غايتها ومهمتها حفظ اللغة العربية وترقيتها، والتدقيق في البحث عن تاريخ سورية واللغة العربية»(١٢).

ولكن دائرة عمل المجمع كانت أوسع من ذلك لثلاثة أسباب: أوّلها: أنّ رئيسه تولى وزارة المعارف مرتين: أولاهما بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٢، والأخرى بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٢، فلم يكن الفصل حينئذٍ بين عمل المجمع وعمل الوزارة سهلاً؛ لأنّ القائم بأمرهما واحد. وثانيها: خلو البلاد زمن قيام المجمع من المؤسسات الحكوميّة العلميّة والثقافيّة ماعدا معهدَيِ الطبّ والحقوق، فأصبح المجمع بذلك المؤسسة التي تتولى معظم شؤون التعليم العام والتعليم العالي والثقافة. وثالثها: تفشّي الأمّيّة، مما جعل المجمع يخصّص حيّزاً من عمله لتثقيف الجمهور.

وهكذا شمل عمل المجمع في ربع القرن الأوّل من حياته مجالاتٍ متعدّدة، **وأهمّها:**

(١١) الفتيح أحمد، تاريخ المجمع العلمي العربي، ٢٣٨.

(١٢) المصدر السابق ٢٤٠.

١- إحياءُ التراث ونشره: إذْ حثّ المجمعُ الباحثين - عرباً ومستشرقين- على تحقيق المخطوطات، ثمّ نشر بعضها في مجلّته وبعضها الآخر في تصانيف مطبوعة على نفقته.

٢- التعاون مع أساتذة معهدي الحقوق والطبّ في التعريب ووضع المصطلحات، وقد أرسل المجمع إلى مديرية المعارف رسالة يبيّن فيها «أنّ انفراده بهذا العمل لا يأتي بالفائدة المطلوبة لما يقتضيه من الإحاطة بالعلوم والفنون العصريّة المختلفة ومعرفة اللغات الأجنبيّة».

٣- إنشاء المكتبة الظاهريّة التي اجتمعت فيها المكتبات المبعثرة في مساجد دمشق وزواياها، ومكتباتُ الأعلام الرّاحلين، والكتبُ والمخطوطات المُهداة من العلماء العرب والمستشرقين.

٤- إلحاقُ «المتحف الملوكي» الذي أسسته الحكومة العربية عام ١٩١٩ بالمجمع عام ١٩٢٠ ونقله إلى المدرسة العادليّة، وإيفاد مديره جعفر الحسني إلى فرنسا للتخصص في دراسة الآثار واللغات القديمة، فلمّا عاد إلى دمشق عام ١٩٢٤ عُيّن محافظاً للمتحف ومديراً لدائرة الآثار.

٥- افتتاح مدرسة الأدب العليا بإدارة شفيق جبري التي كانت نواة كليّة الآداب في الجامعة السورية، وكان من خريجيها عامي ١٩٣٢ و١٩٣٣ الأساتذة: سعيد الأفغاني وزكي المحاسني وأنور العطّار وجميل سلطان ومنير الريّس ومصطفى الزرقاء الذين شاركوا في حمل مشعل الثقافة في العقود التالية[١٣].

٦- فتح أبواب المجمع للمحاضرات العامة لتثقيف العامّة في الشؤون اللغوية والأدبيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة، وقد بلغ عددها بين عامي

(١٣) د. مازن المبارك - المجمعيون الأوائل: أسماء الأساتذة والخريجين ١٥٧-١٥٩.

١٩٢١ و١٩٤٦ زهاء أربعمئة ألقاها أعضاء المجمع ومستشرقون وعرب وسيّدات.

٧- إقامة الاحتفالات لتكريم الأدباء العرب ثم لتأبينهم، ومنها تكريم أحمد شوقي عام ١٩٢٥ ثم حافظ إبراهيم عام ١٩٢٩، ثم تأبينهما عام ١٩٣٢.

٨- تنظيم المهرجانات الأدبية الكبرى، وأهمها: مهرجان المتنبي عام ١٩٣٦ بمناسبة مرور ألف عامٍ على وفاته، ثم مهرجان المعرّي عام ١٩٤٤ بمناسبة مرور ألف عام على ولادته.

٩- إقامة المعارض، فقد اقترح كرد علي - وهو وزير للمعارف - إقامة معرضٍ للصناعات الشرقيّة بجميع أنواعها من نسيجيّةٍ وزجاجيّة وخشبيّة ومعدنيّة، وافتتح المعرض في مبنى المجمع في المدرسة العادليّة عام ١٩٢٨، ثم أُقيم معرضٌ ثانٍ عام ١٩٣٦ بإشراف عضو المجمع مصطفى الشهابي في مدرسة التجهيز الأولى (جودة الهاشمي) اليوم.

ثم أسهم عاملان في تضييق المجال الذي يعمل فيه المجمع والتخفيف من أعبائه إسهاماً واضحاً، وهما: استقلال دائرة الآثار عن المجمع عام ١٩٣٧، وقيام المؤسسات العلمية والثقافية الحكومية، وفي مقدمتها توسيع الجامعة السورية بافتتاح كليتي الآداب والعلوم عام ١٩٤٦، فكلية التربية عام ١٩٥٣، فكلية الشريعة عام ١٩٥٥، لتقوم تلك المؤسسات - ومعها وزارتا الثقافة والإعلام اللتان أُحدثتا بعد ذلك - ببعض ما كان يقوم به المجمع، ولذا توقفت المحاضرات العامة فيه بعد عام ١٩٤٦، ونهضت دائرة الآثار بأعبائها، وقصر المجمعُ اهتمامه على أهدافه التي أُنشئ لتحقيقها.

وإذا كانت المجلّة مرآة صادقة تعكس عمل المجمع فإنّ النظر في محتوياتها يُظهر أنّ النصيب الأكبر منه كان في مجالين اثنين: أحدهما: تعريب لغة الدواوين والإجابة عمّا يُسأل عنه مما تحتاج إليه دوائر الدولة العربيّة الوليدة ومؤسسات المجتمع، وقد كان يُرسل المجمع كلّ ما يضعه أو يُعرّبه من ألفاظٍ ومصطلحات إلى الحاكم، إضافة إلى نشره في مجلّته التي بدأت بالصدور مطلع العام ١٩٢١ ليكون ذلك سبيلاً لتعميمه. وقد شارك في ذلك أعضاء المجمع المختصون بالعلوم الأساسيّة والتطبيقية، ومنهم الأطباء: مرشد خاطر وأسعد الحكيم وجميل الخاني، أما بحوثهم في مجالات التخصص فكانوا ينشرونها في المجلات الخاصة بتلك العلوم كمجلة المعهد الطبي العربي. ولم يحدْ عن هذا النهج مَن تولّى منهم رئاسة المجمع، فقد نشر مصطفى الشهابي - وكان مهندساً زراعيًّا - في مجلة المجمع أكثر من ١٧٠ مقالةً منذ دخوله المجمع عام ١٩٢٦ حتى وفاته عام ١٩٦٨، فكان يتناول فيها ألفاظ علم الزراعة ومصطلحاته، أو يعرِّف بكتبٍ نشرها باحثون في موضوعاتٍ شتّى(١٤). وحذا حذوه خلفُه في رئاسة المجمع الطبيب حسني سبح حتى لقي ربّه عام ١٩٨٦، فقد عرفه قرّاء المجلة بسلسلةٍ من المقالات - وعددها خمسون - نشرها فيها بين عامي ١٩٥٩ و١٩٨٢ بعنوان «نظرة في معجم المصطلحات الطبّية الكثير اللغات لـ (كليرفيل) Clairville» الذي نقله إلى العربية مرشد خاطر ومحمّد حمدي الخيّاط وصلاح الدين الكواكبي، ولم تكن هذه المقالات بحوثاً طبيّة؛ لأنه قصرها على ما يراهُ صواباً في ترجمة المصطلحات وما يقابلها في العربيّة(١٥)،

(١٤) انظر عناوينها في: د. ممدوح خسارة، الأمير المجمعي مصطفى الشهابي: ٣٦-٥٤.

(١٥) انظر عناوين مؤلفاته في: د. صادق فرعون، الأستاذ الدكتور حسني سبح ٦٣-٦٨.

فليس غريباً ألا يجد المرء في المجلة مقالةً علميّةً واحدة لأيٍ منهما في علوم الزراعة والطب.

والمجال الآخر: نشر ما يكتبه أعضاؤه من مقالات متتابعة في المجلة تتضمّن الألفاظ والمصطلحات العربية لتحلّ محلّ نظائرها التركية والفرنسية، أو تصحّح أخطاء الكاتبين بعنوان «عثرات الأقلام» و«إصلاح لغة الدواوين»، أو تصحح أخطاء المتحدّثين بعنوان «عثرات الأفمام». وكانت المجلة تنشر كذلك بحوثاً لغوية وأدبية وتاريخية، وتعرّف بالمخطوطات في المجمع والمكتبة الظاهرية، وتنقد أهم ما يصدر بالعربية أو بغيرها من مؤلّفات عن الحضارة العربية، وتنشر مختارات من المحاضرات التي تُلقى في المجمع. زد على ذلك أنّ المجلّة كانت منبراً لعرض الآراء في موضوعات شتّى وخاصةً اللغوية، فمنها ما نشره المجمعيّ عبد القادر المغربيّ بعنوان «الكلمات غير القاموسيّة» في المجلّد الثامن (عام ١٩٢٨)، وهو اقتراح تلاه في المجمع «بإدخال الكلمات التي لا نستنكفُ من التكلّم بها وإيداعها كتاباتنا أحياناً في معاجم اليوم»، وقد نشرت المجلة في مجلدات الأعوام الثلاثة التالية آراء في هذه المسألة لأحمد أمين وأحمد الإسكندري ومحمد الخضر حسين ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وأنستاس الكرملي وإسعاف النشاشيبي وعيسى المعلوف وأحمد رضا ومصطفى الغلاييني ونقولا فيّاض وإدوارد مرقص وسليمان ظاهر وعارف النكدي ورشيد بقدونس وقسطاكي الحمصي وكامل الغزّي. ثم ناقش المغربي تلك الآراء في المجلد الثاني عشر (عام ١٩٣٢) وانتهى إلى القول: «إنّ المقارنة بين أجوبة المجيبين على الاستفتاء دلّت على أنّ العاميّ لا يجوز استعماله، أمّا المعرّب والمولّد والمصطلح

فيحسن استعمال ما يقوم مقامها من الفصحى، وأمّا الأساليب الدخيلة (نحو: ذرّ الرّماد في العيون) فهي مقبولة مع شيءٍ من التحفظ».

وقد تأخّر إعلان النظام الداخلي للمجمع حتى أصدر رئيس الجمهورية ثلاثة مراسيم تتضمنه وتبيّن أغراض المجمع: أوّلها في ١٢ آب عام ١٩٤٣، وثانيها في ٣٠ حزيران ١٩٤٧، والثالث في ١ تشرين الثاني عام ١٩٤٨. وبيّن الفصل الثاني من المرسوم الأخير أغراض المجمع وهي «أ- البحث في علوم اللغة العربية وآدابها، والحرص على سلامتها، وجعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة، والاتصال لتحقيق هذه الأغراض بالمعاهد والمجامع اللغوية والعلمية، والعمل على توحيد المصطلحات العلميّة في الأقطار العربيّة. ب- البحث في تاريخ العرب وآثارهم وعلومهم ومدنيتهم وصلات الأمم الأخرى بالحضارة العربية. ج- العناية بالكتب الأدبية والعلمية التي خلفها أدباء العربية وعلماؤها سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة»[١٦].

فلمّا حمل المجمعُ عام ١٩٦٠ بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر اسم «مجمع اللغة العربية» ليكون للمجمع في الجمهورية العربية المتحدة فرعان: أحدهما في القاهرة والآخر في دمشق[١٧] نُحّيتْ تسمية «المجمع العلمي العربي» وحلّتْ محلّها التسمية الجديدة التي لم يعترض عليها - فيما أعلم - أحد؛ لأنها أكثر تحديداً لبيان أهدافه وأغراضه التي أعادت القوانين والمراسيم المتتالية تأكيدها، وكان آخرها قانون العام ٢٠٠١ ثم المرسوم الجمهوري لعام ٢٠٠٨ اللذان **نصّا على ما يلي:**

أ- المحافظة على سلامة اللغة العربية.

---

(١٦) أحمد الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي: ٢٥٣، وتكاد هذه الأغراض تكون مكررة بلفظها في مرسوم عام ١٩٤٧.

(١٧) مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ٦٩.

ب- وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية.

ج- العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها.

د- العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً.

هـ- النظر في أصول العربية وضبطُ أقيستها، وابتكار أساليب ميسّرة لتعليم نحوها وصرفها

ثم حدّدا الوسائل لتحقيق ذلك، فإحداها: وضعُ معجمات لغوية عصرية ومعجماتٍ للمصطلحات العلمية والفنيّة والتقانية. والثانية: دراسة قضايا الأدب ونقدِه وتشجيعُ الإنتاج الأدبي بالتنويه به أو بعقد ندوات أو مسابقات فيه. والثالثة: القيام بالأنشطة التي تتصل بأهداف المجمع من ندوات ومؤتمرات ومحاضرات.

ويتّضح من هذا العرض الموجز لمسيرة المجمع الذي يوشك عمره أن يبلغ مئة(*) عام أنّه التزم في كلا عهديه - عهد كرد علي، وعهد خلفائه - بالأهداف التي ذكرها مؤسسه عام ١٩١٩، وهي: «النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشرُ آدابها، وإحياءُ مخطوطاتها، وتعريبُ ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربيّة، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمطٍ جديد». ومردّ ذلك إلى أنّ المجمع ملتزم - بالرغم من تغيير العهود ومن تبديل تسميته ومن تعاقب رؤسائه وأعضائه - بتلك الأهداف التي لم تحدْ عنها الدولة السورية منذ قيامها قبل زهاء قرنٍ من الزمان قيد أُنملة.

* * *

(*) هذا ما كان يوم أعدّ الزميل الكريم هذه المقالة، وأرسلها إلى المجلة؛ أمّا اليوم فقد تخطى المجمع الذكرى المئوية الأولى، ودخل في السنة الأولى من المئة الثانية. = المجلة.

المصادر والمراجع

- خسارة، ممدوح: الأمير المجمعي مصطفى الشهابي، مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠١٥.
- الشهابي، مصطفى: المصطلحات العلمية في اللغة العربيّة، مجمع دمشق، ط٢ ١٩٦٥.
- الطهطاوي، رفاعة: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، دمشق ٢٠٠٢ (مصوّرة عن طبعة وزارة الثقافة في القاهرة عام ١٩٥٨).
- الفتيّح، أحمد: تاريخ المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٦.
- فرعون، صادق: الأستاذ الدكتور حسني سبح، مجمع دمشق ٢٠١٨.
- كرد علي، محمّد: غرائب الغرب، القاهرة ١٩٢٣.
- ----: المذكرات، ج١ دمشق ١٩٤٨.
- المبارك، مازن: المجمعيّون الأوائل، مجمع دمشق ٢٠١٥.
- المعلوف، عيسى إسكندر: المجامع العلميّة في العالم، في: مجلة مجمع دمشق ١(١٩٢١) ٩٧-١٠٥.

* * *

التعريفُ والنقد

كتاب «جواهر القرآن ونتائج الصنعة» للباقولي

أ. د. مازن المبارك(*)

اسم الكتاب: جواهر القرآن ونتائج الصنعة.

المؤلف: جامع العلوم، أبو الحسن عليّ بن الحسين الأصبهاني الباقولي المتوفَّى سنة ٥٤٢هـ.

المحقق: د. محمد أحمد الدالي. قرأه وحقّق نصّه، وعلّق حواشيه، وصنع فهارسه.

وصدر عن دار القلم بدمشق، في طبعته الأولى سنة ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.

الكتاب في أربعة أسفار، حوى السِّفر الأوّل مقدّمة التحقيق، ثم حديثاً عن جامع العلوم الباقولي وآثاره، وتعريفاً بكتابه جواهر القرآن، وتحقيقاً لاسم الكتاب وصحّة نسبته إلى مؤلِّفه ببيانٍ وحجج لا تدفع.

ووقف المحقق بعد ذلك عند مصادر المؤلِّف في صنع كتابه، وتابع أخباره ونقولَه بدقّة، حتى عرف ما عزاه المؤلّف إلى قائليه وما نقله وأغفل عزوه أو كتم اسم قائله! ثم وصف مخطوطات الكتاب المعتمدة، وبيّن ما قام عليه تحقيقه للنصّ، وما اشتمل عليه من مقتضيات التحقيق، وهو كلام أتمنّى أن يقرأه من يتصدّى للتحقيق ليدرك مدى المسؤولية التي يتحمّلها المحقّق، وليرى أنه كلّما

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ارتقت رتبة المؤلف في العلم، وكلّما تنوّعت علومه، زادت مسؤولية المحقق وكثرت تبعات عمله؛ فالأعلام القمم من المؤلِّفين يحتاجون إلى محقّقين قمم في التحقيق... ومن حظّ الإمام الباقولي أن هيّأ له محقّقاً متقناً آتاه الله بسطة في العلم وأناة في الطبع، وحبًّا للدقّة والإتقان. وليس العمل مع الإمام الباقولي بسهل ولا يسير، وهو الذي تتبع العلماء ناقلاً ومتفحِّصاً وناقداً لآرائهم وأقوالهم، وهو الذي بلغ مرتبة الاستدراك على الإمامين الجليلين أبي علي الفارسي، وعبد القاهر الجرجاني، وهما من هما!! وقد قام المحقق خير قيام وأنفعه.

ونحن نظلم الكتاب إن قلنا: إنه كتاب في النحو؛ لأنه يضم مجموعة من العلوم، ولكنه يبسط النحو بمعانيه وأصوله ومسائله، ويستخرج جواهر القرآن مما يستدعيه النحو، وما تستدعيه أساليب العربيّة وموضوعاتها كافّة من علوم وأسرار وإشارات. إن الكتاب مصنَّف بحسب أبواب النحو وما جاء من أمثلتها في كتاب الله، وهو من هذا الجانب متَّفق مع كتاب الشيخ عبد الخالق عضيمة «دراسات لأسلوب القرآن الكريم»، ولكنه مختلف عنه بسعة ما يتناوله، وبتعدّد موضوعاته وتفرّعات علومه. وقد ضمّ الكتاب تسعين باباً ذكر الباقولي فيها ما استخرجه من التنزيل من قواعد النحو ودقائقه، مشيراً إلى قيمة النحو في استخراج ما استخرج من الجواهر بالقول:

إنما النحويّ في مجلسه كشِهابٍ ثاقب بين السُّدَف[1]

يَخرج القرآنُ من فيه كما تَخرج الدُّرَّة من بين الصَّدَف

ويبدأ الكتاب بالباب الأول، وهو باب ما ورد في التنزيل من إضمار الجُمل، وتتابع بعده الأبواب التسعون، وكلّ باب منها لموضوع من موضوعات النحو مثل:

(١) السّدف: ج سُدْفة، وهي الظُّلمة.

- ما جاء في التنزيل وقد حذف منه الجارّ.
- ما جاء من أسماء الفاعلين مضافاً.
- في الاختلاف في الضمير، إلى أيّ شيء يعود؟
- في العطف على المضمر.
- في الحمل على المعنى.
- في الإبدال من لام المضاعف.
- في حذف واو العطف.
- في إجراء غير اللازم مجرى اللازم.
- ما جاء في التنزيل وظاهره يخالف ما في كتاب سيبويه.

على أن ما يجب أن يذكر بعد معرفة أبواب الكتاب، أن حديث المؤلِّف في هذه الأبواب كلّها لم يكن حديث النحويّ وحده! بل كان حديث العالم في التفسير ومعاني القرآن وإعرابه، وأحكام الوقف والابتداء، والعارف بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ... وكان قبل ذلك كلّه، وبعد ذلك كله، ذلك النحويّ النافذ البصيرة، الذي يستعين بكلّ علومه ومعارفه، وبالنحو منها خاصّة، وبالكثير من محفوظه ومنقوله مما حوته كتب التراث اللغويّ والأدبي، ودواوين الشعر ومختاراته... ليصل إلى ما يسعى إليه من الكشف عن الجوهرة وجمالها وأسرارها، فيجلّيها للقارئ بيِّنة مضيئة مشرقة.

ولقد كان المحقق رفيق المؤلف، وصاحب رحلته العلمية، ودليل قارئه إلى كل ما يتّصل به علماً ورأياً وتعليقاً وردًّا وفكراً واجتهاداً؛ يوضّح ويشرح ويعلّق، ويقبل ويشكّ ويرجّح، ليجعل من القارئ سائحاً يتبع المحقِّق الذي كان خير دليل في طريق علميّة صعبة طويلة متشعّبة، يأخذ بيد القارئ إلى الثمرات أو الجواهر براحة واطمئنان، ويعاني هو ما يعانيه من مشقّة وعناء.

لقد قرأ المحقِّق الكتاب، وفقَّر نصوصه ورقَّمها، وضبط مادّته وخرّج شواهده من آيات وقراءات وأحاديث وأمثال وأشعار وأراجيز وما اشتهر عن العرب من الأساليب والأمثلة اللغوية والصرفية والنحوية، وعزا كل شيء إلى مصدره، وعلّق على ما يحتاج منه إلى تعليق، وأثبت ما رآه الحق من الوجوه في كثير من مسائل اللغة والنحو والصرف والإعراب وتوجيه القراءات. وللقارئ أن يدرك مدى ما عاناه المحقق في استقصائه لأقوال العلماء وآرائهم، ومعارضته بعضها ببعض، فيما تناقلوه من مسائل العلم، وما شرحوه من أقوال، وما اختلفوا فيه من فروع، تحكي لنا غزارة في العلم، وسعةً في المعرفة والاطلاع، وقدرة عند المؤلف على الضبط والرّبط، ونفاذاً في الفكر والبصيرة.

وحسب القارئ ليعرف مدى معاناة المحقّق، أن يعرف أنه صنع للكتاب من الفهارس ما بلغ عدده ثمانية وعشرين فهرساً، حتى احتاجت إلى فهرس الفهارس أو «دليل الفهارس» الذي اشتمل على فهارس أبواب الكتاب بحسب علومه، وأبواب الكتاب بحسب مسائلها، وفهارس الآيات، والقراءات، والأحاديث، والأمثال، والأشعار والأراجيز، والأساليب، والألفاظ، ومسائل العربية، والألفاظ المفسَّرة، والأضداد، والمعرّبات، والمصطلحات النحوية، والمسائل الفقهية، والبلاغة، والأعلام من جماعات وبلدان وكتب ومصادر وشوارد.

والكتاب بحق جوهرة من الجواهر ودرَّة من درر التراث، لأنه خزانة علوم، ومكتبة قائمة بذاتها بما ضمّ من مسائل لا يكاد يحصرها علم باختصاصه الدقيق، وهو مثال بل حجّة ودليل على أن علوم العربية متكاملة، يعضد بعضها بعضاً، وأن عالم العربية عند السَّلَف من أمتنا لم يكن نحويًّا أو صرفيًّا أو بلاغيًّا، بل كان كل أولئك مجتمعين، وأن ذلك كلّه لم يكن إلّا (آلة) لغيره من العلوم كالتفسير وما يتّصل بعلوم القرآن والشريعة وفقهها،

ولذلك لم يكن يتصدّى للكلام على القرآن ونصّه إلّا من كان متقناً لكل تلك العلوم بأصولها وفروعها، وعارفاً بلغات العرب أو لهجاتها وأساليبها.

ولقد كان المحقق أهلاً لما ندب نفسه إليه وقام به،

وإذا سخّر الإله رجالاً لسعيدٍ فإنّهم سعداء

فلقد أخذ المحقِّق بأيدينا إلى جواهر الكتاب، وكشف المشكلات، وكان دليل الباقولي فيما أخرج من آثاره، وإن كان في تحقيقه مشترعاً شِرعةً ذات نمط صعب، ومسلك عسير على غير أهله، فجزاه الله خير ما يجزي محقّقاً عالماً عن علمه؛ فلقد جعل كتاب الباقولي كتاباً سَفَر عن وجهه، ونثر فوائده وفرائده أمام من لا يقوى على التسلّق إلى أعالي القمم، ولا يقوى على الغوص في تلك اللّجج، فأتى المحقق بعلم الباقولي إلى الشواطئ الآمنة، وإلى السفوح المنخفضة، وظهر وجه التحقيق والتدقيق في كل صغيرة وكبيرة، حتى وصل إلى النتيجة باطمئنان، وزاد في التفقير والترقيم والترابط بين النصوص والمقاطع، والتذكير مما جاء في كتب أخرى للمؤلّف حتى استطاع الدكتور الدالي أن يصوّر لنا، بل أن يُجمّع لنا صور الباقولي العلميّة من جميع آثاره، ليقدّمها لنا شخصيّة علمية مجموعة الأطراف في هذا الكتاب على نحو ما رأينا من غزارة العلم ولطف البصيرة والقدرة على الضبط والإحكام.

وأحسن صنعاً في الفهارس التي تيسّر للقارئ الوصول إلى بغيته من أقرب الطرق وأيسرها، لتنوّعها وكثرتها وحسن تصنيفها. فلقد كانت دليلاً إلى كل صغيرة وكبيرة في أبواب الكتاب التسعين.

وبعد، فقد كنت على نيّة إنهاء المقال، ولكني تذكّرت أن فاضلاً من قدماء المجمعيين كتب تقريظاً لكتابٍ ظهر في حينه، فتعقّبه زميل وكتب يقول: «وكتب زميلنا الفاضل مقالاً في باب التعريف والنقد، ولكنه أثبت النصف المتعلّق

بالتعريف ونسي أو أهمل النِّصْف الآخر، فأين النَّصَف؟!» فعدت أبحث عن منفذ أتمّ به النصف الثاني من المقال، لينطبق عليه النصف الثاني من العنوان!

لم أجد فيما قرأته من الكتاب - وهو كثير - غير كلمة واحدة أخطأ الطابع فيها، وهي كلمة (السراويل)[٢]، وما نسبتها إلى المطبعة إلّا لأنني وجدت المحقِّق يثبتها صحيحة في نشرته لكتاب «الكامل» للمبرد[٣]. ثم لم أجد ما أستطيع السؤال عنه إلّا في موضع واحد وموضوع واحد، هو عنوان الكتاب، فلقد كنت أحبّ أن يقف المحقق عند العنوان ليقول كلمة فيما جاء فيه من الاقتران بين نتائج الصنعة وجواهر القرآن!

لقد قال المحقق كلاماً تحت عنوان «كتاب جواهر القرآن ونتائج الصنعة» تناول فيه الحديث عن اسم الكتاب وصحّة نسبته إلى صاحبه[٤]، وانتهى إلى أن جامع العلوم سمَّى كتابه باسمين معطوفين. وكان كلامه دقيقاً يُطمأنّ إليه.

ولكنّ الذي أسأل عنه هو هذا الجمع في العنوان بين اسمين يدلّ كل منهما على موضوع: أحدهما هو الجواهر القرآنية، والآخر هو الصنعة ونتائجها، أو الصنعة العلميّة. لقد كنت منذ ثلاثين سنة مولعاً بجمع عنوانات الكتب التي تفنّن القدماء في إطلاقها عليها، وتتبعّت عدداً منها محاولاً الرَّبط بينها وبين ما تدلّ عليه من نفوس أصحابها وطباعهم!

وكنت أحبّ أن أسمع من صاحب الباقولي ورفيق رحلته العلمية في جلّ آثاره، وهو الدكتور الدالي، كلمة حول هذا الاقتران في ذلك العنوان: أكان الإمام الباقولي يريد الافتخار والمنّة، فراح يصرّح بأن ما بلغه من الحذق في الصنعة هو الذي أفضى به إلى استخراج تلك الجواهر؟

---

(٢) ص٢٢ من مقدمة التحقيق.

(٣) الكامل للمبرد. تح د. الداليّ ٢/ ٦٤٠.

(٤) ص٢٧ وما بعدها من مقدمة التحقيق.

أما (الصنعة) فقد عرفناها اسماً من أسماء العلم عند أصحابه، وقد تكرّر الوصف بها في كتب التراجم، ووُصف بها كثير من علماء العربية وغيرها في معجم الأدباء، وسمعناهم يصفون العالم فيقولون: إنه يتكلّم بكلام أهل الصنعة، وسمعنا ابن جني يقول مستحسناً ما نقله: «وهذا موضعٌ مُتناهٍ في حسنه، آخذٌ بغاية الصنعة من مُستخرجه»(٥). فالصنعة عندهم درجات، ولكلٍّ منها نتائجها، وكانت نتائجها عند الباقولي جواهر نثرها في كتابه بعد أن استخرجها بحذق صنعته من كتاب الله.

وكأن التذكير بالفضل والمِنَّة أو التميُّز عند الباقولي كان طبعاً طبع به أو نزعة غلبت عليه، فهي ظاهرة في غير هذا الكتاب من آثاره؛ فهو صاحب الفضل في (الإبانة) في تفصيل ماءات القرآن، وكان اسم (ماءات القرآن) كافياً لبيان مضمون الكتاب، ولكنه يعلن أنه هو الذي أبانها، وكذلك كتابه (البيان) في شواهد القرآن، وكتابه (الاستدراك) على أبي عليّ، وكتابه (كشف) الحجّة، و(كشف) المشكلات، و(إيضاح) المعضلات.. فهو صاحب الإبانة والبيان والكشف والاستدراك، والإيضاح..، ولعل المحقق استغنى عن التصريح بكل ذلك مكتفياً بالإشارة إليه وإلى أمثاله بقوله: إن الباقولي عوّدنا أن نسمع منه قوله «وهذا يخفى إلّا على البُزَّل الحُذَّاق» و«هذا يشكل على البُزَّل الحُذَّاق»، وإنه يكني عن الفارسي بقوله: (الفارس) و(فارس الصنعة)، ثم يكون هو الذي يستدرك عليه، ويكشف حجّته.

ولعلّنا بعد هذه الكلمة الموجزة لا يسعنا إلّا أن نشهد للإمام الباقولي بغزارة في العلم، وعمق في الفكر، وسعة وشمول في البحث، وحسن الصنعة في التصنيف؛ إذ يضيف الشبيه إلى شبيهه، والنظير إلى نظيره، ونضيف أن

(٥) الخصائص، ٢/ ١٧٠.

افتخار المؤلف بكتابه ليس بعجيب؛ فكتاب العالم ثمرة جهده، وعصارة فكره، وخلاصة علمه، وفيه من لبِّه وقلبه أكثر مما فيه من قلمه ومداده، إنه كواحد من أولاده، أو لم يقايس الجاحظ بين ولد المرء وكتابه، وانتهى إلى القول: «إنك تجد فتنة الرجل بشعره وبكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمه»(٦).

وأضيف أن تذوّق العلم إذا حظي بحقّه من أهله وناقليه، من مؤلِّفيه ومحقِّقيه، كان فتنة لا تعدلها فتنة، وكان نعمة من أعظم النِّعم. وإن المحقّق إذا أتقن، كان شريك المؤلِّف إذا أحسن، وبذلك تكون نتائج الصنعة في التحقيق كنتائج الصنعة في التأليف، وإذا كان المؤلف استطاع بصنعته أن يستخرج الجواهر فإن المحقق بصنعته استطاع أن يضعها بين أيدي القرّاء وتحت أنظارهم، وقد أسفرت وانجلت حتى بدت مشرقة مضيئة، وإنه كان صنو المؤلف في وصول جواهر القرآن إلى العقول والأذهان. فرحم الله المؤلف، وجزى المحقق خير ما يجازى به العلماء.

* * *

(٦) الحيوان. ط هارون ١/ ٨٩.

جرى الحديث بيننا بمودة بل وبصراحة

أ. د. إبراهيم محمد عبد الله(*)

أجاز أحد الباحثين المعاصرين(١) أن يُستخدَم هذا الأسلوب، فيُجْمَع بين بل والواو، فيقال: لم يستقبلنا المدير فقط بل وأكرمَنَا، وظهر له «صحة استعمال حرفي بل والواو متتابعين»، ورأى أنهما يؤتى بهما «للدلالة على الاستدراك والإضافة»(٢).

وجاء بتعليل نحوي وذكر أن بل حرف إضراب، وساق كلام الأستاذ عباس حسن مستعيناً به فقال ناقلاً: «فإن تلاها [أي بل] جملةٌ كان معنى الإضراب إمَّا الإبطال، مثاله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٢٦]، أي بل هم عباد، وإمَّا الانتقال من غرض إلى آخر، ومثاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ٨٧/ ١٤-١٦]، وهي في ذلك كله حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح.. وإن تلاها مفرد فهي

(*) أستاذ النحو والصرف بقسم اللغة العربية في كلية الآداب - جامعة دمشق.
وردت المقالة إلى مجلة المجمع بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٨م.

(١) انظر نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق: ٢٠٤. = يريد الكاتب النشرة التي ضمّت قرارات الألفاظ والأساليب التي اتخذتها لجنة اللغة العربية وعلومها في المجمع عامي ٢٠١٥-٢٠١٦. والقرار الذي يعقّب عليه الكاتب هنا رقمه فيها: ٢٠٤ = المجلة.

(٢) انظر نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق: ٢٠٤.

عاطفة نحو: «قام زيد بل عمرو»[٣]، وعقّب الباحث على هذا الكلام فقال: «ويعني هذا أن (بل) في مسألتنا حرف انتقال وابتداء».

استنتاجه هذا غير صحيح لأن كلام الأستاذ عباس على (بل) التي يتلوها مفرد أو جملة ولا فاصل بينها وبين هذين، ومسألة الباحث فُصِل فيها بين (بل) وما يليها بالواو، وما قاله الأستاذ عباس قاله ابن هشام[٤].

قول الباحث: (بل) حرف انتقال وابتداء، هي حرف انتقال لأنها تفيد الانتقال من غرض إلى غرض كما قال ابن هشام[٥]، وهذا تفسير معناها، أما إعرابها فهي حرف ابتداء.

ورجَّح أن تكون الواو في مسألته زائدة، وأجاز أن تكون عاطفة، وقدَّر فعلاً محذوفاً في الجملة التي أجازها، وقال: «أما الواو فهي زائدة على الأرجح، على أن الزيادة هنا - كما في معظم حالاتها - هي لتوكيد المعنى وتوسعته، فقولنا: استقبلنا المدير بل وأكرمنا، لا يعني الإبطال بل الانتقال، أي تجاوز فضل المدير الاستقبال إلى الإكرام، وإذا حُملت على العطف فيمكن أن يكون العطف على محذوف، فيكون التقدير استقبلنا المدير بل تفضل علينا وأكرمنا، والعطف على محذوف كثير في العربية»[٦].

فالواو في مسألته زائدة على الأرجح، وإذا كانت كذلك فما إعراب (بل) عنده؟ إنه ذكر أنها حرف ابتداء، ما هذه الجملة التي تبدأ بحرف ابتداء وحرف زائد؟ وهل يتجاور حرفان أولُهما للابتداء والثاني زائد؟ سيأتي حديثٌ عن زيادة الواو بعد قليل.

---

(٣) النحو الوافي: ٣/ ٦٢٧.

(٤) انظر المغني: ١/ ١٥١-١٥٢.

(٥) انظر المغني: ١/ ١٥١-١٥٢.

(٦) نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق: ٢٠٤.

وذهب الباحث إلى كلام الأستاذ عباس حسن محتجًّا به، وقال: وقد نصَّ الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي [٣/ ٦٢٧] على زيادة الواو بعد (بل)، وعَدَّ من المسموع الفصيح زيادةَ الواو بعد (بل)، كالتي في قول علي رضي الله عنه: «إنما يَحْزَنُ الحَسَدَة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل ولما ينال الناس من الخير»[٧].

من المعروف أن كلمة (نَصَّ) عندما تستعمل يستفاد منها معنى الجزم والبت والقطع، والأستاذ عباس لم ينصَّ على زيادة الواو بعد بل كما ذهب إليه الباحث، ولم يعد هذا الاستعمال من المسموع الفصيح كما قال الباحث أيضاً، وهذا كلام الأستاذ عبّاس فلينظر فيه: ورد قليلاً في المسموع الفصيح زيادة الواو بعد بل كالتي في قول علي رضي الله عنه: «إنما يحزن الحسدة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط، بل ولما ينال الناس من الخير»[٨].

فالأستاذ لم ينصّ ولم يَجْزِم، إنما اكتفى بحكاية قول لسيدنا علي رضي الله عنه، وحكم على زيادة الواو بعد بل بالقلة، ولم يُجِز القياسَ عليه لأنه موغل في الندرة، قال: «والأحسن عدم القياس على هذا لندرته البالغة»[٩]، وقال معقِّباً على قول سيدنا علي في الحاشية: «أمّا في غيره من كلام المولّدين الذين يُستأنس بكلامهم، ولا يُستشهد به فكثيرة الورود فيه كثرة لا تغير الحكم السالف»[١٠].

لم يخالف الأستاذ علماء اللغة إذ نبَّه على النادر، وحظر القياس عليه، ورأى رأيهم في أن كلام المولدين لا يحتج به في اللغة، ولا يصلح أن يُتَّخذ

(٧) نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق: ٢٠٤.

(٨) النحو الوافي: ٣/ ٦٢٧.

(٩) المصدر السابق: ٣/ ٦٢٧.

(١٠) المصدر السابق: ٣/ ٦٢٧.

دليلاً على الاستعمال اللغوي، وإنما يُستأنس به ، وأشار إلى كثرة ورود الواو بعد بل في كلام هؤلاء المولدين، ولكن هذه الكثرة لم تؤثر في حكمه الذي أطلقه على هذا الاستعمال، وهو «الأحسن عدم القياس عليه»(١١).

ولعل في قول الأستاذ: «في المسموع الفصيح» ما يُتعلق به في إجازة هذا الاستعمال، ولكنه قدّم بقوله: «ورد قليلاً في المسموع الفصيح»، والقليل ولو كان مسموعاً فصيحاً لا يُقاس عليه.

وساق الباحث بيت أبي نواس:

ما حجَّتي فيما أتيت وما قولي لربِّي بل وما عذري

واستأنس به وبأقوالٍ لابن حزم وللبيروني ولابن كثير جاء فيها استخدام الواو بعد بل، ولم يقع خلاف في الاستئناس بها(١٢).

ثم اقتبس نصًّا من كتاب (نحو إتقان الكتابة العلمية) في سياق استئناسه، وهو: «وقد تزاد الواو بعد بل فتفيد هذه الأداة الجديدة (بل و) الاستدراك مع الإضافة، وقد استعملها الأقدمون منذ القرن الهجري الثاني، واستعملها ابن الرومي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وابن الجزري وكثير غيرهم»(١٣).

لم يُعَقِّب الباحث على هذا النص الذي استأنس به على صحة الاستعمال اللغوي الذي نحن بصدده، إذ لا بدّ من التنبيه على أنّ هؤلاء الذين ساق أسماءهم ممّن لا يُحتجُّ بكلامهم في اللغة، ولا بد أيضاً من الوقوف عند قوله: «وقد استعملها الأقدمون منذ القرن الهجري الثاني» وتمحيصه، فقد يُظنُّ أنّ بعض علماء العربية ممّن يُحتجُّ بكلامهم وتُوفُّوا في القرن الهجري الثاني قالوا

(١١) النحو الوافي: ٣/ ٦٢٧.

(١٢) انظر نشرة مجمع اللغة العربية: ٢٠٤.

(١٣) انظر نشرة مجمع اللغة العربية: ٢٠٤.

بهذا الأسلوب، والأمر على غير هذا، وكان عليه أن يعرض هذه الأداة الجديدة على كتب أحرف المعاني، ويحدد مكانها فيها، وينظر في مقدار صحتها واستعمالها في فصيح الكلام، وفي ورودها في تلك الكتب.

لم يقل أحد من النحويين: إن في العربية أداة هي (بل و)، وكيف تأتَّى لهذه الأداة الجديدة أن تجمع معنيي الاستدراك والإضافة، ومن أي كلام استُفِيد هذان المعنيان؟ أَمِن كلام فصيح معتدٍّ به في الاحتجاج أم من غيره؟ وما إعرابُها؟

لم يَرِد في القرآن الكريم استعمال الواو بعد بل، ولا في أشعار مَنْ تؤخذ منهم اللغة ويُحتج بكلامهم، ولم يذكره النحاة الذين نعوّل على أقوالهم ومذاهبهم، وإنما جاء في كلام المولّدين الذين لا يحتج بكلامهم في اللغة.

وقد كان قد رَجَح لدى الباحث أن الواو زائدة، وأجاز أن تكون عاطفة، ورأى أن (بل) حرف انتقال وابتداء، والنص الذي استعان به يشير إلى أن (بل و) أداة نحوية جديدة، فهل يسوغ أن تحمل هذه الأداة على أنها جزءان، ويُعرب كلٌّ جزء منها إعراباً يختصُّ به؟

وقد أشار د. أحمد مختار عمر إلى أنه «يمكن تصحيح هذا الاستعمال اعتماداً على وروده في كلام الفصحاء، ومنه قول الإمام علي كرم الله وجهه: «إنما يَحْزَن الحَسَدة أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل ولما ينال الناس من الخير»، وقد أجاز مجمع اللغة المصري هذا التركيب على اعتبار الواو زائدة على رأي الكوفيين»[١٤].

استشهد الباحث والأستاذ عباس حسن ود. أحمد مختار عمر بقول الإمام علي رضي الله عنه، وهذا القول لا يصلح للاستشهاد به لأنه مما نُسِبَ إلى الإمام، وممَّا لم يثبت أنه من كلامه[١٥].

(١٤) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: ١/ ١٩٢.

(١٥) انظر شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣٣٢.

إن نسبة زيادة الواو إلى الكوفيين في حاجة إلى نظر، فلا تزاد عند الفراء وأبي بكر الأنباري إلا مع (حتى إذا) و(لمّا)، وظاهر كلام ثعلب أنها تزاد مع (حتى إذا)، ولم يُجِز البصريون زيادتها[١٦]، فزيادة الواو عند الفرَّاء وثعلب وأبي بكر الأنباري مشروطة كما سلف لا مطلقة، والاستعمال اللغوي الذي نحن بصدده ليس فيه تلك الشروط التي اشترطوها.

إن التركيب اللغوي الذي يجمع بين بل والواو ليس له سند لغوي يعضده ولا شاهد يعوّل عليه، وما قيل في الاستدلال على جواز استعماله لا يجوز الاحتجاج به والركون إليه.

* * *

المصادر والمراجع

- الأمالي لابن الشجري، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر.
- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تحقيق ثلة من الأساتذة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

(١٦) انظر الكتاب: ٣/ ١٠٣، ومعاني القرآن للفراء: ١/ ١٠٧، ومعاني القرآن للأخفش: ٣٠٦، والمقتضب: ٢/ ٨٠-٨١، ومجالس ثعلب: ٥٩، وشرح السبع الطوال: ٥٥، وشرح الكتاب للسيرافي: ١٠/ ١٣٧، وشرح اللمع لابن بَرْهان: ٢٤٥-٢٤٦، وأمالي ابن الشجري: ٢/ ١٢٠-١٢١، وشرح المفصل لابن يعيش: ٨/ ١٧٠-١٧١.

- شرح اللمع، لابن برهان، تحقيق د. فائز فارس، ط١، ١٩٨٤.
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم، ١٩٦٦.
- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر.
- معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة، تحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥.
- معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، للدكتور أحمد مختار عمر، الناشر عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر ١٩٦٤.
- المقتضب للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- النحو الوافي، لعباس حسن، الناشر دار المعارف، ط١٥.
- نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق.

* * *

تعقيب لجنة اللغة العربية
على مقالة الدكتور إبراهيم عبد الله

من المناسب أن نبيّن للقارئ أنّ الرأيَ الذي تعقّبه الكاتبُ في هذه المقالة، وسعى إلى نقضه، هو رأي لجنة اللغة العربية وعلومها في مجمع اللغة العربية بدمشق، الذي بنته على مذكّرة عرضها عليها في ذلك أحد أعضائها لبيان رأيها؛ فما كان منها إلّا أن أقرّت ذلك، وأصدرت عام ٢٠١٥ قراراً ينصّ على «صحة استعمال حرفي «بل» والواو [بل و] متتابعين للدلالة على الاستدراك والإضافة».

حتى إذا عقد مجمع اللغة العربية بدمشق في ١/ ٣/ ٢٠١٧ ندوةً لمناقشة ما صدر عن لجنة اللغة العربية وعلومها من قرارات في الألفاظ والأساليب عامي ٢٠١٥-٢٠١٦، رأى بعضُ من كان في الندوة من الباحثين الفضلاء الذين لا يحبسون البحر في قمقم، ولا يهملون ما كان بعد زمن الاحتجاج من ألفاظ وأساليب = ترْكَ تخريج هذا الاستعمال على زيادة الواو، والانصرافَ إلى تخريجه على حذف المعطوف عليه بالواو، وهو ما استحسنته اللجنة، واعتمدته واقتصرت عليه، وأعلنته في قراراها الذي نصّت فيه على «صحة استعمال حرفي «بل» والواو (بل و) متتابعين للدلالة على الاستدراك والعطف والتوكيد، على تقدير أنّ الواو عاطفة على مقدّر يدلّ عليه الكلام.». وقد وافق مجلس المجمع على ذلك، وأيّده مؤتمر المجمع العاشر المنعقد فيما بين ٢٦و٢٨/ ٢/ ٢٠١٩.

واللجنة تؤمن - إذ ترى صحّة هذا الاستعمال- بأنّ اللغة العربيّة لم تنتهِ حين ولّى زمن الفصاحة الأولى، وأنّ نهر العربية المعطاء العظيم لا تجفّ ينابيعه إذا انقضت أيّام الأوّلين، وأنّ ما كان بعد زمن الاحتجاج ممّا ولّده القدماء والمحدثون يُقبَل منه ويُوسَم بالصحّة ويُباح استعماله ما لم يعارض قواعد اللغة العربية وأصولها، وما يمكن تخريجه على وجه مقبول جائز. وحذفُ المعطوف عليه بالواو مع بقاء المعطوف، إذا عُلِم المحذوف، ودلّ عليه الكلام، سائغٌ مقبول، نصَّ على جوازه جماعة من العلماء، وخُرِّج عليه قدرٌ صالح من كلام العرب الصحيح الفصيح. فلا ضير من الإفادة منه في توجيه الكلام عليه، وحمله عليه ما أمكن.

والظاهر أنّ اجتماع «بل» والواو في هذا الاستعمال على التقدير الذي قدّرناه دالٌّ على ما لا يدلّ كلُّ حرفٍ منهما على حدة. ففي قولك: «كان الخطاب بليغاً بل مقنعاً» ترْكُ الحكم على «الخطاب» بالبلاغة، وانتقال إلى الحكم عليه بالإقناع. وفي قولك: «كان الخطاب بليغاً ومقنعاً» جمعٌ بين صفتي البلاغة والإقناع في الحكم على «الخطاب».

أمّا قولك: «كان الخطاب بليغاً بل ومقنعاً» المبنيّ على تقدير: بل كان بليغاً ومقنعاً = ففيه إثبات الحكمين: البلاغة والإقناع، مع تأكيد الصفة الأولى «البلاغة» بالمعطوف عليه المقدّر، ومزيد اهتمامٍ بالمعطوف بالواو: (الصفة الثانية= الإقناع).

ومن هنا ليس لنا أن ندّعي أن الدلالة واحدة في هذه الصور الثلاث، وأنّ المعنى المقصود من الجمع بين هذين يمكنُ الدلالة عليه بحذف الواو والاكتفاء بـ«بل» وحدها كما يرى الذين يغلّطون هذا الاستعمال.

وإلى هذا من الواجب أن ننبّه الكاتب على بعض ما وقع في مقالته:

• استوقف الكاتبَ قولُ عضو اللجنة في مذكّرته: «وقد نصّ الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي [٣/ ٦٢٧] على زيادة الواو بعد (بل)، وعدَّ من المسموع الفصيح زيادة الواو بعد (بل)، كالتي في قول علي رضي الله عنه: «إنما يحزن الحَسَدةُ أبداً لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل ولما ينال الناس من الخير أيضاً.»...».

وهو ما عقّبَ عليه الكاتب في هذه المقالة بقوله: «...أنّ كلمة (نصَّ) عندما تُستعمَل يُستفاد منها معنى الجزم والبتّ والقطع، والأستاذ عباس لم ينصّ على زيادة الواو بعد بل كما ذهب إليه الباحث، ولم يعدّ هذا الاستعمال من المسموع الفصيح كما قال الباحث أيضاً».

ثمّ نقل الكاتب كلام صاحب (النحو الوافي) بنصّه، قال: «وهذا كلام الأستاذ عباس فليُنظَر فيه: ورد قليلاً في المسموع الفصيح زيادة الواو بعد «بل» كالتي في قول علي رضي الله عنه: «إنما يحزن الحسدة أبداً؛ لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشّر فقط، بل ولما ينال الناس من الخير.»...».

ثمّ عقّب عليه بقوله: «فالأستاذ لم ينصّ ولم يجزم، إنّما اكتفى بحكاية قول سيّدنا عليّ رضي الله عنه، وحكم على زيادة الواو بعد «بل» بالقلّة، ولم يُجز القياس عليه؛ لأنّه موغل في الندرة. قال: «والأحسن عدم القياس على هذا؛ لندرته البالغة.». وقال - أي: الأستاذ عبّاس حسن - معقّباً على قول سيّدنا عليٍّ في الحاشية: «أمّا في غيره من كلام المولدين الذين يُستأنَس بكلامهم ولا يُستشهَد به، فكثيرة الورود فيه كثرة لا تغيِّر الحكمَ السالف».

وكان ممّا قاله الكاتب أيضاً في مقالته تعقيباً على قول عباس حسن: «ولعلّ في قول الأستاذ: «في المسموع الفصيح» ما يُتعلّق به في إجازة هذا الاستعمال، ولكنّه قدّم بقوله: «ورد قليلاً في المسموع الفصيح»، والقليل، ولو كان مسموعاً فصيحاً لا يقاس عليه».

هذا كلام الكاتب سقناه بتمامه، ولم نفرّط بشيء ممّا قاله فيه، وبعضُه يشهد على بعض؛ للتنبيه على ما فيه من استنتاج غريبٍ، وتثبيج ظاهر.

إنّ الذي يدلّ عليه كلامُ الأستاذ عبّاس حسن الذي ساقه الكاتب، وهو الذي يجب أن يُفهَم منه، أنّ الأستاذ عباس حسن **يرى الواوَ بعد «بل» في هذا الاستعمال زائدةً**، وهذا ظاهر معلنٌ؛ **ويرى أنّ هذا الاستعمال ورد في الاستعمال الفصيح قليلاً، بل نادراً، أي: أنّه من المسموع الفصيح القليل، بل النادر؛ ولكونه كذلك كان الأحسن في رأيه ألّا يُقاس عليه**. وهذا منه نصٌّ صريحٌ لا ينبغي الاختلاف فيه. أم هي كلمة هذْر من لاهٍ خلت من الجدّ وافتقرت إلى البتّ والجزم والقطع، ونهشتها الظنون؟.

ومن ثمّ كان من الغريب أن يعلن الكاتب في مقالته، وهو يتعقّب رأي عضو اللجنة في مذكّرته أنّ «الأستاذ عباس لم ينصّ على زيادة الواو بعد بل كما ذهب إليه الباحث، ولم يعدّ هذا الاستعمال من المسموع الفصيح كما قال الباحث أيضاً... وأنّه لم ينصّ [على ذلك] ولم يجزم، إنّما اكتفى بحكاية قول سيّدنا عليّ رضي الله عنه،...»!.

على أنّ ممّا يجب التنبيهُ عليه أنّ عضو اللجنة في تلك المذكّرة قد أطلق حكم الأستاذ عبّاس حسن من إساره، وأخرجه من قيده، إذ جعله عامًّا مطلقاً، في حين أنّ الأستاذ حسن نصّ على أنّ ذلك ورد قليلاً في المسموع الفصيح. وهو ما نبّهت اللجنةُ عليه بعد انعقاد ندوة المجمع، فالتُزِم .

ثمّ كيف للكاتب أن يعلن أنّ «الأستاذ عباس لم ينصّ على زيادة الواو بعد بل كما ذهب إليه الباحث، ولم يعدّ هذا الاستعمال من المسموع الفصيح كما قال الباحث أيضاً.»، ثمّ يقول: «وحَكَمَ على زيادة الواو بعد «بل» بالقلّة،...»؛ ويقول: «ولعلّ في قول الأستاذ: «في المسموع الفصيح»

ما يُتعلّق به في إجازة هذا الاستعمال، ولكنّه قدّم بقوله: «ورد قليلاً في المسموع الفصيح»، والقليل، ولو كان مسموعاً فصيحاً لا يقاس عليه.»؟

أليس هذا في التثبيج والاضطراب - إذا جُمِع بعضُه إلى بعض - علماً في رأسه نار؟.

ثمّ إنّ لنا أن ننبّه الكاتب على أنّ الأستاذ عباس حسن ضبط عبارته ضبطاً يُشعِر بجواز ذلك قياساً؛ إذ استعمل صيغة التفضيل في قوله: «والأحسن عدم القياس على هذا؛ لندرته البالغة.». وهذا معناه على ظاهره أنّ الجمع بين «بل» والواو في هذا الاستعمال جائز قياساً، لكنّه خلافُ الأحسن. ومن هنا نرى أنّ رأيَ صاحب (النحو الوافي) ينحطّ بهذا الاستعمال درجة في سلّم الفصاحة، ويضيّق عليه الخناق في القياس، لكنّه لا يهوي به في جبّ المنع والتغليط.

•• نبّه الكاتب على أنّ نسبة زيادة الواو إلى الكوفيّين على الإطلاق في حاجة إلى إعادة نظر. وهذا صحيح، وقد نبّه على مثله غيرُ باحث. لكنّ كلام الكاتب في بعض تفاصيله لم يبلغ حدّ الإحكام، فكان من الواجب أن ننبّه على بعض ما فيه:

أ- نصّ الكاتبُ في مقالته على أنّ الواو لا تزاد عند الفرّاء إلّا في جواب «حتى إذا» و«لمّا». وهذا ما نصّ عليه الفرّاء في غير موضع من كلامه في كتابه (معاني القرآن)، وهو من المتعالم عند المحقّقين من العلماء والباحثين؛ بيد أنّ الفرّاء خالف عن ذلك في بعض كلامه؛ إذ أجاز زيادةَ الواو في قوله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران:٩١].

قال[١]: «وقوله: ﴿وَلَوِ افْتَدى بِهِ﴾ الواو هاهنا قد يُستغنى عنها، فلو قيل: ملءُ الأرض ذهباً لو افتدى به =كان صواباً.».

وقد لحظ الزجّاج ذلك، وردّه بقوله[٢]: «وقال بعض النحويين: إنّ الواو مسقطة. قال: المعنى فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً لو افتدى به. وهذا غلط؛ لأن الفائدة في الواو بيّنة، وليست الواو مما يلغى.».

ب- نصّ الكاتب ثمّة على أنّ البصريّين لا يجيزون زيادتها. وقد كان من الواجب أن يقيّد ذلك بجمهور البصريّين، ويستثني منهم أبا الحسن الأخفش الذي وافق الكوفيّين في ذلك، وهو ما يدلّ عليه كلامُه[٣] في كتابه (معاني القرآن)، ونصّ عليه بعض العلماء والباحثين.

ومن أنسب ما يؤكّد هذا ويؤيّده قولُ جامع العلوم الباقولي تعليقاً على ما قاله المبرّد من أنّ البصريّين لا يرون زيادة الواو[٤]: «وقد كان في الواجب أن يستثنيَ أبا الحسن.».

هذا ما بدا لنا بيانه، والله أعلم، وهو يقول الحقّ، ويَهدي السبيلَ.

لجنة اللغة العربية وعلومها

(١) معاني القرآن، الفراء، تح: أحمد نجاتي، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١/ ٢٢٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٩٨٨، ١/ ٤٤١.

(٣) انظر: معانى القرآن، الأخفش، تح: د. هدى قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٣٢، ١٩٩٠، ١٤٤، ١٤٧، ٤٩٧.

(٤) جواهر القرآن ونتائج الصنعة، جامع العلوم الباقولي، تح: د. محمد الدالي، دار القلم - دمشق،ط١، ٢٠١٩، ٣/ ١٥١٥.

المصطلح العلميّ في معاجم المجمع المصريّ

د. محمد جمعة الدربي(*)

توطئة:

المصطلح علامة على ما بلغه المجتمع من مستوًى في حقل الثقافة والعلوم. ولا شك أن رصد المصطلحات وتاريخ وجودها مدخل لمعرفة دورها في ظاهرة الازدواج المعجميّ وعلاقتها بالوحدات المعجمية غير الاصطلاحية التي تشكَّلت منها تلك المصطلحات.

وعلم المصطلح أحد الفروع لعلم اللغة التطبيقيّ، ومعاجم المصطلحات نوع من المعاجم الخاصة.

وتعتمد لغة المصطلح على الدِّقة والمباشرة التعبيرية والبعد عن التجوُّز أو الاتساع في التعبير؛ إن لغة المصطلح تحقِّق أكبر قدر من المعاني بأقل قدر من الألفاظ؛ فهي لغة علمية صارمة خالية من اللبس أو الغموض أو الاضطراب.

وتضطرب المصطلحات العلمية في معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأعني المعاجم اللغوية الثلاثة، **وهي**:

- المعجم الوسيط الذي صدرت منه ثلاث طبعات حتى الآن، بالإضافة إلى طبعات صدرت عن مكتبة الشروق الدولية بعلم المجمع وتصدير رئيسه

(*) باحث معجمي ومحقق لغوي – القاهرة.

وردت المقالة إلى مجلة المجمع بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠١٩م.

الأسبق المرحوم الدكتور شوقي ضيف الذي ذكر في تصديره أن طبعة مكتبة الشروق مصوَّرة عن الطبعة الثالثة مع أنها مصوَّرة عن الطبعة الثانية[١]!

• والمعجم الوجيز الذي أصدره المجمع عام ١٩٨٠م مختصراً عن الوسيط، وتم توزيع آلاف النسخ منه على طلاب التعليم الثانويّ المصريّ، ولم يتمَّ أي تحديث له حتى الآن!

• والمعجم الكبير الذي صدرت بعض الموادّ التجريبية منه عام ١٩٥٦م، ثم صدر حرف الهمزة عام ١٩٧٠م، وتلته حروف أخرى، وقد صدر حتى الآن (١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م) حرف الراء فقط! مع ملاحظة أن الحرف قد يُكتب عليه تاريخ سابق على تاريخ صدوره إلى القراء!

والمعاجم الثلاثة تتفاوت في نسبة المصطلحات ودقتها؛ إذ نفتقد فيها بعض المصطلحات المشهورة، كما نفتقد الدقة والتوحيد في كتابة المصطلح أو تعريفه!

ولا يخفى الأثر السلبيّ لسيطرة اللغويِّين من المحرِّرين والخبراء والأعضاء؛ إذ ينظر بعضهم إلى المصطلحات العلميّة نظرة دونية، وربما يؤثرون عليها شواهد رؤبة وتأبَّط شرًّا! كما لا يخفى أثر التعامل الفرديّ؛ فقد افتقرت المعاجم اللغوية الثلاثة إلى روح التعاون بينها من ناحية، وبينها وبين اللجان العلمية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى عدم الإفادة من جهود المجامع الأخرى مثل مجمع دمشق ومجمع العراق، بل إن المعاجم اللغوية الثلاثة لم تُفِد من محاولات المجمع المصريّ نفسه التي تظهر في الأعداد الأولى من مجلته وفي المعاجم المتخصصة الصادرة عن لجانه العلميّة!

(١) راجع مبحث (مستدرك على المعجم العربيّ)- ضمن كتابي: من المعجم الخليليّ إلى المعجم التاريخيّ نظرات في المعجم العربيّ.

وفيما يلي بضعة نماذج متنوعة تحفِّز المجمع المصريَّ الموقَّر على إعادة النظر في معاجمه، وإعادة النظر في قيمة المصطلح العلميّ ومشكلاته حتى لا تفقد معاجمه هيبتها ومكانتها بين المتخصصين والمثقفين. وليس من المبالغة أن ننادي بإنشاء مركز عربيّ للمصطلح العلميّ مزوَّد بأحدث الأجهزة؛ ليكون المصطلح عاملَ تجميع لا عامل تفريق وتشتيت، وخطوة مفيدة للمعجم التاريخيّ العربيّ.

أولاً: مصطلحات لم ترِد في معاجم المجمع:

١- ببليوجرافيا، ببليوجرافية:

الكلمة بالتاء المربوطة تعني في علم المكتبات العملَ الذي يحصي المؤلَّفات في موضوعٍ ما، وتُجمَع على ببليوجرافيّات. أمّا (ببليوجرافيا) فتعني العِلْم الذي يدرس إجراءات هذا العمل. وقد خفي هذا التفريق على المعاجم الحديثة، ومنها معجم اللغة العربية المعاصرة الذي اكتفى بالكلمة الأولى؛ فذكر أنها «علم التسجيل المنظَّم للمعلومات عن الكتب، وفهرس بالمراجع والمصادر حول موضوع معيَّن»[٢]! ولكن العجيب أن المعاجم الثلاثة للمجمع المصريّ أهملت المدخلين؛ فليس فيها (ببليوجرافيا) ولا (ببليوجرافية)[*]!

٢- بوليسيمي:

مصطلح البوليسيمي (polysemy) مشهور في علم الدلالة، ومعناه (كلمة واحدة ومعنًى متعدِّد) مثل: عين بمعنى عضو الإبصار أو البئر أو الجاسوس أو الشخص المشهور.

---

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (ب ب ل ي و ج ر ا ف ي ا) جـ١/ ١٥٦.

(*) لا مسوِّغ لوضع مدخل لمصطلح أجنبي له مقابل عربي. فالببلوغرافيا هي (الوراقة) أو المصادر والمراجع والبوليسيمي هي المشترك اللفظي = المجلة.

وهذا المصطلح مقابل لمصطلح الهومونيمي (homonymy) (كلمات متعدِّدة ومعانٍ متعدِّدة) مثل: سائل التي قد تكون من سأل أو سال، ومثل قائل التي قد تكون من قال يقول أو قال يقيل، ومثل كلمة يقيني في قولنا: يقيني بالله يقيني؛ لأنّ الكلمة الأولى اسم والثانية فعل.

وعلى الرغم من أن المصطلحين في علم من العلوم اللغوية لا نجد لهما ذكراً في المعاجم الثلاثة للمجمع الموقَّر[٣]، ولكننا نجد في المعجم الكبير «استبال الخيلَ ونحوها: أخذ بولَها في يده»! ونجد أيضاً أبوال البغال بمعنى السَّراب، والبول بمعنى النَّسل، واستشهد المعجم الكبير بقول الفرزدق[٤]:

أبى الشيخُ ذو البولِ الكثيرِ مجاشعٌ نماني وعبد الله عَمِّي ونَهشَلُ

ثانياً: مصطلحات اضطربت فيها معاجم المجمع:

٣- جبر:

عرَّف الوسيط علم الجبر بأنه «فرع من فروع الرياضة يقوم على إحلال الرموز محل الأعداد المجهولة أو المعدومة (مج)»[٥]! واختصره الوجيز اختصاراً مخلًّا بلفظ «فرع من فروع الرياضة يقوم على إحلال الرموز محل الأعداد»[٦]!

ولا يخفى القصور في كلمة (الرياضة) التي تحمل - كما في الوسيط نفسه - أكثر من معنًى؛ ولو استعمل الوسيط كلمة (العلوم الرياضية) لكان أوضح. وقد كان معجم اللغة العربية المعاصرة أكثر تحديداً حين جعل الكلمة

(٣) وأخلَّ بهما المعجم العربيّ الأساسيّ، وتابعه معجم اللغة العربية المعاصرة الذي ذكر بوليس وبوليسيّ! (ب و ل ي س) جـ١/ ٢٦٥.

(٤) المعجم الكبير(ب و ل) جـ٢/ ٦٩٠-٦٩١ وفيه «ابي» كذا بألف وصل!

(٥) المعجم الوسيط(ج ب ر) جـ١/ ١٠٩.

(٦) المعجم الوجيز (ج ب ر) ص٩١ وأرجو أن تضاف ملاحظاتي هنا إلى بحثي: ملاحظات نقدية حول مادة المعجم الوجيز ومنهجه.

من مصطلحات الجبر؛ فقال: «علم الجبر (جب): فرع من فروع الرياضيات يقوم على إحلال الرموز محلّ الأعداد المجهولة أو المعدومة»[٧].

ولا يخفى كذلك الادِّعاء بأن الكلمة مجمعية! وقد تفادى المعجم الكبير هذين المأخذين فعرَّف علم الجبر بأنه «تعميم للحساب يُستخدَم فيه الحرف الهجائيّ رمزاً (!) للعدد، وقد عرَّفه **مُبتكره محمد بن موسى الخوارزمي بأنه صناعة يُستخرَج منها العدد المجهول من قِبَل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك. والكلمة عربية، أول من استخدمها، (!) الخوارزمي في كتابه (الجبر والمقابلة)**، واستعملها علماء الغرب بنطقها العربيّ نفسه تقريباً (algebra)»[٨]!

ويؤخذ على الكبير وضع فصلة بين الفعل (استخدمها) والفاعل (الخوارزمي)! وقد يؤخذ عليه وضع التنوين على الألف في كلمة (رمزاً)؛ لأن منهجه وضعها على الحرف الذي يسبق الألف. ويعنينا هنا الصياغة التي تتنافى مع معايير النصية؛ فليس من المنطقيّ استعمال كلمة (نفسه) مع كلمة (تقريباً)! وقد يتوهَّم المتلقِّي من تعريف المعجم الكبير أن محمد بن موسى الخوارزميّ الرياضيّ صاحب كتاب «الجبر والمقابلة» هو أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن يوسف الخوارزميّ الكاتب صاحب كتاب «مفاتيح العلوم»! وكان في إمكان المعجم أن يجمع بين الدقة والاختصار فيقول: إن علم الجبر «تعميم للحساب يُستخدَم فيه الحرف الهجائيّ رمزاً للعدد، وقد عرَّفه مُبتكره محمد بن موسى الخُوارزميّ في كتابه (الجبر والمقابلة) بأنه صناعة... ... واستعملها علماء الغرب بنطقها العربيّ تقريباً (algebra)»، ولكن يبقى مأخذ توثيقيّ، وهو ادِّعاء

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ب ر) جـ١/ ٣٤١.

(٨) المعجم الكبير (ج ب ر) جـ٤/ ٣٦.

عبارة لا وجود لها في كتاب الخوارزميّ! وأعتقد أن المعجم الكبير أراد أن الخوارزمي وضع أول كتاب يحمل عنوانه كلمة الجبر التي تعني أن علم الجبر صناعة يُستخرَج منها العدد المجهول من قِبَل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك. يقول الخوارزمي الرياضيّ في مقدمة كتابه: «أَلَّفتُ من كتاب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم، وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم...»[٩]، ويقول الخوارزمي الكاتب: «الجبر والمقابلة صناعة من صناعات الحساب، وتدبير حسن لاستخراج المسائل العويصة في الوصايا والمواريث والمعاملات والمطارحات؛ وسُمِّيت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر النقصانات والاستثناءات، ومن المقابلة بالتشبيهات وإلقائها. مثال ذلك أن يقع في المسألة مال إلا ثلاثة أجذار يعدل جذراً[*]؛ فجبرُه أن تقول: مال يعدل أربعة أجذار، وذلك ستة عشر، [لأنك] تمَّمت المال، وزدتَ عليه ما كان مستثنًى منه؛ فصار مالاً تامًّا، ثم احتجتَ أن تزيد مثل ذلك المستثنى على معادله؛ فصار المعادل أربعة أجذار. وأما مثال المقابلة فمثل أن يقع في المسألة مال وجذران تعدل خمسة [أجذار]؛ فتلقي الجذرين [اللذين] مع المال، وتلقي مثل ذلك من معادله؛ فيحصل مال يعدل ثلاثة أجذار؛ وذلك تسعة»[١٠]؛ انتهى كلام الخوارزميَّيْن؛ فقارنه بما وقع في المعجم الكبير!

---

(٩) الجبر والمقابلة ص٢٢.

(*) كلمة «مال» التي استعملها الخوارزمي في كتابه (الجبر والمقابلة) تدل على س٢، وكلمة «الجذر» التي استعملها ثمة أيضاً تدل على المجهول س. = المجلة.

(١٠) مفاتيح العلوم للخوارزمي - تحقيق ودراسة نهى النجار ص٢١٢ بلفظ [ونك]! والتصويب من تحقيق فلوتن ص٢٠٠ وفيه ص٢٠١ [أجدار] بالدال المهملة، وفي التحقيقين [الذين] بلام واحدة!

٤- جَرَب:

عقد ثابت في كتابه خلق الإنسان باباً بعنوان (غؤور العين) ذكر فيه بعض الأمراض التي تصيب العين، ومما جاء فيه «وفي العين القُدُوح، وهو دخول العين وغؤورها... وفي العين التدنيق... وفي العين اللَّخَص... وفي العين الخَوَص... وفي العين الحَوَص... وفي العين الحَوَل والقَبَل... وفي العين العَمَى والعَوَر والكَمَه... وفي العين الغَمَص والرَّمَص... وفي العين الجَرَب، وهو كالصدأ يركب باطن الجفن؛ فربما ألبسه أجمع، وربما كان في بعضه...»[١١]. ويكفي أن نأخذ هنا - على سبيل التمثيل - كلمة الجَرَب لنرى موقف معاجم المجمع منها؛ ففي المعجم الوسيط: «الجَرَب: مرض جلدي يسبِّبه نوع من الحَمَك (!) يسمَّى حمَك الجرب، وينشأ عنه حِكَّة شديدة في أثناء الليل خاصة (مج). والعيب»[١٢]! وفي المعجم الوجيز: «الجَرَب (في الطب): مرض جلدي يسبِّبه نوع من الحَمَك (!) يسمَّى حَمَك الجرب. والعيب»! وفي المعجم الكبير: «... جَرِب البعيرُ وغيرُه (يجرَب) جَرَباً: أصابه داءُ الجَرَب... وجَرِب السيفُ: صدئ... الجَرَب: بَثْر يعلو أبدان الناس والإبل. وعُرِّف قديماً بأنه خِلْط (!) غليظ يحدث تحت الجلد من مخالطة البلغم المِلْح (!) للدَّم، يكون معه بثور، وربما حصل معه هُزال لكثرته... و(في علم الطُّفيليّات) (scabies): مرض جلدي مُعْدٍ يصيب الإنسان والحيوان، يُحدث حِكَّة شديدة، وينتقل بالملامسة المباشرة، تسبِّبه أنواع من الحَلَم (!) تحفِر أنفاقاً تحت جِلد عائلتها تعيش فيها وتضع بيضها. وتثور الحِكَّة بسبب عملية الحَفْر والموادّ السامّة التي تُفرزها وتُخرجها هذه الطفيليّات. والنوع

(١١) خلق الإنسان لثابت ص١١٤: ١٤٤، وراجع المخصص جـ١/ ١٠٥.
(١٢) المعجم الوسيط (ج ر ب) جـ١/ ١١٩.

الذي يصيب الإنسان خاصة اسمه العلميّ (Sarcoptes scabiei)، طول إناثه ضِعفا طول ذكوره، وطولها أقل من نصف ملِّيمتر، وتكثر بين الأصابع، وفي مناطق الجسم الرقيقة الجِلد، كالثديين، والقضيب، ولَوْحَي الكتف... وصدأُ السيف، أو ما يشبه الصدأ. والعيب»!

ونأخذ على المجمع الموقَّر ما يلي:

١- استعمل الوسيط والوجيز كلمة (الحَمَك)، وهي غامضة على المثقَّف المعاصِر غير المتخصِّص في العلوم الطبيَّة، والعجيب أن الوجيز لا توجد فيه مادة (ح م ك)؛ أي: أن مستعمل المعجم - وهو طالب في المرحلة الثانوية - مطالب بالرجوع إلى معجم آخر يبحث فيه عن معنى الحَمَك حتى يفهم تعريف الجرب، وأما المعجم الوسيط فجاءت فيه الكلمة في مادتها بمعانٍ مختلفة؛ وعلى مستعمل المعجم أن يستنبط المعنى المناسب لمدخل الجَرَب؛ يقول الوسيط: «الحَمَك: الأدلاء الذين يقتحمون الفَلاة. والصغار من كل شيء، واحدته حَمَكة. والقمل الصغير. وأصل الشيء وطبعه»، فهل المراد بالحمك في تعريف الجَرَب الصغار من كل شيء؟ وهل كلمة الصغار صعبة أو عامية أو من ألفاظ المحظور اللغوي (taboo) حتى يستعمل المجمع كلمة الحَمَك؟!

٢- ادَّعى الوسيط أن الكلمة مجمعية، مع أن الجَرَب مذكور في المعاجم القديمة(١٣)!

٣- حذف المعجم الوجيز عبارة «وينشأ عنه حِكَّة شديدة في أثناء الليل خاصة»!

(١٣) معجم العين(ج ر ب) جـ١/ ١١٢، والقاموس المحيط (ج ر ب) جـ١/ ٦٦.

٤- استعمل المعجم الكبير كلمات غامضة على المستعمِل المعاصِر غير المتخصِّص في العلوم الطبية مثل «خِلْط»، و«البلغم الملح»، و«الحَلَم»!

٥- المعاجم الثلاثة اقتصرت على الجَرَب المرتبط بأمراض الجلد، ولم تذكر الجرب المرتبط بأمراض العين[١٤]! والحق أننا أمام مصطلحين مختلفين كلاهما في حقل الطب، وقد سبق نقل هذا المصطلح - جرب العين - عن كتاب ثابت، ونقله أيضاً ابن سيده عن العين للخليل؛ فقال صاحب العين: «الأجرب الذي تبثر عينه يخرج بها بثر فتضم أشفاره ويلزم عينه الحطاط وهو الحصف واحدتها حطاطة»[١٥]، بل ورد المصطلح في معاجم الألفاظ التي يعتمد عليها المجمع في إعداد معاجمه؛ ففي لسان العرب: «والجرب كالصدأ، مقصور، يعلو باطن الجفن، وربما ألبسه كله، وربما ركب بعضه»[١٦]، كما جاء في القاموس المحيط: «وصدأ السيف، وكالصدأ يعلو باطن الجفن»[١٧].

ويبدو أن اللغويين نقلوا هذا المصطلح - جرب العين - عن الأطباء والمترجمين في القرن الثالث الهجريّ؛ فقد جاء المصطلح على لسان ماسرجويه البصريّ اليهوديّ، وعلى لسان ابن ماسويه في كتاب (دغل العين) وكتاب (الكُنّاش المشجَّر)، وورد أيضاً على لسان حنين بن إسحاق في كتاب

(١٤) ووقع في هذا القصور معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ر ب) جـ١/ ٣٥٨: «(طب) مرض جلدي معدٍ ينشأ عنه حك شديد وظهور بثور صغيرة»!

(١٥) المخصص جـ١/ ١٠٥ ولم أقف على الكلمة في المطبوع من معجم العين؛ فربما اطلع ابن سيده على نسخة أخرى!

(١٦) لسان العرب (ج ر ب) جـ١/ ٢٦٠.

(١٧) القاموس المحيط (ج ر ب) جـ١/ ٦٦.

(المسائل في العين) وكتاب (العشر مقالات في العين)، كما جاء في كتاب (الحاوي). وقد أحسن نشأت الحمارنة واكتمال رجب حين نقلا هذه النصوص، وعلَّقا بأن هذه الكلمة - جرب العين - لم تعد مستعملة في مصطلحات الطب الحديث؛ «فجرب العين هو (التراخوما) أو الرمد الحبيبي كما نقول اليوم أو (الحَثَر) بتعبير المعجم الطبيّ الموحَّد... والمرجَّح أن العرب اختاروا كلمة جَرب الجفن ؛ ليترجموا بها المصطلح الإغريقيّ (تراخوما) بسبب أن الحِكَّة هي الغرض الرئيس في (التراخوما)، وهي كذلك في الجَرب؛ فوصف المرض - كما جاء عند الإغريق - هو الذي أوحى للعرب بهذه الترجمة»[١٨].

٥- جغرافيا، جغرافية:

كلمة (جغرافية) تعني - بالتاء - الدراسة التطبيقية على بلد معيَّن؛ يقال: جغرافية مصر أو جغرافية السعودية، ولكن معاجم المجمع اضطربت في الكتابة والتعريف؛ فقد آثر الوسيط كتابة الكلمة بالتاء؛ فقال: «الجغرافية: علم يدرس **ظواهر سطح الأرض الطبيعية** كالجبال والسهول والغابات والصحاري والحيوان والإنسان، كما يدرس الظواهر البشرية التي صنعها الإنسان على هذا السطح كالمدن، والإنتاج الاقتصاديّ الزراعيّ والمعدنيّ، والتجارة وطرق النقل والمواصلات. وميدان هذا العلم الطبقة العليا من قشرة الأرض والطبقة السفلى من الجوّ (مج)»[١٩]! وأما المعجم الوجيز فقد آثر - مع أنه مختصر من الوسيط - كتابة الكلمة بالألف؛ فقال: «الجغرافيا علم يدرس **الظواهر الطبيعية لسطح الأرض** كالجبال والسهول والغابات والصحاري والحيوان والإنسان،

(١٨) المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية ص٥٠٦-٥٠٧، ٥٠٩، ومشروع لكتابة المعجم التاريخيّ للمصطلحات الطبية جـ١/ ٩٠.

(١٩) المعجم الوسيط (ج غ ر ا ف ي ة) جـ١/ ١٣١.

كما يدرس الظواهر البشرية لهذا السطح مما صنعه الإنسان»[٢٠]! ثم جاء الكبير، وآثر الكتابة بالألف، وقال: «جغرافيا (Geography): علم يدرس **ظاهرات سطح الأرض الطبيعية** كالجبال والسهول والغابات والصحاري والحيوان والإنسان، كما يدرس الظاهرات البشرية التي صنعها الإنسان على هذا السطح (!) والإنتاج الاقتصاديّ الزراعيّ والمعدنيّ، والتجارة وطرق النقل والمواصلات. وميدان هذا العلم الطبقة العليا من قشرة الأرض والطبقة السفلى من الجوّ (مج)»[٢١]!

ويلفت النظر الخلط بين معنى الكلمتين، واقتصار كل معجم من معاجم المجمع على إحدى الكلمتين دون إحالة إلى الأخرى، وهنا تظهر التعددية في كتابة المصطلح اللغويّ، وهي لا تقل في الخطورة وآثارها السلبية عن التعددية في تعريب المصطلح، في حين وضع معجم اللغة العربية المعاصرة الكلمتين – وإن ساوى بينهما في المعنى – في مدخلين، ووضع رمزاً مختصراً للعلم[٢٢]! والعجيب أن الوسيط استعمل في مكان آخر منه مصطلح «**علم الجغرافية**»؛ فقد جاء في تعريف البرزخ أنه «(في علم الجغرافية) قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين موصِّلة بين أرضين»[٢٣]! فإذا كانت الكلمة بالتاء تعني العلم فما قيمة كلمة علم هنا؟!

---

(٢٠) المعجم الوجيز (ج غ ر ا ف ي ا) ص١٠٨.

(٢١) المعجم الكبير (ج غ ر ا ف ي ا) جـ٤/ ٣٨٨.

(٢٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (ج غ ر ا ف ي ا) جـ١/ ٣٧٨: «(جغ) جغرافية، علم يدرس ظواهر سطح الأرض الطبيعية، ويدرس توزُّع الحياة النباتية والحيوانية والبشرية، وآثار النشاط الإنسانيّ في مختلف بقاع الأرض، وميدان هذا العلم الطبقة العليا من قشرة الأرض والطبقة السفلى من الجو»، ثم أحال إلى هذا الموضع في (ج غ ر ا ف ي ة) جـ١/ ٣٧٩!

(٢٣) المعجم الوسيط (ب ر ز خ) جـ١/ ٥٠.

ويلفت النظر أيضاً الاختلافات الشكلية بين المعاجم الثلاثة؛ ففي الوسيط «ظواهر سطح الأرض الطبيعية»! وفي الوجيز «الظواهر الطبيعية لسطح الأرض»! وفي الكبير «ظاهرات سطح الأرض الطبيعية»! ولا يخفى أن كلمة (ظواهر) التي آثرها الوسيط والوجيز أخف وأشهر من (ظاهرات) التي استعملها الكبير! ولا شك أن تعريف الوسيط أفضل من تعريف الكبير؛ إذ اشتمل الوسيط على التمثيل في قوله: «كالمدن»، وإن تفوَّق الكبير في ذكر المقابل الإنجليزيّ للمصطلح.

٦- **سَطْح**:

في المعجم الوسيط والمعجم الوجيز «سطح كل شيء: أعلاه، و(في الهندسة): ما له طول وعرض (ج) سطوح»[٢٤]!

ويبدو أن المعجميْن اقتصرا على التعريف الأسهل والأشهر، وإن لم يكن الأدق. وقد جاء في العدد الثالث من مجلة المجمع: «السطح (surface) هو ما له طول وعرض»، ونقلت المجلة تعريف العاملي «هو ذو الامتدادين فقط»، ونقلتْ عن الطوسي: «السطح أو البسيط: عظم له طول وعرض فقط»[٢٥]، ونقل الدكتور محمد سويسي تعريف الخوارزمي للسطح بأنه «ما له طول وعرض لا غير وينتهي بالخط»[٢٦]، واختار معجم اللغة العربية المعاصرة تعريف السطح بأنه «(هس): ما له طول وعرض بلا عمق»[٢٧].

ويلفت النظر حقًّا تفوُّق المعجم الأخير على معاجم المجمع ؛ فقد زاد -

(٢٤) المعجم الوسيط (س ط ح) جـ١/ ٤٤٥، والمعجم الوجيز (س ط ح) ص٣١٠ دون اختلاف.

(٢٥) مصطلحات العلوم الرياضية- مجلة المجمع جـ٣/ ٦٣.

(٢٦) محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية ص٤٦٨ وما قبلها وما بعدها.

(٢٧) معجم اللغة العربية المعاصرة (س ط ح) جـ٢/ ١٠٦٤.

وكان صاحبه يومئذ عضواً بالمجمع[٢٨] – تعبير «بلا عمق»، وذكر الجمعين (أسطح) و(سطوح)؛ وأحسن كذلك حين ذكر أن السطح أعلى كل شيء، وظهره، ووجه ظاهر مرئيّ مثل: سطح الأرض أو البحر. وسطح الجلد: ظاهره. وسطح فاصل/ بينيّ: سطح يكوِّن حدوداً مشتركة بين منطقتين متجاورتين. وعلى السطح: ظاهر واضح. وأشار أيضاً إلى السطح الانسيابيّ المائيّ، والاحتكاك السطحيّ ؛ ثم ذكر السطح، وذكر أيضاً «السطح المستوي (هس): السطح الذي إذا أخذت فيه أيَّ نقطتين كان المستقيم الواصل بينهما منطبقاً عليه»، وذكر أيضاً «متعدِّد السطوح (هس): جسم هندسيّ مغلق يتكوَّن من أسطح محدَّدة مستوية تسمَّى أوجهاً»، وذكر أيضاً «ثلاثيّ السطوح (هس): مجسَّم مكوَّن من ثلاثة سطوح تلتقي في نقطة واحدة»، كما ذكر «التوتر السطحيّ (فز):خاصية ارتفاع السوائل بالقرب من السطح ناتجة عن قوي الجزيئات، وتؤدِّي إلى وجود شبه غشاء رقيق وإلى الخاصية الشعرية»[٢٩].

والعجيب حقًّا أن السطح المستوي الذي غفل عنه المعجمان الوسيط والوجيز جاء بلفظه ومعناه في العدد الثالث من مجلة المجمع المصريّ، وجاء أمامه المقابل الإنجليزي (Plane)، بل نقلت مجلة المجمع تعريفين آخرين للسطح المستوي: أحدهما تعريف الطوسي: «هو ما كانت الخطوط

(٢٨) استطاع أحمد مختار عمر أن يفيد من عضويته بالمجمع المصريّ بصورة مثيرة للإعجاب؛ فقد انتقد المجمع على المستوى النظريّ في الفصل الأخير من كتابه: صناعة المعجم الحديث، وانتقده أيضًا في كتاب مستقل بعنوان «أنا واللغة والمجمع»، ثم استثمر الملاحظات النظرية ؛ فقام بعمل بضعة معاجم – وقد شاركتُ في اثنين منها – تفوق معاجم المجمع مستعينًا بشباب الباحثين والخريجين، وبعضهم – كما هو مدوَّن في الغلاف الدَّاخليّ لمعاجمه – كان من محرِّري المجمع!

(٢٩) معجم اللغة العربية المعاصرة (س ط ح) جـ٢/ ١٠٦٤ ولكنه غفل عن السطح الكروي!

المستقيمة المفروضة عليه أو التي يمكن فرضها عليه كيف كان، تكون بعضها على مقابلة بعض»، والآخر تعريف العاملي: «هو ما تقع فيه الخطوط المخرجة عليه في أي جهة»(٣٠)، وهذا التعريف الأخير - تعريف العاملي - استحسنه الدكتور محمد سويسي(٣١).

وقد جاء في العدد نفسه من مجلة المجمع: «السطح الكرويّ (Spherical surface): هو سطح منحنٍ توجد في ناحية تقعيره نقطة تكون المستقيمات الخارجة منها إليه متساوية»(٣٢)، فانظر إلى تقصير معاجم المجمع، وعدم إفادتها من مجلة المجمع نفسه؟!

وأرجو أن تكون هذه النماذج محفزة لدراسة مصطلحات أخرى في معاجم المجمع مثل: أنسولين، وإنفلونزا، وبنكرياس، ونتروجين(*)... ولعل المجمع الموقَّر يعيد النظر في قضية المصطلح على المستويين النظريّ؛ وقد حدَّد المجمع وسائل لوضع المصطلح، وعلى المستوى التطبيقيّ في معاجمه. وأرجو أن يفيد المجمع من دراستي النقدية في الطبعة القادمة من المعجم الوسيط التي يعمل فيها منذ أكثر من عشرة أعوام، أو فيما سيصدر من أجزاء المعجم الكبير، وعسى أن يكون قريباً.

* * *

(٣٠) مصطلحات العلوم الرياضية - مجلة المجمع المصريّ جـ٣/ ٦٤.

(٣١) محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية ص٤٦٨.

(٣٢) مصطلحات العلوم الرياضية - مجلة المجمع المصريّ جـ٣/ ٩١ وفيها عن الطوسي «يسمَّى سطح الكرة محيط الكرة».

(*) ثمة مقابلات عربية لهذه المصطلاحات ذكرتها المعاجم الطبية المتخصِّصة = المجلة.

المصادر والمراجع

- التطور الدلاليّ للمصطلح الفقهيّ- د. سناني سناني- مجلد ٨٥ جـ٣- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- سوريا ط١/ ٢٠١٠م.
- التعددية في المصطلح اللغوي آثارها السلبية ووسائل القضاء عليها - د. أحمد مختار عمر- عدد٢٣ - مجلة كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- مصر / ١٩٩٨م.
- الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي- قدَّم له وعلَّق عليه د. مصطفى مشرفة- شركة نوابغ الفكر- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠٠٩م.
- خلق الإنسان لثابت (من علماء اللغة في القرن الثالث الهجريّ)- تحقيق عبد الستار أحمد فراج- سلسلة التراث العربيّ (١٤)- وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت ط١/ ١٩٦٥م.
- علم المصطلح التاريخيّ- د. حازم علي كمال الدين- مكتبة الآداب- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠١٦م.
- العين للخليل(ت١٧٥هـ)- تحقيق د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي- منشورات وزارة الثقافة والإعلام- بغداد- العراق- ط١/ ٨٠ - ١٩٨٥م.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)- مؤسسة الرسالة- مكتب تحقيق التراث - بيروت- لبنان ط٢/ ١٩٨٧م.
- لسان العرب لابن منظور(ت٧١١هـ)- دار صادر- بيروت- لبنان ط٣/ ١٩٩٤م.

- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً- مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر / ١٩٨٤م.
- محاولة التأريخ لمعجم الرياضيات في العربية- د.محمد سويسي- عدد ٥، ٦ – مجلة المعجمية- تونس / ١٩٩٠م.
- مشروع لكتابة المعجم التاريخيّ للمصطلحات الطبية- د.نشأت الحمارنة- مجلد ٨٩- جـ٤، مجلد ٩٠ – جـ١- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- سوريا / ١٦- ٢٠١٧م.
- مصطلحات العلوم الرياضية التي أقرَّها المجمع في دور انعقاده الثالث- مجلة مجمع اللغة العربية الملكيّ- المطبعة الأميرية ببولاق- مصر / ١٩٣٧م.
- المعجم التاريخيّ للمصطلحات الطبية- د. نشأت الحمارنة واكتمال رجب- مجلد ٨٩ جـ٢- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- سوريا / ٢٠١٦م.
- المعجم العربي الأساسي- تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- لاروس- تونس / ٢٠٠٣م.
- المعجم الفلسفيّ- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط١/ ١٩٧٧م.
- المعجم الكبير- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط/ ١٩٥٦م، (حرف الهمزة) ط١/ ١٩٧٠م ، (حرف الباء) ط١/ ١٩٨١م، (حرفا التاء والثاء) ط١/ ١٩٩٢م، (حرف الجيم) ط١/ ٢٠٠٠م، (حرف الحاء) ط١/ ٢٠٠٠م، (حرف الخاء) ط١/ ٢٠٠٤م، (حرف الدال) ط١/ ٢٠٠٦م، (حرف الذال) ط١/ ٢٠٠٨م، (حرف الراء- ق١) ط١/ ٢٠١٢م، (حرف الراء- ق٢) ط١/ ٢٠١٥م.
- معجم الكيمياء والصيدلة- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط١/ ١٩٨٣م.

- معجم اللغة العربية المعاصرة- د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠٠٨م.
- معجم مصطلحات الفيزياء- مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ- بغداد- العراق ط١/ ١٩٧٧م.
- معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير في كتاب القانون لابن سينا- د.وفاء تقي الدين- مجلد ٦٨، ٧٣، ٧٥- ٧٧، ٧٩- ٨٣ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- سوريا / ١٩٩٣م- ٢٠٠٨م.
- المعجم الوجيز- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر / ١٩٨٠م.
- المعجم الوسيط- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط٣/ ١٩٨٥م، ومكتبة الشروق الدولية (ط٤/ ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م).
- مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب- تحقيق ودراسة نهى النجار- دار الفكر اللبنانيّ- بيروت- لبنان ط١/ ١٩٩٣م، وتحقيق فان فلوتن- الذخائر (١١٨)- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠٠٤م.
- ملاحظات نقدية حول مادة المعجم الوجيز ومنهجه- محمد جمعة الدِّربيّ- مجلة اللغة – مركز البحوث العربية والإفريقية – القاهرة- مصر / ٢٠١٠م.
- من المعجم الخليليّ إلى المعجم التاريخيّ، نظرات في المعجم العربيّ- محمد جمعة الدربي - الحضارة للنشر- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠١٧م.

* * *

أضواء على كتاب «المشكلة اللغوية العربية»(*)
للدكتور محمد عبدو فلفل

عرض وتحليل د. وليد محمد السراقبي(**)

هذا الكتاب مولود جديد مطوَّر عن مولود سابق يُعَدُّ أصلاً له، هو كتاب: «اللغة العربية: ثوابت ومتغيرات» الذي صدر في طبعة وحيدة عن دار الينابيع بدمشق سنة ٢٠٠٢م.

وإعادة طبع الكتاب وتغيير عنوانه وتعديل بعض فصوله بالزيادة أو الحذف، أو بإضافة أفكار جديدة على ما سبق = أمور مُتعالَمة مشروعة ودلائل صحة وعافية، ومسالك يسلكها غير واحد، ولا سيما إذا ضم الكتاب اللاحق أفكاراً لم تكن قد وردت في السابق عليه.

جاء المولود الجديد في ٢٥١ صفحة من القطع المتوسط، حاملاً عنواناً هو: «أضواء على المشكلة اللغوية العربية»، وضمَّ فصولاً من الكتاب السابق، وأضاف إليها المؤلّف ثلاثة الفصول(*) الجديدة الآتية:

(*) صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق (٢٠١٣م).

(**) أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة حماة.

وردت إلى مجلة المجمع بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠١٩م.

(*) حاشية: من المفيد التنبيه على اختلاف عبارة الكاتب في التعبير عن أقسام الكتاب الذي يعرض له، يسميها أحياناً فصولاً، وأحياناً أخرى مباحث! = المجلة.

١- المبحث السادس: (ما جاء على فِعالِ).
٢- المبحث السابع: في الدلالة الإسنادية للفعل.
٣- المبحث الثامن: الإعراب من الوجهة الوظيفية.

وهي في مجملها بحوث نُشِرت في دوريات محلية وعربية.

وَقَفَتْ وراء كتابة فصول الكتاب جديدها وقديمها دوافع نجملها فيما يأتي:

١- الدافع العلمي، وسماه المؤلف: الفضول العلمي.
٢- الانتماء القومي الذي يتجلى في الانتماء إلى اللغة العربية لغة هذه الأمة.
٣- الوفاء لرسالة اللغة العربية التي ينتمي إليها المؤلف.
٤- ما يواجه العربية من تحديات وجنايات عليها.
٥- الإيمان بقدرة العربية على النماء الذاتي والتجدد المستمر مع الحفاظ على ثوابتها.

أما المباحث التي ضمتها صفحات الكتاب، فهي:

المبحث الأول: (في وعي المشكلة اللغوية):

وقصد به فهم الدارس لنفسه ومحيطه وما يكتنف حياته، ثم بيان مسؤوليتنا مجتمعين نحو لغتنا في إطار من مقوماتها، وما يصادفها من معوقات. ويقصد بهذا الوعي الإدراك الموضوعي للمشكلة الذي يعد الخطوة الأولى على طريق تشخيص المرض وتحديد العلاج الناجع له.

المبحث الثاني: (العربية من وجهة نظر الآخر):

ومؤداه موقف غير العربي من لغتنا وما يراه فيها من محاسن أو مثالب. وهذه النظرة من الآخر قد تكون واقعية أكثر من وجهة نظر أصحاب اللغة أنفسهم، وذلك لعدم شعور أولئك بالانتماء إلى هذه اللغة، وأنها ليست مكوناً من مكونات شخصيتهم الفكرية والحضارية والقومية، ذلك أن أُلفتنا لغتنا قد

تجعلنا لا نستطيع تلمس أدوائها بموضوعية على غرار ما يراها الآخر الذي ينظر إليها – إذا كان غير متحيز أو حاقد – من منظار موضوعي.

المبحث الثالث : (اللغة بين الثبات والتغير):

ارتكز هذا المبحث على المعادلة الآتية: إنَّ ثمة دوافع للتغير والنماء، ولكن في إطار من آفاق محددة. فإذا كانت الضرورات الحضارية أو العلمية تفرض هذا التغير فإن له محاذير ينبغي تحديدها والكشف المفصَّل عنها. وهو يهدف إلى إيجاد وعي يبين ما للغة العربية وما عليها في ضوء الممكن والمستطاع من جهة، وتبيان الموقف الحضاري للأمة من جهة أخرى.

المبحث الرابع: (من آثار القياس الخاطئ):

يمثل هذا المبحث آليات التغير التي جنحت بالعربية إلى تنكب التقيد بالأصول الثابتة والقوانين المطردة في استعمالها، وهي نماذج متصيدة لتجعل نماذج للخروج على القياس المطرد.

المبحث الخامس: (قراءة عملية في لغة الصحافة):

يمثل هذا المبحث الجانب الإجرائي الحقيقي القائم على الوصف والتحليل للواقع اللغوي في ميدان مهم من ميادين التداول اللغوي هو الصحافة المقروءة. وقد طُبِّقت هذه القراءة على عينات عشوائية من الصحف، وقُصِد منها التشخيص العملي لحال العربية في المدونة الصحفية وتبيان سبل الارتقاء بها وتطويرها.

المبحث السادس: (ما جاء على «فِعالِ» من اسم الآلة):

يمثل هذا الفصل سرداً معجميًّا يبين قياسية بناء(فِعالِ) في اسم الآلة، ويعد هذا المبحث رفداً للمدونة المصطلحية العربية ودليل غنى فيها[1].

(١) أشير هنا إلى كتاب وضعه الشاعر معروف الرصافي سماه: (الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات)، وقد صدر عام ١٩٨٠ عن دار الرشيد للنشر، بغداد، =

المبحث السابع: (في الدلالة الإسنادية للفعل):

وهذا المبحث يشكل دعوة لقراءة التراث اللغوي العربي بعين الناقد المحلل مدفوعاً بمسلكين هما: التقصي والموضوعية.

وهو من جهة ثانية يمثل تصحيحاً لمقولة شاعت في أوساط بعض الدارسين القدماء والمحدثين مؤداها أن الفعل لا يتضمن إلا دلالتين اثنتين هما: الدلالة الحدثية والدلالة الزمنية. وخلص المبحث إلى تأكيد دلالة ثالثة لم يلتفت إليها كثير من الدارسين، هي الدلالة على الفاعل، فيغدو الفعل متضمناً ثلاث دلالات لا دلالتين اثنتين.

المبحث الثامن: (الإعراب من الوجهة الوظيفية):

يوضح هذا المبحث رؤية مفادها أن الإعراب لا يسهم دائماً في إيضاح دلالة التركيب؛ ولذا يدعو هذا المبحث إلى ترشيد الاعتناء بالإعراب الذي يراد به التحليل النحوي سواء أكان ذلك تعليميًّا أم بحثيًّا. وهذا يجعل الإعراب نتيجة أمرين:

١- شمولية نظرية العامل في المدونة النحوية العربية.

٢- إخضاع النحاة تراكيب العربية لهذا النوع من التحليل، وليس ثمة منهج يستطيع أن يستوعب معطيات مدونة لغوية ما استيعاباً مطلقاً.

يفصح الكتاب عن أفكار يتبناها صاحبه منها:

١- الاعتقاد بأن تعلم العربية وإتقانها لا يكفي فيهما أن تحفظ المتون النحوية، وأن امتلاك هذه المتون واستظهارها لا يعني امتلاك

= وجمع فيه ٤٤٠ بناء للآلة، واستدرك عليه الدكتور إبراهيم السامرائي بعض الأبنية. ولو اطلع عليه مؤلف الكتاب لاستدرك أبنية كثيرة مما فاته، ومن ذلك: اللِّحاظ، وهو من السهم ماولي أعلاه، واللِّحاق، وهو غلاف القوس،... وستكون لي وقفة عنده في قابل إن شاء الله.

القدرة على ممارسة اللغة العربية ممارسة صحيحة، ولكن المعوَّل في ذلك على الارتقاء بالاستعمال اللغوي وتداولية اللغة الفصيحة، أي: بجعل متعلم اللغة محوطاً بحمام لغوي يسمع فيه اللغة السليمة، ويقلدها ويكتب بها؛ لأن اللغة أولاً وآخراً هي «مهارة لغوية شرطها المِران والمحاكاة لا حفظ المنظومات النحوية»، وباختصار: ليس بالنحو وحده تحيا اللغة.

٢- خطأ ما قرَّ في أذهان بعض الدارسين أن الفعل لا يتضمن إلا دلالتين اثنتين: دلالة حدثية ودلالة زمنية، وهذا قصور في الفهم عند بعضهم ممن يقفون في وجه كل جديد من غير ما تبصُّر؛ ذلك أن دلالة الفعل على الفاعل دلالة استلزامية، وهذا ما ينطق به شيخ النحاة سيبويه فقد يكون الفعل بغير مفعول، ولكنه لا يكون بغير فاعل البتة، فحاجة الفعل إلى الفاعل أشد من احتياجه إلى المفعول. ولابن القيم – رحمه الله – تفسير لكلام سيبويه: «دلالة الفعل على الفاعل أقوى من دلالته على المفعول به من وجهين:

أ- أنه يدل على الفاعل بعمومه وخصوصه نحو: فعل زيدٌ وعمل عمرو، وأما خصوصه فنحو: ضرب زيدٌ عمراً ولا تقول: فعل زيدٌ عمراً.

ب- الوجه الآخر أن الفعل هو حركة الفاعل، والحركة لا تقوم بنفسها، وإنما هي متصلة بمحلها، فوجب أن يكون الفاعل متصلاً بفعله... ولا يصح انفصال الفعل عن الفاعل لفظاً كما لا ينفصل عنه معنى»[٢].

٣- أن التطور سمة عامة في الوجود، واللغة وجه من وجوه الوجود، فهي تخضع للتطور ولكنه ليس تطوراً شبيهاً بفوضى الخلايا السرطانية،

(٢) بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، ٢، ص: ٣٣٧و٣٣٨.

بل هو تطور حتمي من جهة وخاضع لقوانين المنظومة اللغوية الكلية من جهة أخرى. ولغتنا مثل غيرها من اللغات لم تقف في القديم ضد الوافد اللغوي، ولكنها عملت على تطويعه لقوانينها.

٤- الفكر النيِّر الذي يسير المؤلف متهدياً بهداه؛ فالكتاب ليس تهويمات محكومة بالتخيل الوثاب ولا بالإنشائية الحماسية على غرار كثير من الكتابات التي يدعي أصحابها العلمية والمنهجية الأكاديمية، حتى إذا وقفوا على رأي أو مقولة تصطدم بما قرَّ في أذهانهم رفعوا عقيرتهم وأعلنوا حربهم الشعواء عليك ووصموك بما تعجز كثير من معجمات اللغة على الإحاطة به، وإذا نظرت في أبحاثهم ومخضتها لم تقف إلا على ادعاء وانتفاج ولوكٍ لمقولات لم تتجاوز رأس أنوفهم، ولو بلغوا من العمر ما بلغوا.

٥- جرأة الطرح وقرع الحجة بالحجّة والاستظهار بالأدلة على ما يذهب إليه.

٦- المرجعية المتنوعة الغزيرة: فقارئ الكتاب يلحظ تعدّد مشارب المصادر وتنوعها وسعة أفقها، وهي موزعة ما بين مصادر أصيلة كمدونات النحو العربي كالكتاب والأصول وغيرهما، وبين مصادر في الدرس اللغوي الحديث موضوعة باللغة العربية أو مترجمة، فمن الأول مثلاً: اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان، واللغة العربية في عصر العولمة للدكتور أحمد الضبيب، والمصطلح النحوي لتوفيق قريرة، وغيرها... ومن الثاني: محاسن العربية لـ(دافيد جستس)، وهومن ترجمة اللساني د. حمزة المزيني، واللغة لـ (ج. فندريس)، ودور الكلمة في اللغة لـ(ستيفن أولمان)، وهو من ترجمة د. كمال بِشر- رحمه الله -، وغيرها.

ولكن يؤخذ على بعضها تعدد أنماط كتابة أسماء مؤلفيها خاصة، وكان الواجب توحيدها، فمن أمثلة ذلك اسم (ستيفن أولمان) ص: ٢٤، وفي قائمة المراجع: أولمن. وفي ص٢٥: «علم اللغة بين المعيارية والوصفية» د. تمام حسان، وصوابه: اللغة بين... ، وفي ص ٣١: «جوزيف فندريس»، وفي الصفحة التالية لها: «جوزيف فاندريس»، وفي الصفحة ٣٣: «ديفد جستس»، وفي الصفحة٣٥: «ديفيد...» وفي الصفحة ٧٧: «هـ. روبنس»، وفي غيرها: «روبنز»، وهو الصواب.

ومن ذلك أيضاً: تعدد منهجية الإحالة ؛ فمرة يبدأ بالمرجع ويثني باسم المؤلف، وأخرى يعكس الأمر، ومثاله في ص: ٦٧/ ح١ فقد أحال إلى اسم المرجع ثم المؤلف ، فقال: بحوث في اللغة والنحو والبلاغة د. عبد الإله نبهان... وفي ص٧٢ أحال إلى اسم المؤلف ثم الكتاب فقال: عبد الإله نبهان، بحوث في اللغة... ، والأولى توحيد المنهج.

٧- الموضوعية: وهي ملمح من ملامح الفكر المستنير، فهو - ولو كان انتماؤه بحكم التحصيل إلى النحو القديم وبحكم المولد والبيئة إلى العربية وأمتها - لم يجد بدًّا من الابتعاد عن التحيز اللغوي الذي يتلبس به كثير من أدعياء الأكاديمية ؛ فحب العربية والانتماء إليها لغة وقومية وعقيدة لا يدفع إلى التسليم المطلق بخلو الدرس اللغوي العربي من المثالب التي لا تبرأ منها لغة من اللغات، والدليل على ذلك وجود الشاذ والنادر فيها كما في غيرها من اللغات، وفي هذا دلالة على أن ما جاء فيها لم يكن كله مطرداً مع القواعد المؤصلة، ولاسيما أن المدونة اللغوية العربية لم تصل إلينا كاملة غير منقوصة، ومن هنا عُدَّ استقراؤها استقراء ناقصاً.

٨- النقد المعلل: فالمؤلف لم يقتصر في تبني ما تبنى ورفض ما رفض على العرض فحسب، ولكنه عمد إلى تعليل رفضه ونقده. ومن ذلك ما سمَّاه «التورّم في التراكيب الصحفية»، وهو تعبير يستحضر في الذهن الورم السرطاني الفوضوي في جسم ما. ومما عرضه في هذا الجانب شيوع تراكيب مثل: فيما يتعلق، وبالنسبة لِـ، وبخصوص، ومن جهته،... وهي تعابير امتلأت بها الصحافة حتى ورمت، وليس لها من دلالة في سياق التركيب، فهي لا تذكر لما تعنيه فعلاً؛ بدليل أن حذفها لا يضير التركيب في شيء.

ومنه كثرة استعمال الفعل المساعد (تمَّ) مسنداً إلى ضمير الحدث المراد الإخبار عنه، نحو: عبر أنشطة (يتم) إقرارها، وهو فعل لا حاجة إليه البتة، إذ يمكن أن تكون العبارة: عبر أنشطة تُقرُّ،... ولكنها آثار الترجمة التي استحوذت على عقول كثير ممن يترجمون حرفيًّا، بله ألسنتهم. وهو أمر كنت أعاني منه كثيراً في تصحيح الكتب الجامعية المقررة التي كانت تفد إلينا من اختصاصات أخرى، ولكن لا يعني هذا تبرئة كثير من المتخصصين من سطوة هذه الأساليب.

* * *

المحاضرات والمدارسات(*)

(*) **المدارسة**: هي المقابل العربي لكلمة (سيمِنار seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، للتذاكر به ومناقشته في مجلس المجمع.

مبادئ التشكيل الصوتي
مراجعة وتقييم

أ. د. أحمد محمد قدور(*)

تمهيد:

نعرض في هذا البحث لقضية مهمّة من قضايا الدرس اللغوي الحديث، هي الفونولوجيا (phonology)، أي: التشكيل الصوتي(**)، وما نتج عنها من مسائل كانت مداراً لمناقشات كثيرة بين الدارسين المحدثين. والفونولوجيا علم لساني حديث يختصّ بدرس أصوات لغة معيّنة للوصول إلى طرق ائتلافها، ونظام تركيبها، وما يتصل بذلك من خصائص أو فروق. فأصوات اللغات لا توجد في الكلام مستقلّة أو معزولة، لأنّ المتكلّم لا يتكلّم إلا بمركّبات من الأصوات التي تفترض سلسلة من الحركات النطقية المترابطة. أما درس الأصوات مفردةً فلا يتمّ إلا بنوع من التجريد الذي يسمح بتحليلها على انفراد لغايات الوصف والتصنيف، وإدراك ملامحها النطقية، وخصائصها الفيزيائية.

وربّما كانت الفونولوجيا إحدى القضايا التي أبرزت آثاراً سلبية لتوظيف اللسانيات في درسنا الحديث. من ذلك إجراء مقايسات خاطئة بين درسنا

(*) ألقى عضو مجمع اللغة العربية الدكتور أحمد محمد قدور هذه المحاضرة في قاعة المحاضرات في المجمع بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠١٨م.

(**) الصوتيات = المجلة.

والدرس الأجنبي، مع اختلافهما أصلاً، وانتمائهما إلى لغات أو أسر لغوية متباعدة. وقد توهّم بعض الدارسين المحدثين أنّ هناك قطيعة معرفية لا بدّ من أن تحدث حتى تنهض علومنا من حالتها الراهنة وتلحق بالعلوم الحديثة. وهو محض خطأ، لأن علومنا ليست إرثاً منفصلاً قابلاً للترك والقطيعة، إنما هي نتاج مستمرّ ما زال وافياً بالحاجات العلمية والتعليمية، وإن اختلفت درجاته بحسب العصر الذي يحتويه. كذلك قاد الانبهار بإنجازات اللسانيات إلى محاولة لفرض النموذج الغربي على علوم اللغة، وهجر نموذجنا العلمي الخاصّ الذي يتفق والغايات التي أُنشئ لها. ولا شك في أنّ بعض دارسينا ورث مقولات استشراقية مبعثها المركزية الأوربية ونظرتها الدونية إلى كلّ ما عداها، مع شعور بالاستعلاء والغطرسة والتمكّن(١).

ولذلك تجرّأ بعض الدارسين على مناهج العربية، وكال لها ولعلمائها الاتهامات، وروّج للتحديث من غير فهم أو اطلاع على مصادرنا العميقة، واقترح بعضهم بدائل هجينة. على أنّ الإنصاف يدعونا إلى الإشادة ببعض الجهود الغربية التي سلمت من آفات التعصّب، إذ لم يتوقّف بعض الباحثين الأجانب من المستشرقين أو اللسانيين أو مؤرخي علم اللسانيات عند الملحوظات السلبية كما بدت لهم، بل مدّوا أيديهم إلى مكامن الإبداع والتفرّد لدى علمائنا، وإن كانوا غالباً منساقين نحو الاتجاه المخالف(٢).

(١) فخر الدين قباوة، إشكاليات في البحث والنقد النحويين، ص١٣٦.

(٢) من هؤلاء أرتور شاده الذي درس الأصوات عند سيبويه، وجيرارد تروبو الذي درس أثر المنطق في نشأة النحو العربي، وغيرهما كروبنز في موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ومونان في تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين. ولهنري فليش وقفات دقيقة عند إبداع النحاة وخصائص العربية في كتابه «العربية الفصحى». وكذلك لكانتينو في كتابه «دروس في علم أصوات العربية»، وبحوث ودراسات في اللسانيات العربية لعبد الرحمن الحاج صالح، ٢/ ٢٧٨.

وينبغي ألا يُفهم من هذا الحديث أننا نضيق ذرعاً بالوافد اللساني الجديد، أو ندّعي عدم الاحتياج إلى جهود الآخرين، بل إننا ندعو دائماً إلى تعرّف اللسانيات تعرّفاً صحيحاً بعيداً عن فوضى المصطلحات وفرض الرطانات. على أنّ أيّ اطلاع أو إفادة أو زيادة يجب أن يكون ضمن علومنا ومقوّماتها، إذ لا نريد هجرها، أو إحلال شيء محلّها أيًّا كان. والمعروف في هذا الصدد أنّ درس الفونولوجيا هو درس للخصائص، وليس درساً للكُلّيّات المشتركة بين اللغات، وهو ما نصّ عليه أصحابها حيث نشأت، ولذلك يُفترض أن يلجأ دارسونا إلى علومنا ليستنطقوها ما يخصّها من مسائل التشكيل، وإن لم تكن واردة ضمن أبواب أو فصول مستقلة، أو عناوين واضحة. لكنّ العكس هو الذي غلب على فهم الفونولوجيا في العربية، إذ قُدّمت ضمن الترويج للّسانيات ومناهجها، والمطالبة بتطبيقها واحتذائها، أو إحلال المصطلحات الأجنبية محلّ المصطلحات العربية، والتحايل على القواعد العربية لتبدو قديمة أو غير وافية بالمقاصد الجديدة.

ومع أنّ مسائل الفونولوجيا التي قدّمها لنا المترجمون أو المؤلّفون مسائل قليلة، وحديثة العهد في الغرب، فإنّ عدداً من الدارسين العرب مال إلى جعلها علماً مستقلاً، على حين أنّ بعضهم ألحقها بالدراسة الصوتية، أو علم الأصوات. ومهما يكن من أمر، فإنّ الباحث مدعوّ في درس الفونولوجيا إلى الاستعانة بدراسة الأصوات مفردة من جهات النطق أصلاً مع ما يعضدها من وسائل فيزيائية وسمعية وتجريبية، ولا سيّما الأجهزة الحديثة على اختلافها. فالفونولوجيا محتاجة لا محالة إلى هذه الوسائل للوصول إلى غايتها في وصف الكلام، وطرق تشكيله، وما يطرأ عليه من تغييرات تركيبية وأخرى تاريخية، أو ما

يلحقه من آثار لهجية[٣]. من ذلك مسائل الفونيم (phoneme)، أي: الحرف أو الوحدة الصوتية، والمقطع (syllable)، ومجموعة النبر (stress group)، والمجموعة النغمية (Tone group)، والمجموعة النَّفَسية (breath group)، والجملة الفونولوجية (phonological-sentence) وفروعها[٤].

وقد تفاوت اهتمام الدارسين المحدثين بهذه المسائل، وإن كان الفونيم والمقطع قد استأثرا بمعظم الجهود، مع شيء من الإشارات أو الاقتراحات فيما يخصّ المسائل الأخرى. ويلاحظ أنّ درس مسائل الفونولوجيا في العربية سرعان ما اتّصل بالمسائل الصرفية في علومنا، إذ لا استقلال لهذه المسائل عن الصرف، بل ربّما كانت صلة الوصل بين الدرسين الصوتي والصرفي ضمن تسلسل التحليل اللغوي لعناصر الكلام.

١- التحليل الفونولوجي ومصطلحاته:

حدّد النحاة الأوائل الحروف التي يتشكل منها كلام العرب وفق مقتضيات وأنظمة خاصة. فالخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علوم اللغة عند العرب تبيّن تسعة وعشرين حرفاً للعربية، منها خمسةٌ وعشرون حرفاً صحيحاً، وأربعةُ أحرفٍ جُوْفٌ أو هوائية، وهي حروف العلل. ومعياره في هذا التقسيم هو المخرج، فإذا كانت الحروف تصدر من مخارج محدّدة كانت صحيحاً، وإن لم

(٣) كتابي مبادئ اللسانيات، ص٣٩، ٤٤. ويعبّر مصطلح الفونيتيك (phonetics) عن الدراسة العلمية للأصوات مفردة من جهات النطق وغيره، وهي تستعين بالمخابر الصوتية وفيزياء الصوت ونحو ذلك كأجهزة التصوير والأشعة.

(٤) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ط. ١٩٩١م)، ص١٦١-١٦٣. ويذكر في هذا الصدد أن تروبزكوي رأى أنه يوجد نظام يجمع كل الأصوات الممكنة لكل اللغات الموجودة، والممكنة الوجود، وكل نظام فونولوجي لأي لغة يعد انتقاءً من هذا النظام الصوتي العام، انظر المرجع السابق، ص٢٦٦، الحاشية رقم١.

تكن كذلك فهي علل. أما الهمزة فأُلحقت بالعلل لكثرة ما يعتريها من تغيير في كلام العرب(٥). وروي عن الخليل أنّ هناك حالات أخرى للواو والياء تقرّبهما من الصحاح، وذلك عندما تتحركان، أو تأتيان ساكنتين بعد فتحة. أما حالة الاعتلال فواضحة تماماً، وهي مجيء حروف العلة الثلاثة ساكنةً بعد حركة مجانسة لها، وهي في مجرى واحد(٦). ونسب سيبويه إلى الخليل أنه جعل للحركات أهمية كبرى في إخراج الأصول الساكنة إلى حيّز النطق والتشكيل(٧). وقد فصّل سيبويه والمبرّد وابن جني وغيرهم من أفذاذ النحاة عناصر التشكيل الصوتي، وأوضحوا الصلة بين الحركات والمدود، وما تؤول إليه هذه العناصر كلّها في سياق الكلام، مما هو مستفيض في درسنا، فلا حاجة إلى التفصيل في ذلك(٨). وبناءً على ما تقدّم استخلص النحاة من كلام العرب ما سمّوه بالأصول، وعيّنوا الزوائد، وحدّدوا وظائف الحركات، وقد تمّ لهم ذلك بطرق استقرائية، وأخرى رياضية. وسيرد شيء من هذا القبيل في هذا البحث لاحقاً.

لكنّ معظم الدارسين ممن تناولوا موضوع الفونولوجيا تجاهلوا المصطلحات العربية التي عبّرت عن مفاهيم خاصة مجرّدة من كلام العرب، واستعاروا مصطلحات أخرى غربية، منها ما هو معروف في حضارتنا، وإن لم يستعمله النحاة في تحليلهم الكلام العربي. وأهمّ شيء في هذا الصدد هو استعمال المحدثين لمصطلحات الصامت في مقابل (consonant)، والصائت أو المصوّت في مقابل (vowel)، والصائت الطويل والصائت القصير، وما يلحق

(٥) الخليل، كتاب العين، ١/ ٥٧، والأزهري، تهذيب اللغة، ١/ ٤٨-٥٠، وكتابي أصالة علم الأصوات عند الخليل، ص٣٠ وما يليها.

(٦) تهذيب اللغة، ١/ ٥١. والكلام مرويّ عن الخليل من غير طريق الليث.

(٧) الكتاب، ٤/ ٢٤١-٢٤٢.

(٨) كتابي: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ص١٦٠ وما يليها.

بذلك كنظام الصوائت ومثلّث الصوائت وإطالة الصائت، ونحو ذلك ممّا نقل من اللغات الأجنبية. ومعروف لدينا أنّ الترجمة التي اتسعت في القرن الثالث للهجرة ولّدت مصطلحات جديدة ظهرت لدى الحكماء كالكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم[٩]. فالكندي (ت٢٦٠هـ) ذكر أحرف الصوت والحروف المصوّتة، والمصوّتة العظام أو الكبرى كالألف والواو والياء، والمصوّتة الصغرى، وهي واو صغيرة وألف صغيرة (وياء صغيرة)، وهذه المصوّتات الصغار لم تظهر في الخطّ العربي لصغرها، كما يقول. أما الحروف الأخرى فغير مصوّتة أو خرس[١٠]. وكذلك الشأن لدى الفارابي (ت٣٣٩هـ) في كتابه الموسيقا الكبير، إذ استعمل المصوّت وغير المصوّت، والمصوّت الطويل والمصوّت القصير، وهو الذي يسمّيه العرب الحركات، وغير ذلك[١١]. أما ابن سينا فيستعمل الصامت والمصوّت والمصوّتة الكبرى والصغرى، مع شروح دقيقة[١٢]. فهذه المصطلحات ليست جديدة، والجديد أنها أُخذت في هذا العصر من اللغات الأوربية الحديثة، وهي في الأصل يونانية عرفها العرب قديماً بعد أن تمّ لهم وصف لغتهم، واستخراج قواعدها، وفهم أنظمتها. وليس غريباً أن يشرع المستشرقون في استعمال هذه المصطلحات؛ لأنها تعبّر عن مفاهيم موروثة تبنّتها اللسانيات، وبثّتها في دراساتها. وربّما كان (برجشتراسر) أول من استعمل الصامت والصائت في محاضراته التي نشرت بعنوان «**التطور النحوي للغة العربية**»[١٣]. وذكر عبد الصبور شاهين عن المستشرق (هنري

(٩) عبد السلام المسدّي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص٢٥٤ وما يليها.

(١٠) محمد مراياتي ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ١/ ٢١٥-٢٣٠، ٢٣٦-٢٥٦.

(١١) الفارابي، كتاب الموسيقا الكبير، ص١٠٧٢-١٠٧٥، ١٠٩٧-١٠٩٨، ١١١٤-١١١٧.

(١٢) ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٨٤، ١٢٤.

(١٣) ألقاها بالعربية، ونشرت عام ١٩٢٩م.

فليش) أنه لاحظ تداخلاً واختلاطاً في مفاهيم القدامى؛ ولذلك اختار مصطلح مصوّت وصامت. وعرف أنهما مذكوران قديماً لدى ابن النديم (ت بحدود ٤٠٠هـ) في «الفهرست»، والتهانوي (كان حيًّا ١١٥٨هـ) في كتابه «كشّاف اصطلاحات الفنون»، وغيرهما. بل لقد ورد مصطلح المصوّت - كما يقول شاهين - لدى ابن جني، مع أنّ فهمه لهذا المصطلح بعيد عن الفهم الحديث(١٤). لكنّ هذا النحو من (فليش) مخالف لما لاحظه في كتابه المذكور، إذ يقول: «هذه العربية لغة صعبة، وتكمن إحدى صعوباتها - إن لم تكن أكبرها - من حيث كانت قائمة على نموذج لغوي خاصّ مختلف تمام الاختلاف عن ذلك النموذج الذي قامت على أساسه اللغات الأوربية». وكذلك يقول: «إنّ الكلمة العربية ينبغي أن تُحلَّل تبعاً للنظام الذي أنتجها..»(١٥). بل إنه يصل إلى القول: «بحيث لا نجد من أنفسنا ميلاً إلى أن نركّب النظام الفرنسي للفعل على النظام العربي، فيؤدّي به ذلك إلى ألا نفهم منه شيئاً». وينتهي (فليش) إلى نتيجة مهمّة هي «أنّ هذا النظام بدلاً من أن نبدّده ينبغي أن نسدّده»(١٦). لكنّ ما اقترحه (فليش) وفسّره شاهين اتّخذ سبيلاً إلى اصطناع بناء لغوي جديد يحلّ محلّ علوم اللغة عندنا. وهكذا تخلّى معظم الدارسين المحدثين عن مصطلحاتنا، وأقبلوا على استعمال مصطلح «الصامت» وفق المفهوم الجديد(١٧)، على حين استعمل آخرون مصطلح

(١٤) فليش، العربية الفصحى، تعريب عبد الصبور شاهين، ص١٧-٢٠، من مقدمة المعرّب، وكلام ابن جني في الخصائص، ٣/ ١٢٤.

(١٥) فليش، ص٣١، ١٩١.

(١٦) السابق، ص١٣٧. ويذكر أنّ كتاب فليش المذكور نشر في الفرنسية عام ١٩٥٦م وترجم إلى العربية ونشر عام ١٩٦٦.

(١٧) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص١٩٥، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص١٠٢، والتطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص٩٤-٩٨. وعبد =

«الصحيح» و«الساكن» و«الحبيس»[١٨]. أما ما يتصل بالمصطلح الآخر، أي: «المصوّت» فقد عُبّر عنه بمصطلحات كثيرة، نحو: «اللين»، و«العلة»، و«الصائت»، و«الحركة الطويلة»، و«الحركة القصيرة»، و«الطليق»، و«المدّ»[١٩]. ويطول بنا المقام لو رحنا نتقصّى مصطلحات أو استعمالات أخرى. على أنّ ما قدّمنا من أمثلة كافٍ للدلالة على هذا السعي التغريبي الذي أفضى إلى الفوضى والبلبلة.

وتحتاج هذه المصطلحات التي شغلت الدارسين بين مؤيد ومعارض إلى تحليل علمي في ضوء المصطلحات العربية التي اعتمدها النحاة القدامى

= الصبور شاهين، في علم اللغة العام ص١٠٧-١٠٨، والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص٤٠-٤٢، وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص١٤١-١٤٣. وغير هؤلاء كثير.

(١٨) انظر في استعمال «الصحيح»: تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، ص١٦٤-١٦٦، ص١٧٤، ١٧٨، واللغة العربية معناها ومبناها، ص٦٩-٧٣. ويكاد ينفرد تمام حسان باستعمال المصطلح العربي «الصحيح»، و«العلة» و«المدّ» و«الحركة» . أما «الساكن» فيرد لدى إبراهيم أنيس، في الأصوات اللغوية، ص٢٦-٤٢، ١٦٤. وعبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، ص١٤٤، وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٠١، وسلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص١٣٣. أما مصطلح «الحبيس» فيرد لدى محمد الأنطاكي في كتابه الوجيز في فقه اللغة، ص٢٥١ وما يليها.

(١٩) أنيس، الأصوات اللغوية «اللين»، ص٢٦-٤٢، ١٦٤، وتمام حسان «العلة» في مناهج البحث، ص١٦٤-١٦٦، وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٢٩٩- ٣٠١، وبسام بركة «صائت طويل وقصير» في كتابه علم الأصوات العام، ص١٤١-١٤٣. وفي «حركة» و«مدّ» تمام حسان، في اللغة العربية معناها ومبناها، ص٦٩-٧٣. وفي «حركة طويلة» و«حركة قصيرة»، رمضان عبدالتواب، في كتبه: فصول في فقه العربية، ص١٩٥، والمدخل إلى علم اللغة، ص١٠٢، والتطور اللغوي، ص٩٤-٩٨. وانظر في المصطلحين الأخيرين، عبدالرحمن أيوب في أصوات اللغة، ص١٤٤، وعبد الصبور شاهين في كتابيه: في علم اللغة العام، ص١٠٧-١٠٨، والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص٤٠-٤٢، وسلمان العاني في كتابه التشكيل الصوتي للغة العربية، ص١٣٣. أما مصطلح «الطليق» فيستعمله محمد الأنطاكي في كتابه: الوجيز في فقه اللغة، ص٢٥٨.

في وصف اللغة العربية، ولا سيّما ما يتصل بالجانب التشكيلي. فالحروف عندنا من حيث الوصف الصوتي الإفرادي هي صحاح وعلل وحركات. والعلل، إما حروف مدّ ولين، وإما حروف لين. ولكلٍّ أحكامٌ في درج الكلام قد تختلف عن أوصافها، وهي مفردة معزولة عن التركيب أو السياق النطقي المتصل. آية ذلك أنّ ما يتركّب من الكلام العربي يوصف بأنّه متحرّك أو ساكن. والمتحرّك حرف صحيح دخلته الحركة (والواو والياء المتحركتان كذلك). أما ماعدا ذلك فهو حرف صحيح، أو حرف مدّ، أو حرف لين من غير حركة، أي: ما يُعادل في ميزان الصرف والعروض بالسكون. فإذا أُريد درس جديد بغير هذه المصطلحات، فإنّه لا يفي بما هو مطلوب، بل سيقود ذلك إلى نتائج غريبة. فالدارسون المحدثون لا يريدون استعمال المصطلحات العربية أصلاً، ويحاولون لَيّ أعناق الظواهر المدروسة لتدخل في مصطلحاتهم الجديدة، مع ما اعتراها من غموض، أو اجتزاء لا يخلو من انتقاص. ومن هذا النحو أنكر بعضهم التقاء الساكنين في العربية، وأجهد نفسه في تفسير ذلك تفسيراً مقطعيًّا دعاه بأثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية. وقد قدّم لبحثه بمقدمة صحيحة مفادها «أننا بحاجة إلى أن ننظر إلى أية لغة نودّ تعريف المقطع فيها فنولوجيًّا بمعزل عن اللغات الأخرى». ثم درس ما سمّاه بالمقطع المرفوض الذي قوامه التقاء حرف المد بالساكن بعده داخل الكلمة في الوقف، نحو (بابْ)، أو نحو (شابّة)، وما يماثلها. وعرض لعدد كبير من الأمثلة مع شروح مستفيضة هدفها نفي التقاء الساكنين على طريقة بعض المستشرقين ومن شايعهم. وكلّ ما عرض له هذا الباحث يحيى قاسم، معروف مكرور في مصادرنا، لكنّ الجديد فيه هو تجنّب المصطلحات العربية، والفرار إلى التحليل المقطعي الذي لا يقوى على

منافسة التحليل الحركي الذي أبدعه النحاة العرب[٢٠].

ويفضي هذا النحو من الدرس إلى تناول مفهوم «المدّ» لدى دارسي الفونولوجيا عندنا. وربّما كان إبراهيم أنيس أول من شرع للدارسين انتقاد المفهوم العربي للمدّ. فالحرف الذي يسبق المدّ عنده محرّك بالمدّ نفسه، ولا وجود للحركة القصيرة، لأنها وَهْمٌ جاء من أثر الكتابة؛ « فالقدامى ضلّوا الطريق السويّ حين ظنّوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المدّ.. والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في (كتاب) محرّكة بألف المدّ وحدها.. ويظهر أنّ الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في (كتَاب) جعلت القدماء يتوهّمون وجود حركات قصيرة في هذه المواضع»[٢١]. وكأنّ التحليل اللغوي مبنيٌّ على الكتابة أصلاً، أو عليها وحدها. وهذا ما كرّره عبد الصبور شاهين، وأشار إلى أنّ (فليش) اعتمده في نقد المصطلحات العربية. بل إنّ شاهين ادّعى وجود مشكلة للكتابة العربية أدّت إلى اعتبار الحركة غير مستقلة عن الحرف الذي تدخله، وأنها تسبق حروف المدّ، ولا يمكن النطق بها منفصلة عن الحرف الصامت[٢٢]. ونقول: هذه دعوى متهافتة، وقد أكد ابن جنّي أنّ التحليل اللغوي مبنيّ على المشافهة، وأنّ النطق يسبق الكتابة،

(٢٠) انظر البحث المشار إليه، وهو بعنوان «أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية» في مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (١١)، العدد الثاني لعام ١٩٩٣، الصادرة عن جامعة اليرموك بإربد، ص١٤٩-١٧٨.

(٢١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٣٩.

(٢٢) فليش، العربية الفصحى، ص١٨ (من مقدمة المعرّب)، ولفليش، «التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب لابن جني»، ص ٦٣ ترجمة عبدالصبور شاهين، مجلة مجمع القاهرة، المجلد (٢٣) لعام ١٩٦٨. ولشاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٣٤-٣٥.

وعليه المعوّل[٢٣]. ومعروف ومطّرد في علومنا أن معتمد العربية المشافهة في النقل والتحليل حتى القرن الرابع للهجرة. وأساس العربية القرآن الذي لا يؤخذ إلا مشافهة سماعاً وعرضاً في حلقات القرّاء واللغويين، وكذلك نقل الشعر وروايته. فالعربية لم تعتمد على الوثائق والمخطوطات في التحليل اللغوي بحال من الأحوال، بل كانت وما زالت صورتها النطقية متداولة سماعاً في القراءات القرآنية، وهي حالة فريدة بين لغات العالم. وكذلك استغرب شاهين متأثّراً بما عرفه من آراء (فليش) أن يكون حرف المدّ ساكناً لدى النحاة القدامى، وهو عنده (حركة طويلة) أو(ضمّة طويلة)، إذ «لا يصحّ أن يقال: إنها مبنيّة على السكون، فالحركة لا يمكن تصوّر خلوّها في ذاتها منها»[٢٤]؛ و«على هذا ينبغي أن نعتبر أصوات المدّ حركات، لا حروفاً صامتة أو معتلّة ساكنة، كما يرى ذلك الصرفيون والعروضيون...»[٢٥]. ويسرف شاهين في تحميل الكتابة كلّ خلل وقع فيه السلف، لكنّه يقع في الكثير من التناقض حين يقرّر أن نظام الكتابة العربية يستغني عن جزءٍ هامٍّ من الأصوات المنطوقة، وهو الحركات، وهو سلوكٌ عامٌّ في اللغات السامية[٢٦]. ثم يذكر أن توهّم وجود فتحة قبل الألف، أو ضمة قبل الواو، أو كسرة قبل الياء، ليس إلا من خداع الكتابة، وأنّ القدماء وقعوا في هذا الوهم وانخدعوا به منذ أن استعملت الكتابة العربية رموز الضبط الإضافية على عهد الحجاج الثقفي، ومضى النحاة

(٢٣) ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ١/ ٤٣، ٤٤. وجاء في العمدة لابن رشيق أنّ الأوزان إنما وقعت على الكلام، والكلامُ لا محالة قبل الخطّ. العمدة، ١/ ١٣٧.

(٢٤) شاهين، المنهج الصوتي، ص١٦.

(٢٥) السابق، ص٣٢.

(٢٦) السابق، ص١٠.

والصرفيون مع الوهم يضعون قواعد مازالت تعشّش في الكتب والمناهج والأذهان[٢٧]. وما أبعد هذا الكلام عن وقائع اللغة، وحقيقة تحليلها الصوتي الذي شرعه متقدّمو النحاة وعلماء العربية والقراء واصفين نطق العرب للسانهم غير معتمدين أيّ آثار مكتوبة أساساً. بل إنّ المحافظة على النطق دفعتهم إلى إصلاح الكتابة واختراع رموز الضبط والإعجام. فالتأثير الحقيقي كان يتّجه من المشافهة إلى الكتابة التي بقيت محدودة الأثر في تلقّي اللغة حتى القرن الثالث. ولذلك شاع بين القوم تحذير مشهور هو «لا تأخذوا القرآن من مصحفيّ، ولا العلم من صحفي... وأصل هذا أنّ قوماً كانوا أخذوا العلم من الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير»[٢٨].

ورأى تمام حسّان، وهو من أكثر الدارسين فهماً واعتدالاً «أنّ الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حرف المدّ عند الكلام على التقاء الساكنين، كما في (الضالّين) و(مُدْهامّتان)، لم يقصدوا أنّ حرف المدّ مشكّل هنا بالسكون، لأنَّ المدّ والحركة لا يقبلان السكون، ولا الحركة، وإنما قصدوا شيئاً شبيهاً باعتبار العروضيين أنّ حرف المدّ يساوي من حيث الكمية الإيقاعية حركة متلوّة بسكون»[٢٩].

وتوقّف فخر الدين قباوة عند قصد عبد الصبور شاهين إنشاء منهج جديد للبنية العربية يقوم على التحليل الصوتي الحديث. واستشهد ببعض ما

---

(٢٧) السابق، ص١٨.

(٢٨) العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ١/ ١٤.

(٢٩) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٧١، ومن هذا النحو ما التقى فيه ساكنان، نحو (مستفعلان)، و(متفاعلان) لدى العروضيين، إذ فسّر التقاء الساكنين فيه بأنهم أقاموا المدّ مقام الحركة. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/ ١٤٦. وكذلك ذهب هؤلاء إلى أنّ كل وزن نقص من أتم بنائه حرف متحرّك عوّض عنه حرف المدّ واللين من ذلك الحرف، فلم يجئ إلا مردفاً بواو أو ياء أو ألف. انظر فيه ١/ ١٤٥-١٤٦.

ذهب إليه مقلّداً (هنري فليش) وغيره من المستشرقين والعرب، ويرى قباوة أنّ شاهين أكثر إيغالاً من صاحبه (فليش) في تطبيق المفاهيم الغربية على العربية؛ كإعطائه حروف المدّ العربية حكم الصوائت أو المصوّتات الأوربية من غير فرق. فالألف هي انزلاق بين فتحتين، والواو انزلاق بين ضمّتين، والياء انزلاق بين كسرتين. ففي (قَول) أسقطوا الواو لاختلاف الحركات واتصلت الفتحتان وشكلتا الألف، فصارت الكلمة «قال»، ووزنها (فال). ورأى قباوة أنّ الزعم بأنّ المدّ يتألف من حركتين معروف قبل شاهين، فقد ورد لدى (بروكلمان) و(برجشتراسر) وإبراهيم أنيس. وينتهي قباوة إلى أنه من المحال اجتماع حركتين معاً في موضع واحد لتشكيل المدّ، كذلك لا يجتمع مدّان بحال من الأحوال؛ والقياس الذي أجراه هؤلاء بين المدود في العربية، والمصوّتات الأجنبية، قياس مع الفارق(٣٠).

وواضح ممّا تقدّم أنّ الإنكار منصبّ على طبيعة المدّ في العربية، إذ لم يقبل معظم الذين ذكرناهم بالتحليل العربي المستند إلى الإدراج، وتواصل الكلام. ولذلك بات ضروريًّا فهم توالي الحركة والمدّ، لأنّ الحركة دخلت الحرف الساكن فتحرّك بها، ثمّ مُدّت الحركة زمناً في النطق، وتولّد منها ما ندعوه بحرف المدّ، وهو حقيقة فيزيائية مبدؤها الحركة السابقة المتصاعدة الممتدّة، ونهايتها التلاشي فالسكون. ولذلك فهم القدامى هذا الترابط والتسلسل بين الحركة والمدّ. وليس أدلّ على هذا التحليل من أنّ الحركة ترد مع الحرف المتحرّك بها وحدها إن لم تمدّ، نحو (كَتَبَ)، فالكاف مفتوحة والتاء مفتوحة، ولا شكّ في أنّ هذين الحرفين عندنا متحرّكان. لكنّ

(٣٠) فخر الدين قباوة، إشكاليات في البحث والنقد النحويين، ص٣٦-٤٤. وقارن بشاهين، المنهج الصوتي، ص٣٠-٣٢.

صورة المدّ ستنشأ حين تغدو (كاتب)، فكيف ينكر هؤلاء وجود الفتحة – أو الحركة عموماً – قبل المدّ، في النطق حقيقة قبل الكتابة. ثم إنّ الحركة تبقى إن حذفنا المدّ، ولا يمكن له أن يبقى من غير حركة تسبقه هي سبب وجوده أصلاً، فنقول: (يقُوم). فالضمة التي ترسم خطًّا على القاف، وتمدّ لتولّد من ذلك «الواو» قابلة للاحتفاظ بنفسها وترك المدّ، فنقول: (لم يَقُمْ). فالضمة حقيقة صوتية، وليست أثراً للكتابة بحال من الأحوال. ومن الوجهة الصوتية الخالصة كان لدى القدامى تصوّر واضح للمدّ، ووجود المطل (أي: زيادة المدّ)، وهو فعل حركي. فطبيعة المدّ إذن هي من طبيعة الحركة، لأنّه منها ويقوم مقامها[٣١].

ويبدو أنّ الخطأ تسرّب إلى معظم الذين ذكرناهم من دارسي الفونولوجيا، من إنكارهم خصائص العربية في التلفظ، وعمادها عدم الابتداء بالساكن، ومنع التقاء الساكنين، وعدم الوقف على متحرك، وإدراج الساكن إلى المتحرّك، وتوالي المتحرّكات، وتناوبها مع السكون، ونحو ذلك.

وقد أثبت الدرس المخبري للأصوات أنّ حرف المدّ لا يقبل الانفصال عن سابقه (أي: الحرف المتحرّك) كانفصال الحرفين المشدّدين أحدهما عن الآخر، نحو (قتّل)، أي: (قتْ+تَل)[٣٢]. وهذا دليل على أنّ المدّ تابع للحركة السابقة، وغير قابل للانفصال عنها صوتيًّا ما دام مدًّا.

كذلك درس عبد الرحمن الحاج صالح المدّ مستعيناً بالأجهزة الحديثة، وتبيّن أنّ حرف المدّ يتكون من عنصرين (نطقاً) هما الحركة وامتدادها. أما (المصوّت القصير)، أي: الحركة (وحدها) منطوقةً مع حرف

(٣١) يحيى أحمد، «طول الحركة في اللغة العربية وعلاقته بالبنية المقطعية»، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٩)، العدد (٣-٤) لعام ٢٠١٣، ص١٤٩-١٥٠.

(٣٢) سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص١٢٠.

صحيح فذو قسم واحد أو عنصر واحد. وطبيعة المدّ تتصف في البداية بتزايد القوة، على حين أنها تتّجه إلى التناقص فالتلاشي في النهاية. لكنّ المدّ (أي: المصوّت الطويل) أقوى من الحركة (أي: المصوت القصير) بسبب طوله. ويرى الحاج صالح أنّ الحركة ذات قوة حركية، لذلك تبدو متصاعدة، لأنها اندفاع (Impulsion)، وبذلك تتمكن من الاستمرار والانتهاء إلى المخرج الموالي. وهذه الحركة ذات الاندفاع هي التي يسمّيها الخليل «الصرف». أما حروف المدّ فليس لها صرف، لأنها مدّات تنتهي عندها الحركة وتتناقص بتدرُّجٍ تُظْهِرُهُ الاختبارات الآلية. ويخلص الحاج صالح إلى أنّ مفهوم الحركةً والسكون، وإدراج العناصر، أدقّ وأوعب من أيّ مفهوم آخر جاء عن اليونان أو فرضه المستشرقون ومن تبعهم من اللسانيين الذين لم يدخلوا مخبراً صوتيًّا في حياتهم[٣٣]. ولذلك بدأت الأجهزة الحديثة واختبارات الكلام تنقض أكثر المسلمات التي شاعت لدى الكثيرين من علماء الاستشراق وفقه اللغة واللسانيات. ويرى الحاج صالح أنّ سكون المدّ يختلف عن سكون الحرف الصحيح (الجَلْد)، لأنّ سكون المدّ متلاشٍ متدرّج متناقص، على حين أنّ سكون الحرف الجلد منتهٍ لعدم دخول الحركة فيه أصلاً[٣٤]. والحقيقة أنّ المدّ ليس ساكناً البتة، إنما «نهاية» المدّ هي الساكنة. والدليل على ذلك أن المدّ قابل للاستئناف، أي: للتحرّك بقوة الاعتماد- كما ذكر ابن جني-[٣٥]، أما السكون الذي تعبّر عنه الكتابة،

(٣٣) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ٢/ ١٨٧-١٩٨ (بتصرف).

(٣٤) السابق، ٢/ ١٨٧، الحاشية رقم ٣٣.

(٣٥) ابن جني، الخصائص، ١/ ٩٢، ٣/ ١٢٤-١٢٦، ٢٢٠. أقول: ينبغي إزالة وهم أنّ القدامى عدّوا المدّ ساكناً، فالمدّ تحرّك من غير شكّ، لكنهم فسّروا (نهاية) المدّ، وكأنها المدّ نفسه، فنهاية المدّ ساكنة طبيعة، والتحليل اللغوي يستند إلى التلفظ أصلاً.

فهو علامة على انقطاع الحركة وتلاشيها، وعدم القدرة على الاتصال بما يلي، لأنّ هذه الحالة أشبه ما تكون بالوقف. ويوضّح التسلسل التالي المفهوم الكلّي للمدّ:

حرف صحيح/ حركة ← مدّ للحركة ← انتهاء متدرّج وتلاش (سكون)

ومن المصطلحات الدخيلة على الدرس العربي في هذا السياق مصطلح الفونيم (phoneme). وقد ظهر هذا المصطلح مع روّاد الفونولوجيا، وترجم عندنا إلى وحدة صوتية، ولافظ، وصوت مجرّد، وصوتية، وصوت، ومستصوت، وصوتون؛ وعرّب إلى صوتيم وصوتم وفونيم وفونيمية[٣٦]. أما الألفون (Allophone) فمصطلح آخر يرتبط بما تقدّم. فهو كالفرع له، أو الشكل الخاصّ الواحد أو المتعدّد للفونيم نفسه. وعُرف الألفون في درسنا بمصطلحات متعدّدة كذلك، نحو صوتم تعاملي ومتغيّر صوتي وبدصوتية (نحتاً من بديلة صوتية) وصويتون وصورة صوتية[٣٧]. والفونيم في أوجز تعريف له هو «أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني». أما الأُلْفون فهو «عنصر من عناصر الفونيم تغييره لا يغيّر المعنى»[٣٨].

ويشار إلى أنّ الفونيم والأُلْفون من أكثر المصطلحات عرضة للاختلاف - وقد كُتبت في هذا الصدد كتب مستقلة وبحوث كثيرة[٣٩] - لكنّ جدواهما في التطبيق ليست واضحة، مع أنهما صارا جزءاً من منظومة

(٣٦)كتابي مبادئ اللسانيات، ص٩٨. وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص١٦٥، الحاشية رقم (١).

(٣٧)مبادئ اللسانيات، ص١٠٥.

(٣٨)السابق، ص١٠٤-١٠٥.

(٣٩)انظر على سبيل المثال، عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص١١٥-١٣٨؛ وقارن بأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص١٦٥، وما يليها.

الفونولوجيا المستعارة. وينبغي أن نشير إلى أنّ مصطلح الفونيم قريب الدلالة من مصطلح الحرف عندنا. على أنّ تمام حسّان ارتأى أنّ الحرف – بحسب مفهومه الجديد – ليس صوتاً منطوقاً، ولا رمزاً مكتوباً، بل هو تقسيم ذهني يشبه مصطلح (الباب) لدى النحاة؛ أما المنطوق فصوت، وأما المكتوب فشكل أو رمز(٤٠). ومع أنّ تمام حسّان يتأتى ليتوافق المصطلح العربي (الحرف) مع المضامين الجديدة، فإنّ معظم الدارسين نفروا من هذا المصطلح، وادعوا أنّ فيه خلطاً بين الصوت المسموع والرمز المكتوب. والحقّ أنّ علماءنا القدامى لم يخلطوا بين الكلام والخطّ، إذ كان لديهم من الدقّة في التعبير والسعة في الاصطلاح ما جعل استعمالهم للمصطلحات واضحاً وضوحاً لا لبس فيه. أضف إلى ذلك أنّ تخصيص المصطلح بالوصف أمر شائع، وعلى ذلك قالوا: حرف منطوق أو مكتوب؛ كما قالوا: حروف خطية، وحروف لفظية، وحروف فكرية، وغير ذلك(٤١). وينطبق هذا النحو على الكثير من المصطلحات التي تستعمل في مجالات متعدّدة، إذ يتكفل السياق المعرفي بتحديد المقصود وتعيينه تماماً.

ومهما قدّم دارسو الفونولوجيا بين يدي أعمالهم من مسوّغات لاعتماد المصطلح الأجنبي، فإنّ الأجدى هو الاعتراف « بأنّ نظرية الفونيم – بتشعّباتها – قد وضعت لتلائم طبيعة النظام اللغوي اللاتيني أصلاً

(٤٠) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص١٢٠، ومناهج البحث في اللغة، ص١٥٧-١٦٣، واللغة العربية معناها ومبناها، ص٧٤.

(٤١) انظر كتابي: مبادئ اللسانيات، ص١٠٧. ويشار إلى أن أرتور شاده في بحثه عن علم الأصوات عند سيبويه ذكر استعمال سيبويه للحرف بمعنى المنطوق المسموع، ولعلامته المخطوطة المرئية بلفظ واحد. وبحثه بمراجعة صبيح التميمي. (النشرة الأولى بالعربية ١٩٣١).

وخصائصه، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن نعتبرها عالمية، وأن نطبّقها بالتالي على جميع الأنظمة اللغوية»[٤٢].

ومن المعروف في علومنا بالضرورة أنّ التحليل اللغوي انطلق لدى المتقدّمين من تحديد المجموعة الصوتية العربية، أي: حروف العربية الأصول التي يبنى منها الكلام العربي. أما الفروع فهي حروف ليست أصولاً، إذ لا تغيّر من المعنى شيئاً، وهي ناتجة من السياق اللفظي أو العادات اللهجية أو الرطانات الأعجمية. وهذا المفهوم مطرد لدى علماء العربية، مع شروح وافية لمفهوم الحرف والصوت واللهجة، ونحو ذلك من ظواهر صوتية. فالاختلاف بين مفهوم «الحرف» عندنا، وما يقابله كالفونيم كبير، ولا حاجة إلى التوفيق بينهما. فالحرف في التحليل العربي (ساكن) أصلاً، أي: من غير حركة ما، ومنه تتشكّل أصول الكَلِم (المقطّعة) التي تقبل التقاليب، أي: تقديم حرف على حرف، فيتولّد من ذلك جمّ غفير من الأصول (الساكنة)، فإذا وضعت في الصيغ المنطوقة مع الحركات تولّد منها ما قد يندّ عن الحصر من الكلمات.

ويقود هذا الأساس إلى ما عُبّر عنه (بالجذر)، وهو مخالف تماماً لأيّ مفهوم مماثل له في اللغات الأجنبية. (فدو سوسير) أبو اللسانيات لاحظ أنّ اللغات السامية تعبّر عن المعنى الحسي عن طريق الجذور المؤلفة من (الصوامت)[٤٣]. و(روبنز) أكّد الاهتمام بمعرفة الجذر المجرّد بوصفه صورة ثابتة تقوم عليها مجموعة الصيغ الصرفية؛ إذ قادت دراسة العربية وغيرها من اللغات المدعوّة بالسامية إلى تعرّف أوربا هذه المفاهيم

(٤٢) محمد لطفي الزليطني، «ظاهرة الحرف عند اللغويين العرب القدماء»، مجلة المعجمية، العدد الثاني لعام ١٩٨٦، تونس، ص٥٥.

(٤٣) دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص٢٧٩-٢٨٠.

الجديدة[٤٤]. كذلك استنتج (فليش) هذه الخاصية في العربية، ورأى أنّ «النظام العربي على نقيض الفرنسية تماماً، لأنه يستخدم أصلاً (Racine)، لا جزءاً ثابتاً (Radical)، والأصل مكوّن من صوامت فحسب تتصل بمجموعها فكرة عامة أقلّ أو أكثر تحديداً. ويتمّ تحويل هذه الفكرة إلى الواقع في كلمات مستقلة بوساطة المصوّتات التي توضع داخل الأصل.. فاللغة العربية تبدأ من الأصل، وهو الهيكل الصامتي الذي يشكّل بنيات مختلفة بإدخال المصوّتات. وهكذا نرى الأهمية الأساسية للمصوّتات في العربية، إذ إنّ لها دوراً بنائيًّا. أما في الفرنسية فلا معنى للمصوّتات الطويلة...»[٤٥].

ومن المؤكد أنّ الخليل بن أحمد هو صاحب هذه النظرية التي اهتدى إليها بحسّه وجماع سماعه واستقرائه كلام العرب، وإعماله الفكر في أبنيتها وصيغها، وخصائص حروفها وحركاتها. والتقاليب التي ابتكرها تدلّ على إمكانات كبيرة جدًّا لتوليد الأصول (الساكنة). أما ما فوق المادة الأصلية وقسمتها أو تقاليبها فمردود إلى الوزن والبناء والمثال، والنتيجة هي ناتج الجداء (الديكارتي)، كما يسمّى في الرياضيات[٤٦]. وقد أدى هذا إلى بيان ما تحتمله الأبنية حين تدخل عليها الحركات؛ فالثلاثي مثلاً يحتمل اثني عشر وزناً، والرباعي ثمانية وأربعين وزناً، والخماسي مئة واثنين وتسعين وزناً في الأسماء مثلاً. وكذلك الشأن في الأفعال، إذ تحتمل أبنية كثيرة جداً أُهمل معظمها للاستثقال[٤٧]. أما المزيد على أصول الأسماء والأفعال، وما

(٤٤) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص١٦٩، ١٧٢، ٢٤٢، وقارن ببحوث ودراسات في اللسانيات العربية للحاج صالح، ٢/ ٢٧٧.

(٤٥) فليش، العربية الفصحى، ص٥٢-٥٥.

(٤٦) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ٢/ ٤٨.

(٤٧) ابن جني، الخصائص، ١/ ٦٤-٦٩. وقارن بشرح الشافية للأستراباذي، ١/ ٣٥-٣٦.

يحتمله من الأبنية، فيبلغ المئات. ثم إنّ إدخال أنواع المشتقات وتصريفها مع الأصول يوصل إلى ما يتجاوز الملايين من الكلمات المحتملة للاستعمال إن دعت الحاجة إليها(٤٨). وكلّ ما تقدم لا وجود له في اللغات الأجنبية، فلا معنى لترك هذه المنجزات العلمية الرصينة، والتعلّق بما لا يجدي، ولا يفتح للعربية مثل هذه الآفاق العجيبة.

١- التراكيب المقطعية وخصائصها:

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الفونولوجيا تدرس أصوات لغة معيّنة، وهي مركّبة، وصولاً إلى خصائصها، وسلوكها في التراكيب، وما يعتريها من تغيّر. ولذلك كان روّاد الدرس الفونولوجي مهتمّين بوصف المقاطع وتطبيقها على اللغات، مع شيء ليس يسيراً من إهمال الفروق. وبحث المقطع عندنا ليس وليد اللسانيات، فالقدامى - ولا سيما الحكماء - عرفوا المقطع ووصفوا أجزاءه نقلاً عن اليونانية، بل إنّ الفارابي وازن بين المقاطع وأجزاء التفاعيل العروضية كالأسباب والأوتاد والفواصل، واقترح أشكالاً أخرى بحسب فهمه الموسيقا. والفارابي في كلّ ما تقدّم يتلطّف، وهو جارٍ في مجرى الموازنة بين العربية وغيرها، وكذلك بين العروض والموسيقا(٤٩). والنتيجة هي أنّ الفارابي متفهّم للبناء التشكيلي للعربية، إذ اهتمّ بمفهوم المتحرّك والساكن، وما يتبع ذلك؛ «فقد وضح أنّ الموسيقا والشعر يرجعان إلى جنس واحد، هو التأليف والوزن والمناسبة بين الحركة والسكون»(٥٠).

(٤٨) فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، ص٦٤-٦٥، ٨٧، وانظر كتابه: ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان، ص٩٨-٩٩، ١٠٢-١٠٥.

(٤٩) الفارابي، كتاب الموسيقا الكبير، ص١٠٧٦-١٠٧٩، وقارن بكتابي: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ص١٠١-١٠٢.

(٥٠) بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ص١٠٣.

وليس الفارابي وحده هو الذي عرف المقطع المترجم أساساً عن اليونانية، فقد ألمّ به ومثّل له ابن سينا (ت٤٢٨هـ)، وابن رشد (ت٥٩٥هـ)، وعلماء آخرون من طوائف شتى[٥١]. ولأجل ما تقدّم نردّ ادعاء جهل العرب بالمقطع وفهمه على أيّ نحو من الأنحاء. لكنّ المؤكد أنّ النحاة أعرضوا عن استعمال المقطع في التحليل اللغوي، لأنهم أنجزوا تحليلهم في مراحل متقدّمة على الترجمة وظهور أثرها. ومن هنا ينبغي التنبيه على أنّ هذا الإعراض لم يترتّب عليه أيّ نقص ملحوظ في دراسة العربية وفهم أنظمتها لدى القدامى[٥٢].

وليس المقطع وفق ما جاء به دارسو اللسانيات هو المعبّر حتماً عن تراكيب الأصوات في العربية، لأنه مشتقّ من مفهومات غربية، قوامها الصامت والصائت أو المصوّت. أضف إلى ذلك أنّه لا يوافق خصائص التلفظ العربية تماماً. وقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ جمهرة الدارسين المحدثين اعتمدوا المقطع أساساً في تحليل الفونولوجيا العربية، وهجروا المصطلحات العربية وما تدلّ عليه من مفاهيم خاصّة. على أنّ بعضهم نسب خصائص العربية المستخلصة من توالي المتحرّك والساكن إلى المقطع من غير تدقيق في أنّ نسبة هذه النتائج إلى المقطع تفضي إلى تعميم ساذج مبعثه عدم تسمية الأمور بأسمائها. كذلك فإنّ استعمال مصطلحات عربية كالصحيح والمعتل والحركة واللين لا تقوى على جعل المقطع مقبولاً في التحليل اللغوي، لاختلاف المفاهيم من حيث الأصل.

ويمكن أن يُعدّ إبراهيم أنيس أول من تحدّث من الدارسين الجدد الذين تلقوا اللسانيات – أي: علم اللغة كما يُدعى في مصر– عن المقطع، إلى

(٥١) عبد السلام المسدّي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص٢٦٠-٢٦٤.

(٥٢) انظر كتابي: مبادئ اللسانيات، ص١١٥-١١٦.

جانب مسائل فونولوجية متعدّدة، أشرنا إلى بعضها فيما تقدّم. وقد ذكر أنيس رغبته في أن ينسب كتابه «الأصوات اللغوية» إلى فرع الفونولوجي. لكنّ مضمون الكتاب أوسع من مسائل الفونولوجيا، بل لقد ضمّنه دراسات من اللسانيات التطبيقية والتربوية(٥٣). وانتهى (أنيس) إلى أنّ المقاطع في العربية خمسة، **هي بحسب مصطلحاته:**

أ- صوت ساكن + صوت لين طويل، نحو (في).

ب- صوت ساكن + صوت لين قصير، نحو (بَ).

ج- صوت ساكن + صوت لين قصير+ صوت ساكن، نحو (مِنْ).

د- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن، نحو(بابْ).

هـ- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان، نحو (عَبْد).

وقدّم ملحوظات حول تشكيل هذه المقاطع في الكلمات العربية. وقرّر أنّ المقاطع الأولى هي أكثر المقاطع دوراناً في الكلام العربي، وأنّ النحاة أشاروا إلى عدم توالي أربعة متحركات (أي: مقاطع من النوع الثاني عنده) في الكلمة الواحدة، وكراهة ذلك فيما هو زائد على الأصل. وذكر أشياء مستكرهة في البنية المقطعية العربية(٥٤). وتابع أنيس دراسة بعض مسائل التشكيل كالنبر وموسيقا الكلام، وانتقال النبر، والمماثلة، والمخالفة، والتطوّر التاريخي للأصوات.

ودرس تمام حسان المقطع في كتابيه «مناهج البحث في اللغة» و«اللغة العربية معناها ومبناها»، وذكر المقاطع المماثلة لما سبق به إبراهيم أنيس، مع استعمال مصطلحات أخرى كنا قد ذكرناها سابقاً؛ وأضاف مقطعاً جديداً غريباً

(٥٣) أنيس، الأصوات اللغوية، ص٤.

(٥٤) السابق، ص١٦٤-١٧٠.

على البنية العربية، هو (ع ص)، أي: حركة وحرف صحيح، ويحدث – كما يرى – حين تحذف همزة الوصل وحدها، وتبقى الحركة مع الساكن التالي[٥٥]. وهذا من باب التكلّف من غير شك. ويظهر ذلك إذا عرفنا أن بداية المقطع في العربية لا بدّ أن تكون حرفاً صحيحاً أو كالصحيح، ولا يمكن أن يبدأ بحركة أو حرف مدّ البتة. وبداية المقطع هي التي يعوّل عليها، أما سقوط همزة الوصل في الدرج فلا تولّد المقطع المذكور، بل تحوّل البناء إلى ما هو مطّرد عندنا، وهو حرف صحيح وحركة وحرف صحيح ساكن. فعندما نقول: (المعلم) نبدأ بهمزة مع حركة ثم لام ساكنة، وهذا تشكيل أو تركيب مقطعي مقبول في العربية. وحين تسقط الهمزة في درج الكلام يعوّض عن الحرف الصحيح (أي: الهمزة) بحرف آخر. فنقول: بيتُ المعلم، فننطق (بَيْـ – تُلْ– مُعَلْ– لِمِيْ)، وهذا التقطيع لا تأباه العربية مادامت العناصر مدرجة، وتنتهي الأجزاء بالسكون. لكنّ تمام حسان عبّر عن هذا المقطع المخترع في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» برمز آخر هو (ص) فقط، أي: حرف صحيح كلام التعريف وسين الاستفعال، وهو ساكن متلوّ بحرف متحرّك[٥٦]. وكأنه عدّل كلامه السابق إلى ما هو أعقد منه. فلام التعريف (اللام وحدها) ساكنة، ولذلك تسبق بهمزة متحرّكة، فتشكل مقطعاً مقبولاً. أما في حال الدرج فتتحوّل إلى ما ذكرناه آنفاً، وهو شكل من الوصل، وتغيير في المقاطع لسيرورة الكلام. ولذلك فإنّ هذا المقطع المؤلّف من حرف صحيح وحده لا وجود له. فلام التعريف حرف ساكن دوماً يسبقه حرف متحرّك، سواء أكان همزة الوصل أم

(٥٥) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص١٧٤–١٧٨.

(٥٦) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٦٩–٧٣، وبسام بركة، علم الأصوات العام، ص١٤٣. وعبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ص١٠٣–١٠٦.

غيرها من عناصر الكلام المتقدّم. لكنّ إضافة تمام حسّان لم تَلْقَ متابعة من دارسي الفونولوجيا، وبقيت المقاطع التي عيّنها إبراهيم أنيس معتمدة من غير تغيير إلا في المصطلحات الدالة على عناصر المقطع. غير أنّ هؤلاء اختلفوا في تعيين صفات المقاطع من حيث الطول، ومن حيث اعتبار الصائت الطويل صائتاً قصيراً مكرّراً، أو مؤلّفاً من عنصر طويل واحد.

وأضاف بعضهم مقطعاً مؤلّفاً من صامت وصائت طويل وصامت وصامت، بحسب المصطلحات الشائعة، ومثاله نحو (رادّ)(٥٧). وهذا المقطع خاص بالوقف كالمقطع الذي يبدأ بصامت وصائت قصير، وينتهي بصامت وصامت، نحو (عَبْدْ). أما المقطع الآخر المؤلّف من صامت وصائت طويل وصامت، فيجوز في الوقف، نحو (بابْ)، كما أنه جائز في داخل الكلمة إذا كان الساكن الثاني مشدّداً، نحو (دابّة)(٥٨).

وعلى هذا النحو من التكرار درس رمضان عبد التواب المقطع، واقتصر على ما ذكره أنيس، مع بعض الملحوظات المعروفة لدى النحاة(٥٩). وكذلك فعل محمد الأنطاكي وعبد الصبور شاهين(٦٠). أما (فليش) فاقتصر على المقاطع الأربعة الأولى بحسب ترتيب أنيس السابق(٦١).

(٥٧) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٠١. وسلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص١٣٣.

(٥٨) يحيى قاسم، «أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية»، أبحاث اليرموك (مرجع سابق).

(٥٩) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ١٩٥-١٩٧، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص١٠٢، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص٩٤-٩٨.

(٦٠) محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص٢٥٨-٢٦٠، وعبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص١٠٧-١٠٨، والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص٤٠-٤٢.

(٦١) فليش، العربية الفصحى، ص٤٤-٤٦. وكذلك الأمر لدى عبد العزيز حليلي في كتابه المذكور سابقاً، ص١١٣.

ولم يخرج سلمان العاني في دراسته الآلية للفونولوجيا العربية عمّا تقدّم، فقد أثبت المقاطع المعروفة، وهي الخمسة الرئيسة مع المقطع السادس المختلف فيه. وأنكر بسام بركة على أحمد مختار عمر إضافته هذا المقطع، أي: نحو (رادّ)، لأنه يرجع في الوقف إلى الشكل المعروف بالمقطع المرفوض، نحو (بابْ)، ويتلاشى التضعيف(٦٢). أما إذا أدرج فإنه يعامل كما يعامل نَحْوُ (دابّة)، أي: يثبت التضعيف وتمطل الألف من غير إسقاط عنصر من العناصر. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الدارسين اتجه نحو ما يماثل الفونولوجيا في علومنا، بل ذهب أحدهم - وهو البدراوي زهران- إلى أنّ العرب سبقوا الغربيين في هذا النوع من الدرس. وإنّ آخرين مالوا إلى توظيف المعارف العربية في هذا الصدد، وإن لم يخرجوا عن مسائل الفونولوجيا اللسانية(٦٣).

ويتبيّن بعد فحص هذه المقاطع أنّ ما ذكره تمام حسان لا أثر له في البنية المقطعية، لأنه جزء لا يقوم بنفسه. أما المقطع المؤلّف من صامت وصائت قصير - بحسب المصطلح الشائع كذلك - فهو يماثل عندنا المتحرّك. والمتحرك في التركيب العربي لا يشكل جزءاً مستقلًّا يصحّ الوقوف عليه. فالوقف لا يكون على المتحرّك بحال من الأحوال. فإن أريد له أن يشكّل

(٦٢) بسام بركة، علم الأصوات العام، ص١٤٣. ويوقف عليه بالسكون المجرّد، ويجوز التقاء ثلاثة سواكن في الوقف، أو حذف الحرف الثاني من المضعّف. وجاء في شرح الشافية للخضر اليزدي في الكلام على اجتماع السواكن في الوقف على (الدوابّ) أنّ التقاء الساكنين على حدّهما يجري مجرى التقاء متحرك وساكن، ولولا ذلك لم يكن مغتفرًا، فكأنّ المدّة حرف متحرّك. شرح الخضر اليزدي، ١/ ٥٥٤.

(٦٣) البدراوي زهران في تقديمه لكتاب التصريف الملوكي، وعبدالقادر مرعي الخليل، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، وعصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا.

مقطعاً فلا بدّ من ساكن يليه، وهو يعادل السبب الخفيف في العروض. أما الزعم بأنه يمكن الوقف عليه في مثل (كَتَبَ)، فهو وهم، لأنّ محاولة الوقف على هذا الحرف المتحرك تفضي مباشرة إلى تشكيل حرف مدّ ساكن. وهذا ما عبّر عنه الخليل، وأثبته الدرس المخبري الحديث، إذ تحوّل المقطع إلى (كا/ تا/ با)(٦٤). أما المقطع الآخر المؤلّف من صامت وصائت طويل، فله حكم مختلف في العربية، لأنه يتحوّل في الوزن إلى متحرّك وساكن، نحو (في) و(فو)، و(فا). وهذا مناقض لمفهوم الصائت الدخيل. ويظهر هذا في الميزان الصرفي، إذ توزن كلمة (نور) عندنا بـ «فُعْل»، كما توزن كلمة (قُفْل) تماماً. ولذلك يخرج من التحليل كما تبيّن. أضف أنّ فهم المقطع وفق تسلسل العناصر من غير احتساب للإدراج لا يطابق التحليل المخبري الذي أثبت أنّ عناصر الكلام ليست متجاورة، بل متداخلة، وهو موضوع ليس جديداً في الفونولوجيا الغربية(٦٥). فالمفهوم العربي للمتحرّك فريد بين اللغات الأجنبية، لأنه حرف صحيح أو كالصحيح دخلته الحركة (القصيرة) فأمكنت نطقه ودفعت به إلى المخرج التالي، فصار متحركاً، أي: شيئاً واحداً، وكلّ ما تدخله الحركة يغدو متحرّكاً وقابلاً للانتقال إلى المخرج التالي. أما ما لا يتحقّق فيه ذلك، فهو الساكن الذي ينطق بالاستعانة بما تقدّمه، ولا يليه ساكن. وحرف المدّ كذلك؛ لأنّه مبنيّ على الحركة التي يبدأ منها ويستمرّ زمناً حتى يتلاشى. ولا يجوز أن يلحقه ساكن، إذ لا قدرة له على الإدراج، ولا بدّ من متحرّك يليه، أو شبيه بذلك، كالحرف المشدّد لما فيه من تشبّث بالحركة، بحسب تعبير

(٦٤) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٣٢٠ (والكلام للخليل)، وعبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ٢/ ٢٠١.

(٦٥) انظر كتابي: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ص١٥٥-١٥٧.

القدامى. وليس المقطع الثالث المؤلّف من صامت وصائت قصير وصامت، بمرفوض، لأنه يوافق قواعد التلفظ، إذ يبدأ بمتحرّك وينتهي بساكن. ولذلك لاحظ معظم الدارسين كثرته في الكلام العربي.

وتبقى المقاطع التالية خاصة بالوقف، والعبرة ليست بالوقف، بل بالوصل كما يقول ابن جنّي(٦٦). ومع ذلك فقد عالج القدامى الوصل والوقف على حدّ سواء، وانتهوا إلى قواعد مستخلصة من ذوق العرب؛ وأبرزها في هذا الصدد الابتداء بمتحرك وليس بساكن، والوقوف على ساكن لا على متحرّك، والفِرار من التقاء الساكنين بأيّ طريقة كانت، كالحذف أو التحريك أو مطل المدّ، وكلّ ذلك مستفيض في درسنا. فلا حاجة لنا إذن إلى أيّ بنية مقطعية غريبة لنفسّر على أساسها الظواهر العربية. وهذه المقاطع الثلاثة – وأمثلتها ليست كثيرة – متحوّلة، ولا تكوّن خطورة على التحليل العربي، مادام الوقف عليها بالسكون، وهو نهاية المقطع المحتومة في العربية. فالمقطع المؤلّف من: صامت وصائت طويل وصامت، نحو (بابْ) جائز في الوقف مع معالجات صوتية دقيقة، وكذلك نحو (شابّة). والمقطع المؤلف من: صامت وصائت قصير وصامت وصامت، لا يرد إلا في الوقف، نحو (سَعْدْ)، وله كذلك معالجات وتفسيرات في المصادر العربية. والمقطع المؤلّف من: صامت وصائت طويل وصامت وصامت، نحو(شابّ)، له كذلك ما يفسّره في قواعدنا المفصّلة التي عزّ نظيرها في اللغات الأخرى.

وهكذا يتضح أنّ ما ملأ الدنيا وشغل الناس لا يوافق العربية بحال، أما البديل العربي لذلك كلّه فمبثوث في بطون الكتب العربية، ولا سيّما كتب الصرف التي وظّفت الظواهر الصوتية توظيفاً واسعاً وعميقاً. ولذلك نردّ

(٦٦) ابن جني، الخصائص، ٢/ ٣٣١.

اتهام عبد الصبور شاهين للقدامى بأنهم لم يُعْنَوْا بالمنهج الصوتي للصرف العربي[٦٧]. بل على العكس من ذلك سبقوا الغربيين في اكتشاف قواعد التأثر والإدراج والإدغام والإعلال، ممّا لا أثر له لدى هؤلاء على هذا النحو حتى الآن. وربّما كان مفيداً أن نشير إلى أهمّ المسائل التي تعبّر عن خصائص التشكيل العربي الجديرة بالاهتمام والدراسة والتطوير. وقد لا يحتاج بعضها إلا إلى جمع المتناثر منها في مصادرنا الأصيلة. وأبرز شيء نراه ضروريًّا هو الانطلاق من قواعد التلفّظ التي ضمّتها مباحث الابتداء والوقف والتقاء الساكنين، ثم تحليل عناصر الكلام ومصطلحاتها من غير استهانة بالمفاهيم العربية، كالصحيح والمعتلّ واللين والمدّ والحركة. ولغيرنا أن يتوقّف عن فهمها، أو ألّا يراها مفيدة، وموافقة للفونولوجيا، أما نحن فعلينا أن نعكف على خدمتها خدمة علمية نجدّد بها أصالتها، ونقدّمها للدارسين المحدثين من عرب وأجانب. ثمّ إنّ مفهوم المتحرّك والساكن مستبدّ عندنا بكلّ ما يتصل بالتركيب الصوتي والعروضي، وليس مفهوماً عرضيًّا، أو افتراضيًّا يمكن إهماله، والبحث عن بديل له. وهذه ميزة نادرة للكلام العربي المبني على الإيقاع. ولذلك عبّر العروض عن هذه الميزة في التفاعيل والبحور، وهي انعكاس لاجتماع المتحرّك والساكن أصلاً، وإن كان العروض يختصر ذلك بالحركة والسكون، لأنه يعبّر عن مفهوم موسيقيّ. ولأجل ذلك كان الكلام العربي بطبيعته موزوناً من غير قصد. وربّما كان وصف عباس محمود العقاد لِلغتنا بأنها اللغة الشاعرة أصدق وصف[٦٨]. ويجد الباحث في أبنية العربية قاطبة أنها تستجيب لتقطيع

(٦٧)عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٩-١٠.

(٦٨)عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص٣٠-٣٦. وذكر الباقلاني في كتابه (إعجاز =

الحركة والسكون، بل إنّ إدخال الحركات والمدود يعطي أبنية جديدة وقف عليها بعض الباحثين. ومن أحسن ما قُدّم في هذا الشأن ما درسه (هنري فليش) في كتابه الذي أشير إليه سابقاً، مع أنه يفسد نتائجه غالباً بالكثير من المقايسات الخاطئة، والمصطلحات الغريبة على درسنا.

أما الوصل أو الإدراج فجدير بدراسات مفصّلة لفهم طبيعة الكلام العربي القائمة على تداخل العناصر وارتباط بعضها ببعض، ليس على طريقة المجاورة المتوقّفة عند حدود لا تُتَجاوز، بل على طريقة سيلان الجواهر المائعة(*). وهذا من آثار الحركة من غير شكّ، لأنّ الحركة تدرج الساكن، أي تخرجه منطوقاً بذلاقة وسهولة وتربطه بالحرف التالي ربطاً فيه التداخل والتأثّر والاتصال. وقد أولى ابن جني هذا الموضوع اهتماماً خاصًّا(٦٩).

وتبقى مسألة ائتلاف العناصر الصوتية، أي: الحروف بحسب مخارجها وصفاتها. وهذا موضوع قديم بدأه الخليل في مقدّمة كتاب العين، إذ أشار إلى الحروف التي وصفها بالذلاقة، ورأى كثرتها في الكلام العربي حتى صارت معياراً لمعرفة الأصيل من الدخيل؛ فالبناء الرباعي والخماسي لا

= القرآن): «أن كل متكلم لا ينفكّ من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله ماقد يتّزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه.. ومتى تتبّع الإنسان هذا النحو عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه». وأورد الباقلاني آيات من القرآن اتفقت وأوزان العروض من غير قصد، ونفى أن تكون شعراً. إعجاز القرآن، ص٥٤. وسبق الجاحظ إلى ذلك في كتابه (البيان والتبيين)، فقد ذكر أن رجلاً من الباعة لو صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلّم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات.. ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام. البيان والتبيين، ١/ ٢٨٨. وقد نقله المحقق في إعجاز القرآن، ص٥٤، الحاشية رقم (٣).

(*) كذا وردت، ولم يتبين لنا المقصود!

(٦٩) ابن جني الخصائص، ١/ ٥٧-٦٠، وقارن بكتابي: بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ص١٨١-١٨٦.

يخلو منها بحال من الأحوال، وإلاّ عُدَّ أعجميًّا دخيلاً أو مصنوعاً لم يُسمع من عربي. وكذلك وقف الخليل على حروف أخرى رأى فيها صفات معتدلة، كالعين والقاف، والسين والدال، وذكر أهميتها في تسويغ الأبنية الخالية من حروف الذلاقة(٧٠). ونُقِلَ عنه آراء أخرى تتصل باجتماع الحروف أو تنافرها نظراً إلى مخارجها. وقد تابع هذا الموضوع كثير من علماء القرآن واللغة والبلاغة والنقد والإعجاز. أما علماء التعمية واستخراج المعمّى فقد أبدعوا فيه أيّما إبداع؛ فقد توصّلوا إلى ما يأتلف أو لا يأتلف، ووظفوا ذلك في قواعدهم(٧١).

ومن المعروف أنّ هذا الموضوع واسع جدًّا، إذ يمكن للدارس أن يقف على آثار مختلفة من هذا النحو في مصادر الثقافة العربية والإسلامية الحافلة بضروب شتى من المعارف المتداخلة. وجاء في هذا العصر من وظّف الحاسوب في التوصّل إلى نتائج علمية دقيقة، وفي اختبار آراء قديمة لم يكن التثبّت منها ممكناً من قبل(٧٢). ولا شك في مبلغ الحاجة إلى هذا التطبيق الذي اتّسع حتى صار علماً من علوم اللسانيات، هو اللسانيات الحاسوبية وتطبيقاتها الصوتية.

وهكذا يتبيّن أنّ مسار الفونولوجيا في الدرس العربي كان محفوفاً بالكثير من الاختلاف، وإهدار الفروق، وعدم الجدوى؛ مع أنّ في علومنا ولا سيّما الصرف أسساً لا نظير لها، يمكن أن تصاغ صياغة جديدة، إن دعت الحاجة إلى تقليد اللسانيات. ولكنّ المؤكد هو أنّ استعارة المقولات اللسانية في هذا المجال لم

(٧٠) مبادئ اللسانيات، ص١٢٣-١٣٣، وأصالة علم الأصوات عند الخليل، ص٥٣-٦٦.

(٧١) محمد مراياتي ومحمد حسان الطيان ويحيى مير علم، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، الجزء الأول بتقديم الدكتور شاكر الفحام (رحمه الله)، والجزء الثاني كذلك.

(٧٢) علي حلمي موسى، « دراسة تقنية مقارنة لمعاجم الصحاح ولسان العرب وتاج العروس»، مجلة المعجمية بتونس (العدد ٥-٦) لعام ١٩٩٠م.

تكن وافية، أو مناسبة للبنية العربية. والدارسون مدعوّون إلى إعادة النظر في كلّ ذلك خدمة للعربية وعلومها، وإنصافاً لعلمائها وجهودهم التي ما زالت تحتاج إلى المزيد من الكشف والتقديم والتحديث ضمن نموذجنا اللغوي الفذّ.

* * *

المصادر والمراجع

أ) الكتب:

- إشكاليات في البحث والنقد النحويين لفخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، ط. أولى ٢٠٠٤م.
- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين لأحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط. ثانية ٢٠٠٣م.
- أصوات اللّغة لعبد الرحمن أيّوب، مكتبة الشباب، القاهرة، ط. أولى ١٩٦٣م.
- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. رابعة، ١٩٧١م (ط. أولى ١٩٤٧م).
- إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط. رابعة ١٩٧٧م.
- بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها لأحمد محمّد قدّور، دار نينوى، دمشق، ط. أولى ٢٠١٧م.
- بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية لعبد الرحمن الحاج صالح، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر ٢٠٠٧م.

- تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، لجورج مونان، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، جامعة حلب ١٩٨١م.
- التّشكيل الصّوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) لسلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح ومراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ط. أولى ١٩٨٣م.
- التّشكيل الصّوتي في اللغة العربية لعبد القادر مرعي الخليل، الأردن، ط. أولى ٢٠٠٢م.
- تصريف الأسماء والأفعال لفخر الدين قباوة، المطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ط. ثانية ١٩٨١م.
- التصريف الملوكي صنعة أبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق وتقديم وتعليق البدراوي زهران، مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط. أولى ٢٠٠١م.
- التطوّر اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه لرمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط. أولى ١٩٨١م، وثانية القاهرة ١٩٩٠م.
- التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، ط. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨١م.
- تهذيب اللغة للأزهري، الجزء الأوّل، حقّقه وقدّم له عبد السلام محمّد هارون، راجعه محمّد علي النّجّار، الدار القوميّة للطباعة (القاهرة) ١٩٦٤م.
- الخصائص لابن جنّي، تحقيق: محمّد علي النّجّار، دار الهدى، بيروت، ط. ثانية، د.ت.

- دراسة الصّوت اللّغوي لأحمد مختار عمر، توزيع عالم الكتب، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٦م. وط. عالم الكتب بالقاهرة، ١٩٩٠م.
- دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسيّة ١٩٦٦م.
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيي مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط. أولى ١٩٨٣م.
- سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط. أولى ١٩٨٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (رضيّ الدّين المتوفّى عام ٦٨٨ للهجرة) مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي (المتوفّى عام ١٠٩٣ للهجرة)، تحقيق محمد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ – ١٣٥٨هـ.
- شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخطّ للخضر اليزدي (أتمّه سنة ٧٢٠ للهجرة)، دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان، مؤسّسة الرّيّان، بيروت، ط. أولى ٢٠٠٨م.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري، تحقيق السيد محمد يوسف، مراجعة أحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م.
- شرح المفصّل لابن يعيش، إدارة الطباعة المنيريّة بمصر، د.ت.
- العربية الفصحى لهنري فليش، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط. ثانية ١٩٨٣م.
- علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية لبسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.

- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب لمحمد مراياتي ويحيي مير علم ومحمد حسان الطيان، مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول د.ت، الجزء الثاني ١٩٩٧م.
- علم اللغة العام: الأصوات لكمال بشر، دار المعارف، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٠م.
- علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي لمحمود السّعران، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط. أولى ١٩٦٢م.
- علم وظائف الأصوات اللّغوية (الفونولوجيا) للدكتور عصام نور الدين، دار الفكر اللّبناني، ط. أولى ١٩٩٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط. ثانية ١٩٥٥م.
- فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط. ثانية، ١٩٨٣م.
- في علم اللغة العام لعبد الصّبور شاهين، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٤م.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون. عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرّائي. دار الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
- كتاب الموسيقا الكبير للفارابي، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي بمصر، د.ت.
- اللسانيات العامة واللسانيات العربية لعبد العزيز حليلي، منشورات دار سال، دار البيضاء، ١٩٩١.

- اللغة بين المعيارية والوصفية لتمام حسّان، دار الثقافة بالمغرب، ١٩٨٠م.
- اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ١٩٦٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها لتمّام حسّان، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٣م، وط. ثانية ١٩٧٩م.
- مبادئ اللسانيّات لأحمد محمّد قدّور، دار الفكر، دمشق، ط. أولى ١٩٩٦م.
- محاضرات في الألسنية العامّة لفرديناند ده سوسّر، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان، جونيه، لبنان ١٩٨٤م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي لرمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. ثانية ١٩٨٥م.
- مناهج البحث في اللّغة لتمّام حسّان، دار الثقافة بالدار البيضاء (المغرب) ١٩٧٩م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية لعبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب لروبنز، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، العدد (٢٢٧) تشرين الثاني ١٩٩٧م.
- الوجيز في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، بيروت، د.ت (ط. أولى ١٩٦٩م).
- ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان لفخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، ط. أولى ٢٠٠٣م.

ب) البحوث:

- «أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية» ليحيى القاسم، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (١١)، العدد الثاني لعام ١٩٩٣م.

- «التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي لهنري فليش» تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد (٢٣)، لعام ١٩٦٨م.
- «دراسة تقنية مقارنة لمعاجم الصحاح ولسان العرب وتاج العروس» لعلي حلمي موسى، مجلة المعجمية العربية بتونس، العدد (٥-٦) لعام ١٩٩٠م.
- «طول الحركة في اللغة العربية وعلاقته بالبنية المقطعية» ليحيى أحمد، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٩)، العدد (٣-٤) لعام ٢٠١٣م.
- «ظاهرة الحرف عند اللغويين العرب القدماء» لمحمد لطفي الزليطني، مجلة المعجمية، العدد الثاني، تونس ١٩٨٦م.
- «علم الأصوات عند سيبويه» لأرتور شاده، نشر صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين، العدد (٥٨) لعام ٢٠١٨م.
- «نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه» لجيرارد تروبو، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول من المجلد الأول لعام ١٩٧٨م.

* * *

البحث العلمي في مسيرة البناء والتقدم

د. ميخائيل معطي (*)

مقدمة:

تتمثّل أهم الاكتشافات في عصور ما قبل التّاريخ باكتشاف النّار، وتطوّر الكتابة، واكتشاف العجلة. ومع بداية القرن الثّالث عشر، وضع العالم (روبرت غروسيتيست) أسس البحث العلمي الحديث، معتمداً في عمله على مبدأ أنّ الحقائق يجب أن تستند إلى أدلة قابلة للقياس، ويمكن التّيقن من صحتها من خلال الاختبار. وكان لهذا المبدأ الأثر الكبير في تقدّم العلم. وتتالت بغد ذلك اكتشافات البحث العلمي، وصولاً إلى القرن العشرين، إذ كان اكتشاف تركيب الحمض النووي (DNA)، و تم وضع المسودة الأوليّة لتسلسل الحموض الأمينيّة في الجينوم البشري، مما أدى إلى تمكّن العلماء من التنبّؤ بالأمراض والاضطرابات الوراثيّة.

البحث العلمي هو دراسة منهجية منظمة للسعي وراء الحقيقة، أو لإيجاد حلول جديدة مستنبطة لحاجة علمية أو اجتماعية أو عملية، عبر تبني منهج منظم مدروس. وهو أيضاً عملية منطقية، واقعية تجريبية، لأن البحث العلمي ينبع من الواقع، وينتهي به، من حيث ملاحظاته وعمليات تنفيذه وتطبيق نتائجه.

(*) ألقى الدكتور ميخائيل معطي هذه المحاضرة بتاريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠١٩م في قاعة المحاضرات في مجمع دمشق.

ويُعرف البحث العلمي اصطلاحياً بأنه: «مجموعة من الإجراءات النظامية التي ينتهجها الباحث من أجل التعرف على جميع الجوانب المتعلقة بموضوع ما أو بمشكلة علمية معينة، والهدف النهائي هو حل تلك المشكلة».

للبحث العلمي أنواع عدة، حسب الأساس الذي يبنى عليه البحث:

- **بحوث نظرية**: وهي البحوث التي تعنى بالنواحي العلمية، ويستخلص منها مجموعة من القوانين والنظريات التي تساهم في نمو المعارف.

- **بحوث تطبيقية**: وهي البحوث التي تختص بالشؤون العملية وتطبيق المعرفة المتوفرة للوصول إلى معارف جديدة أكثر فاعلية، أو لحل المشاكل الميدانية وتطوير أساليب العمل لتحقيق إنتاجية أعلى.

البحث العلمي هو الأساس الذي لا غنى عنه في أي مسعى تنشده الأمم في مسيرتها نحو التقدم والرقي. هو العنصر الفعال في قطاعات التنمية بجميع جوانبها المختلفة الاقتصادية، والصناعية والزراعية، العنصر الرئيس في التطور، وهو القوة المعتمدة في سيادة الأمة واستقلالها، وهو الحصن الذي يحميها من سيطرة الأمم المتقدمة في هذا الميدان. وما الصراع الدولي القائم حاليًّا، الذي نشهد مظاهره في كافة المجالات الحياتية، الاقتصادية والعسكرية، سوى صراع المنافسة في ميادين البحوث العلمية.

لقد أولت الدول المتقدمة البحث العلمي أهميةً كبيرةً، وخصصت له قدراً كبيراً من الموازنة، إيماناً منها بأهميته في تطويرها وتمتين دعائمها والمحافظة على سيادتها ومكانتها بين دول العالم. وقد جاء في كتاب (منطق البحث العلمي) لـ (كارل بوبر) قوله: «إن عظمة الأمم تكمن في قدرات أبنائها العلمية والفكرية والسلوكية، والبحث العلمي ميدانٌ خصبٌ و دعامةٌ أساسيةٌ لكلّ تقدم ورفاهية».

وعندما تولى (جواهر لال نهرو) زعامة الهند، توجّه إلى الأمة الهندية

في خطابه الأول بالعبارات التالية: «يحتل البحث العلمي المكان الأول في حياة الأمم وفي تقدمها وتطور قدراتها في كافة مجالاتها الحياتية. فلكي نبني مجتمعنا على أسس سليمة تؤمن لنا الحياة الكريمة، ونلحق بركب الأمم المتقدمة، علينا بالبحث العلمي».

وقد أولى (نهرو) هذا الموضوع جلّ اهتمامه، وأمدّه بدعم مادي متميز من ميزانية الدولة، على الرغم من احتياجات الهند المادية الملحّة في العديد من القطاعات الأخرى؛ فجاءت النهضة العلمية والتقنية (التكنولوجية) التي أعطت الهند اليوم مكانتها السيادية المرموقة بين الأمم.

العناصر الأساسية في البحث العلمي:

يرتكز العمل في البحث العلمي على دعائم أساسية هامة هي: الباحث؛ ومستلزمات البحث؛ وخطة واضحة للبحث تشرف على تنفيذها إدارة خبيرة.

١- الباحث:

الباحث هو الشخص المؤهل للكشف عن طبيعة مشكلة ما، وتحليل ظروفها وعواملها المختلفة، وتفسير النتائج الحاصلة بهدف الوصول إلى الحلول المرجوة المناسبة.

إن أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة هم العلميون المعتمدون للقيام بالبحوث العلمية إلى جانب مهامهم التدريسية. والأساتذة في جامعات الدول المتقدمة يعتبرون البحث العلمي جزءاً أساسيًّا من طبيعة عملهم الأكاديمي، إلى جانب القيام تلقائيًّا بمهامهم التدريسية.

٢- مستلزمات البحث العلمي:

المستلزمات المادية للبحث العلمي ضرورة حتمية، وبدونها لا تقوم للبحث العلمي قائمة. **وأهم هذه المستلزمات هي:**

أولاً) تزويد مختبرات ومكاتب الباحثين بالتجهيزات الضرورية للبحث العلمي.

ثانياً) تأمين صيانة الأجهزة المخبرية بصورة مستمرة كي تظل جاهزة للعمل. وتعمل الجامعات والمراكز العلمية في البلدان المتقدمة على التعاقد مع شركات متخصصة لصيانة الأجهزة المخبرية، وتأمين جاهزيتها للعمل بصورة دائمة.

ثالثاً) تزويد الأقسام العلمية بمكتبة خاصة تضم الكتب والدوريات العلمية العالمية، وقاعدة بيانات أو بنوك معلومات تؤمّن للباحثين الاطلاع على مستجدات البحوث والاكتشافات العلمية. فالمكتبة ثروة ثقافية ضخمة لما تحويه بين جنباتها من كنوز علمية.

٣- خطة للبحث العلمي:

يتوقف نجاح العمل في مجال البحث العلمي على خطة واضحة المعالم، شاملة لكل المسائل المتعلقة بالبحث العلمي، **تقوم بوضعها هيئة متخصصة تتضمن الأمور التالية:**

- رسم السياسة الوطنية الشاملة للبحث العلمي
- التنسيق بين الهيئات العلمية البحثية لتحقيق أغراضها، ولا سيّما تعزيز الموازنة الداعمة للبحث العلمي.
- التعاون في مجال البحث العلمي مع الجامعات ومراكز البحوث العلمية العالمية.

٤- جهاز إداري للبحث العلمي:

الإدارة هي ركن محوري وقاعدة أساسية في تنفيذ الخطة الموضوعة للبحث العلمي، يتولاها عادة أشخاص من ذوي الخبرة بشؤون البحث العلمي، ممارسة وإدارة، ولهم معرفة واسعة بدور البحث العلمي وأهميته في تقدم البلد وتطوره نحو الأفضل، يقومون بتحضير برامج تطوير البحث

العلمي، ويشرفون على تنفيذها وتنظيم شؤونها والارتقاء بالمستوى العلمي والتقني للباحثين، وتقويم أدائهم، ووضع الأسس والقواعد اللازمة لتشجيع الباحثين وتحفيزهم ماديًّا ومعنويًّا والإشراف على مشاريع البحوث الجارية وتقويم مسارها سعياً للوصول بها إلى المستويات العالمية.

وعندما تولى الجنرال (ديغول) رئاسة الجمهورية الفرنسية، قام في أول عهده بتكليف المجمعي الكبير (إدغار فور) بوضع خطة لتطوير برامج التعليم العالي في فرنسا. وتصدرت الصفحات الأولى في الصحف الفرنسية في اليوم التالي صور المجمعي (إدغار فور) مرشحاً لمنصب وزارة التعليم العالي في التشكيلة الوزارية المرتقبة. وقد حظيت الخطة التي وضعها (إدغار فور) بالإعجاب الكبير من قبل الجنرال (ديغول) ومن المجمعيين الفرنسيين. وعندما صدرت التشكيلة الوزارية في الأسبوع التالي، لم يكن (إدغار فور) وزيراً للتعليم العالي فيها كما كان متوقعاً. وعندما سئل الجنرال (ديغول) عن السبب أجاب: إن فرنسا مدينة لـ (إدغار فور) بهذا الإنجاز العظيم الذي قدمه للأجيال الفرنسية الصاعدة. إنما الحرص على نجاح هذا الإنجاز العظيم يقتضي أن نولي أمر تنفيذه إلى إداري خبير رفيع المستوى. وقد وقع اختياري على من هو جدير بهذه المهمة الكبيرة، فعينته وزيراً للتعليم العالي.

واقع البحث العلمي في العالم العربي:

البحث العلمي هو المقياس الصحيح للمستوى العلمي للجامعات. ويتفق معظم التربويين على أن تراجع مستوى الجامعات العربية يعود إلى:

١- **تدني مستوى الوعي** بأهمية الأبحاث العلمية، ومردودها الإيجابي.

فنسبة الباحثين مثلاً في الدول العربية ٣١٥ لكل مليون نسمة في حين تبلغ في الدول المتقدمة ٥٠٠٠ لكل مليون نسمة.

وذكر العالم المصري (أحمد زويل) أن نسبة الأوراق العلمية المقدمة من الجامعات العربية لا تتعدى ٠.٠٠٠٣٪ من مجموع الأبحاث التي تقدمها جامعات العالم.

٢- **الافتقار إلى التمويل** والوقت اللازمين للوصول إلى النتائج المرجوة من الأبحاث العلمية.

ترصد الدول المتقدمة ميزانيات ضخمة للبحوث العلمية، تنفق الولايات المتحدة مثلاً على البحث العلمي ما يعادل ٣٥٪ من الإنفاق العالمي الإجمالي. في حين لا يكوِّن الإنفاق على البحوث العلمية في الدول العربية أكثر من ٠.٠١٪ من مجمل الدخل الإجمالي القومي، في حين يصل في إسرائيل إلى ٤.٧٪.

وينفق العرب مجتمعين على البحث العلمي ٥٣٥ مليون دولار سنويًّا، أما إسرائيل فقد أنفقت ٩ مليارات دولار على البحث العلمي عام ٢٠٠٨.

٣- **هجرة الأدمغة:**

نسبة العلماء المهاجرين من الدول النامية ٣١٪ منهم عرب: ٥٠٪ أطباء، ٣٠٪ مهندسون... هذا، وإن ٥٤٪ من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى دولهم الأصلية. ويُعزى ذلك إلى أسباب عدة أهمها عدم توفر فرص البحث العلمي.

واقع البحث العلمي في الجامعات السورية:

في خطابه التاريخي الشهير إلى الأمة، وجّه الرئيس السوري حافظ الأسد نحو البحث العلمي بالعبارات التالية: «إذا لم نمسك بناصية البحث العلمي ونسبر أغواره فلن نملك التقدم الذي ننشد». وأضاف: «يجب أن يكون البحث العلمي في طليعة الأولويات». وأضاف أيضاً: «إن مسألة

البحث العلمي يجب أن تكون ركيزة أساسية في كل جامعة إلى جانب التعليم، وعلى الحكومة توفير مستلزمات تحقيق هذه المهمة».

إن قطاع الإبداع والتطوير قوامه النقد الجدّي للمعطيات والوقائع، والشك حتى في البديهيات، وصولاً إلى الحقائق العلمية المجردة.

تؤدّي الجامعات دوراً هامًّا في تحريك التنمية، إذ يؤدّي البحث العلمي الذي تنفذه الجامعات ومؤسسات التعليم العالي دوراً أساسيًّا في منظومة التطوير في أي بلد من البلدان التي تنشد الرقي والتقدم.

وتعد البحوث العلمية الجامعية التي تنجزها الجامعات أحد أهم مؤشرات الجودة والتمييز في سلم تصنيف الجامعات محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا. وهي المقياس الصحيح في تقدير المستوى العلمي للجامعات والمراكز العلمية.

ومن المعروف أن الجامعات هي مراكز للبحث العلمي بالدرجة الأولى، قبل أن تكون للتدريس ونقل المعرفة. فإذا تخلت الجامعة عن هذه المهمة أصبحت مدرسة ثانوية عليا. وعلى الإدارة الجامعية أن تهيئ كافة الأسباب لدعم البحث العلمي في كلياتها، وأن توفر المتطلبات الضرورية لهذه الغاية. فالعمل في البحث العلمي يتطلب دعماً قويًّا كي يؤدي دوره في التنمية والتطور.

نظرة فاحصة في واقع البحث العلمي في الجامعات السورية، يتبين من خلالها حالة متواضعة لواقع ضعيف القدرة، مقارنة بما هو قائم في العالم، واقع تبينه بوضوح التقارير الإحصائية لمنظمة اليونيسكو، التي تنشر سنويًّا معلومات عن نشاطات البحث العلمي في العالم. وتتحمل الجامعات

السورية القسط الأكبر من الأسباب التي أدّت إلى ذلك، من حيث عدد الباحثين فيها ونتائج الأعمال العلمية التي يقومون فيها.

متابعة النشاط في البحث العلمي:

تضم الجامعات السورية عدداً كبيراً من الأساتذة حملة شهادة الدكتوراه في مختلف الاختصاصات، ولكنها ما تزال تفتقر، مع الأسف الشديد، إلى الأساتذة الباحثين، لأن معظمهم لم يمارس البحث العلمي، ولم ينشط في هذا المجال بعد حصوله على شهادة الدكتوراه. وحامل شهادة الدكتوراه، كما هو معروف بصورة عامة، هو من تعلم البحث العلمي بمساعدة أستاذ مشرف وتوجيهاته. ولكنه لن يصبح باحثاً بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، ما لم يقم ببحوث علمية في مضامير علمية رفيعة المستوى، تثبت قدرته على البحث العلمي. مثله في ذلك كمثل من يتعلم السباحة بمساعدة مدرب خبير، ولكنه لن يصبح سبّاحاً ما لم يمارس السباحة، ويثبت قدرته في السباقات الطويلة.

مواكبة التطور المستجد في البحث العلمي:

لا بد للعاملين في البحث العلمي في الجامعات من مواكبة المستجد من الدراسات والاكتشافات العلمية. فالعلم في تطور مستمر، لأن المعرفة العلمية في تجدد واتساع دائمين، وأساليب البحث ووسائله وطرائقه تتطور بسرعة. وهناك سبيلان لتحقيق هذا الغرض: أولهما الاطلاع على نتاج البحوث العلمية في الجامعات العالمية. وثانيهما الاتصال مع الباحثين في الجامعات العالمية من خلال المشاركة في المؤتمرات العلمية والإيفاد إلى الخارج.

إن اكتساب مهارة البحث العلمي ليست من مسؤولية أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة وحدهم، وإنما تتحمل الجامعة أيضاً القسط الأكبر من المسؤولية في هذا المجال، إذ عليها أن تهيئ للأساتذة كامل الأسباب

الضرورية لتنمية قدراتهم على البحث العلمي وتوفير المتطلبات الضرورية لهذه الغاية. فالباحث السوري مشهود له بالإبداع، وقد برهن منذ فجر التاريخ على قدراته الإبداعية في بناء الحضارة الإنسانية. وتشهد له بذلك حاليًا جامعات ومراكز بحوث علمية أجنبية عالمية يعمل فيها باحثون سوريون في جو تتوفر فيه المستلزمات الضرورية للبحث العلمي.

نشر البحوث العلمية؛ المجلات العلمية:

يُقوَّم واقع البحث العلمي في بلد ما من خلال البحوث التي يقوم بها الباحثون في الجامعات ومراكز البحوث العلمية، والتي تُنشَر في المجلات والدوريات العلمية المحكمة ذات السمعة العلمية الدولية المرموقة والانتشار الواسع بين الباحثين في جامعات العالم المختلفة. وتكتسب المجلة العلمية أهميتها من خلال قيمة وأهمية البحوث العلمية التي تقوم بنشرها. وترجع هذه الأهمية بالدرجة الأولى إلى المستوى العلمي للمحكمين الذين يوكل إليهم تقويم البحوث المقدمة للنشر في المجلة. ويكون اختيار هؤلاء المحكمين من الذين لهم باع كبير في البحث العلمي. وتتنافس المجلات العلمية فيما بينها من خلال مستويات المحكمين الذين تختارهم لتقييم البحوث التي تعتزم نشرها. ومن البديهي، في غياب المحكمين الأكْفَاء، أن تضعف الثقة بأهمية البحوث المنشورة في هذه المجلات، وبالدور الذي تؤديه في خدمة التطوير المنشود.

بعيداً عن تقويم المستوى العلمي للمجلات العلمية التي تصدر عن الجامعات السورية، وعن أهمية البحوث التي تنشرها، فهي، باعتقادنا، بحاجة إلى محكمين أكفياء ذوي مكانة علمية مرموقة مدعمة ببحوث علمية منشورة في مجلات علمية مشهورة. وللوصول بمجلاتنا العلمية إلى المستوى المطلوب لا

بد من توفر المحكمين الأَكْفَاء لديها لتقويم البحوث العلمية المقدمة للنشر فيها. وفي حالة تعذر وجود محكمين أكفياء محليين، يمكن الاستعانة بمحكمين من الخارج، عرباً كانوا أم أجانب، على غرار ما تقوم به أرقى المجلات العلمية في العالم. ففي غياب المحكمين الأَكْفَاء، لن يكون لمجلاتنا العلمية إسهام مشرّف في مجال النشر العلمي للجديد من المكتشفات، ولو تكدست لديها كميات كبيرة من بحوث قد لا تمت للبحث العلمي بصلة.

معوقات العمل في البحث العلمي:

أسباب عديدة تعوق العمل في البحث العلمي، من أهمها :

١- الضعف في الميزانية المخصصة :

المال هو العصب المحرك لكل نشاط. ومن الصعب جدًّا تنفيذ بحوث علمية بدون دعم مالي. إن تخصيص المال اللازم للبحث العلمي خطوة لا بد منها للبدء بالبحث، ويؤكد جدية العمل من أجل تنفيذه. ولا بد من إسهام الجهات المستفيدة في تأمين نفقات البحث العلمي، وقد تكون في بعض الأحيان باهظة، كالوزارات والهيئات والمؤسسات، ولا سيّما المنتجة منها، كوزارة النفط والثروة المعدنية، ووزارة الزراعة، ووزارة الصناعة، ووزارة الري.... على هذه الوزارات أن تدعم البحوث العلمية الخاصة بها، حتى التي لا حاجة إليها بصورة مباشرة، ففائدة النتائج الحاصلة من تلك البحوث ستصب في خزائنها، إن لم يكن عاجلاً فآجلاً.

ويعد الإنفاق على البحث العلمي أحد المتطلبات الهامة التي تستخدم في قياس فعاليات البحث العلمي لعملية التنمية والتطوير. ويتمثل المؤثر الأكثر شيوعاً لهذه الفعاليات في نسبة ما ينفق على البحث العلمي قياساً إلى الناتج المحلي الإجمالي.

٢- النقص في التجهيزات المخبرية وإهمال في صيانتها :

الأجهزة المخبرية حاجة ملحة لممارسة البحث العلمي، وكذلك الخبرات الفنية لصيانة هذه الأجهزة المخبرية، وتأمين جاهزيتها للعمل بصورة دائمة، على نحو ما هو قائم في الجامعات والمراكز العلمية في البلدان المتقدمة، حيث يكون التعاقد مع شركات متخصصة لصيانة الأجهزة المخبرية فيها.

قد لا تسمح الإمكانات المادية الحالية بتأمين بعض التجهيزات المخبرية المعقدة التي يقوم على تشغيلها وصيانتها فنيون ذوو خبرة عالية. ويمكن في هذه الحالة الوصول إلى استخدام هذه الأجهزة من خلال اتفاقيات التعاون العلمي مع الجامعات في البلدان المتقدمة، وإيفاد الباحثين السوريين إلى هذه الجامعات لتطوير البحوث التي يقومون بها.

٣- نقص في التواصل العلمي مع المراكز العلمية العالمية :

إن سبل التواصل العلمي مع المراكز العلمية عديدة، من أهمها مكتبة تضم الكتب والدوريات العلمية العالمية، وقاعدة بيانات أو بنك معلومات تحقّق للباحثين الاطلاع على مستجدات البحوث والاكتشافات العلمية. وتنعكس نتائج التواصل العلمي مع المراكز العلمية على المستوى التدريسي في الجامعة.

٤- تحفيز الباحثين ومكافأتهم ماديًّا ومعنويًّا :

من الأهمية بمكان مكافأة الإنتاج العلمي، فما من تأثير كالمكافأة، مادية كانت أو معنوية، في شعور الباحث بتقدير عمله، وبتشجيعه على الاستمرار في العمل لتقديم الأفضل. وهذا واجب على الجهات المسؤولة تحقيقه، إذ ليس من العدل أن يستوي الذين ينتجون والذين لا ينتجون.

إن مكافأة الباحث هي تقدير للنجاح الذي حققه، وهي محرض للقيام بتقديم المزيد من العطاء العلمي. وهي من أهم العوامل في دفع مسيرة البحث

العلمي إلى الأمام. فبها تنطلق هذه المسيرة بصورة حثيثة، وبدونها لا تتقدم خطوة واحدة. وهي بمثابة تعويض عن الجهد المبذول من جهة، وتقدير معنوي للنجاح الذي تحقق يدفع الباحث إلى المزيد من المثابرة في التقدم والنجاح. وإذا لم تكافأ البحوث العلمية المنجزة فكل الجهود والنفقات المبذولة بهدف تقدم مسيرة البحث العلمي هي جهود ضائعة غير ذات جدوى.

لا بد من إيجاد الحوافز المناسبة لتشجيع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات على القيام بالبحث العلمي. وإن وجود الرغبة لديهم للقيام بالبحث العلمي غير كاف بحد ذاته، إذا لم تراع هذه الرغبة وتشجع حتى تتحول إلى عمل جاد ومثمر.

ولا بدّ أن نقدم هنا تحية إكبار وتقدير للباحثين في الجامعات السورية الذين قدموا بجهود فردية جبارة، وبوسائلهم الخاصة، بحوثاً علمية نُشِرَتْ في مجلات علمية عالمية، وهم مع ذلك مغيبون عن المكافأة وعن الجوائز التقديرية المادية والمعنوية التي تمنحها الدولة.

البحث العلمي والتنمية:

يعتبر البحث العلمي في أي مجتمع من الأسباب الأساسية والهامة للتقدم العلمي والتنمية، لما له من مشاركة فعالة في التنمية بجميع جوانبها المختلفة: الاقتصادية والصناعية والزراعية، ويساعد على إيجاد الحلول للمشاكل التي تواجهها القطاعات الإنتاجية، وفي تحسين الأداء وزيادة الإنتاج والحصول على جودة عالية للمنتجات والخدمات.

إن ارتباط البحث العلمي بالتنمية على درجة كبيرة من الأهمية. فهو يؤدّي دوراً أساسياً في منظومة التطوير في أي بلد من البلدان التي تنشد الرقي والتقدم، ويساهم في حل المسائل التي تواجه قطاعات الإنتاج في

الصناعة والزراعة وغيرها، ويقدم لهذه القطاعات ثمار إبداعه في تطويرها.

والبحث العلمي من أجل التنمية لا يأتي وليد فكر ذاتي، وإنما يجب أن ينبع من حاجة المجتمع، وهذا يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الجامعات والمؤسسات المختلفة للوقوف على قدرات الجامعات العلمية والتقنية من جهة، ومعرفة حاجات مؤسسات المجتمع المختلفة عامّة، والمؤسسات الإنتاجية خاصّة من جهة أخرى، بهدف تحديد مسارات بحثية واضحة يمكن أن تسهم برقي وتقدم مجتمعاتها.

ونظراً لمحدودية الموارد المتاحة من المؤكد أن الجامعة لن تستطيع أن تخوض في مجال البحث العلمي على نطاق واسع. و لكي تتمكن من القيام بدورها لا بد من خلق مجال اتصال مباشر بينها وبين المستفيد من جهة، وبينها وبين الهيئات العليا في التخطيط، بهدف إشراك الجهات المستفيدة في تمويل أنشطة البحث العلمي، لكي تكون هذه النتائج قادرة على تنفيذ أهداف خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتقديم الحلول العلمية التي تحقق أهداف هذه الخطط بكفاءة وفاعلية.

إن شعار «الجامعة في خدمة المجتمع» واقع تقوم به الجامعة على أكمل وجه من خلال تزويد مؤسسات المجتمع بكافة أُطُره المهنية والإنتاجية. أما في مجال البحث العلمي فإن على هذه المؤسسات أن تقدم الدعم المادي للجامعة كي تقوم بتنفيذ البحوث العلمية التي تحتاجها في تطوير أهدافها، على نحو ما هو متبع في البلدان المتقدمة التي يقوم بها القطاع الخاص بدعم وتمويل معظم عمليات البحث والتطوير. ويصح في هذا المجال طرح الشعار التالي: «المجتمع في خدمة الجامعة».

مجتمع المعرفة:

ويجدر التنبيه هنا على أنه ينبغي ألا يقتصر العمل في البحث العلمي بالكامل على المشاريع ذات العلاقة المباشرة بحاجات المجتمع، **وذلك لأكثر من سبب، منها:**

- أن الجامعة تشكل مركزاً للإشعاع العلمي، وهي من أكثر وسائل المجتمع ثراءً وتأثيراً في مجال التثقيف، فهي تقوم بنشر الثقافة بكل أنواعها للراغبين فيها والمحتاجين إليها بهدف التوجه نحو مجتمع المعرفة، والمعرفة قوة، وقد صارت المعرفة تجارة لها عائدها، ومردودها العالي، ذلك أنّ التنمية وزيادة الإنتاج، أصبحت تعتمد على قيمة المعرفة أكثر من اعتمادها على عوامل الإنتاج المادية، كالأرض ورأس المال، ووفرة الثروات الطبيعية ووفرة القوى العاملة.
- أن دور الجامعة قد امتد إلى الاستشراف والتنبؤ بقضايا المستقبل واتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة للتصدي لها قبل وقوعها، وذلك أثناء تطبيق خطط التنمية وبرامجها، وإسداء النصح في كيفية تفادي هذه المشكلات.

إلا أن العمل في تنفيذ هذا التوجه ينبغي أن يكون في إطار من الإدراك والدقة في التخطيط، **وأن يراعي ما يلي:**

- لا يجوز التمييز بين مشاريع البحوث العلمية من حيث أهميتها في التنمية، فمشاريع البحوث تؤدي كلها، عاجلاً أم آجلاً، إلى التنمية. إنما ينبغي تقديم الدعم المادي المتوفر لأي منها. ولا تجوز المفاضلة بين بحث في الرياضيات وآخر في البيولوجيا أو الكيمياء... فربّ معادلة مبتكرة في الرياضيات تكون ذات تأثير فعال في تطوير الصناعات الميكانيكية، وربّ تفاعل كيميائي جديد ذو فائدة كبيرة في الصناعات

الغذائية والدوائية، وربّ اكتشاف مستحاثة مجهرية توجه عمليات التنقيب عن مكامن نفطية هامة جدًّا.

التعاون في البحث العلمي:

- على الصعيد العربي:

لقد جرى الحديث مراراً عن أهمية التعاون بين الجامعات ومراكز البحوث العلمية العربية في مجال البحث العلمي، واتُّخِذَ العديد من المقررات بهذا الشأن، وكتب الكثير عن ذلك تلك اللجان التي أقامتها مؤتمرات الجامعة العربية. ولكن هذه المقررات لم تبلغ أهدافها مع الأسف الشديد؛ ولم تفلح الاجتماعات شبه الدورية لرؤساء الجامعات في الأقطار العربية في تفعيل التعاون فيما بينها في مجال البحث العلمي.

إن الوسائل المتاحة لدى الجامعات ومراكز البحوث العربية، من أُطُر علمية وتجهيزات مخبرية ومكتبات حديثة وبنوك معلومات متطورة، تجعل التعاون بين الباحثين العرب يسيراً إذا ما تولت أمره هيئات البحث العلمي حصراً، على نحو ما هو قائم في الدول المتقدمة.

إن المصادر الثقافية العلمية المتنوعة التي نهل منها العلميون العرب تغني نتاج تعاونهم العلمي، تساعدهم في ذلك لغة واحدة هي العربية. وهنا تبرز الحاجة في تبادل المعلومات وتسهيل التواصل العلمي بين العلماء العرب = إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية، وهو ما تقوم به حاليًّا مجامع اللغة العربية، وفي مقدمتها مجمع اللغة العربية بدمشق.

- على الصعيد الأجنبي:

الجامعات ومراكز البحوث العالمية تستقبل بصدر مفتوح الباحثين من مختلف بلدان العالم. وما أكثر الباحثين العرب الذين يعملون في تلك

الجامعات والمراكز العلمية! وإن من الأهمية بمكان تعزيز اتفاقيات التعاون العلمي مع الجامعات في البلدان المتقدمة، وإيفاد الباحثين السوريين إلى هذه الجامعات لتطوير البحوث التي يقومون بها.

إنما علينا أن نعرف أنّ لدى بعض هذه الجامعات خطوطاً حمراً لا يسمح بتجاوزها في الاختصاصات العلمية التي تحمل صفة السرية، وتخضع بصرامة لرقابة السلطة التي تحرّم وصولها إلى دول العالم الثالث، ولا سيّما الدول العربية، ولو كان استخدامها للأغراض السلمية.

خاتمة:

وفي الختام، لا بد من التأكيد على الأسس الكفيلة بدعم البحث العلمي الذي هو الأساس الذي لا غنى عنه في أي مسعى تنشده الأمم في مسيرتها نحو التقدم والرقي. **وهذه الأسس هي:**

- رسم السياسة الوطنية الشاملة للبحث العلمي.
- وضع خطط وبرامج تطوير البحث العلمي.
- وضع موازنة خاصة تهيئ متطلبات العمل بالبحث العلمي
- وضع نظام متكامل لتحفيز الباحثين مادياً ومعنوياً.
- وضع خطط وبرامج الارتقاء بالمستوى العلمي والتقني للباحثين.
- وضع أسس لتقويم البحوث العلمية تضمن الارتقاء بها إلى المستويات العالمية.

روي عن القائد الفرنسي (ليوتي) أنه قال لبستانيّه مرة: «اغرس شجرة غداً». فقال البستاني: «إنها لن تثمر قبل مئة عام». فقال (ليوتي) للبستاني: «إذن فاغرسها عصر اليوم».

إن حصاد غلال البحث العلمي وجني ثماره، يقتضي ألّا يكون موعد التخطيط له غداً بل اليوم.

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

من قرارات مجلس المجمع
في الألفاظ والأساليب(*)

(١٩٩)
جواز قولهم: (لو اجتهدتَ لمَا أخفقتَ)
بدخول اللام على جواب (لو) الشرطية الماضي المنفي بـ (ما)

١- المسألة:

يخطِّئ أو يضعِّف بعضهم مثل عبارة: (لو اجتهدتَ لَما أخفقتَ) بحجة أن اللام لا تدخل على جواب (لو) الشرطية الماضي المنفي بـ (ما). والصواب عندهم: (لو اجتهدتَ ما أخفقت).

٢- الاقتراح:

جواز مثل قولهم: (لو اجتهدتَ لَما أخفقتَ) بدخول اللام على جواب (لو) الشرطية الماضي المنفي بـ (ما).

(*) هذه قرارات مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي قابلة للتعديل في مؤتمر المجمع. (يرجى ممَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).
من المفيد الاطلاع على بعض ما نُشِر من نظرات في هذه القرارات في مجلة المجمع (م.٩-ج٢، ص٥١٣-٥٢٣).

٣- التعليل:

لعل هذه التخطئة أو التضعيف مردُّه إلى ما قاله ابن هشام في مغني اللبيب (ص ٣٥٨): «جواب (لو) إما مضارع منفي بـ (لم) نحو: «لو لم يخف الله لم يعصه»، أو ماض مثبت أو منفي بـ (ما). والغالب على المثبت دخول اللام عليه نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، ومن تجرده منها نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]. والغالب على المنفي تجرده منها نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ومن اقترانه بها قوله:

ولو نُعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

ونظيره في الشذوذ اقتران جواب القسم المنفي بـ (ما) بها، كقول الشاعر:

أما والذي لو شاء لم يخلُق النوى لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي»

وواضح أن ابن هشام يعدُّ ذلك شذوذاً، إذ يقرنه بشذوذ دخول اللام على جواب القسم في البيت (أما والذي..). وهذا حمل بعضهم على التخطئة أو التضعيف.

ولكن هذا الذي ذكره ابن هشام خالفه فيه معظم النحاة:

١- قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية (ص١٦٤٠) عند الكلام على جواب (لو) الشرطية: «وإن كان [جوابها] منفياً بـ (ما) جاز لحاقها والخلوّ منها، إلا أن الخلو منها أجود، وبذلك نزل القرآن الكريم»، أي: إن ابن مالك لم يخطِّئه، ولم يقل بشذوذه.

٢- قال ابن قاسم المرادي في كتابه (الجنى الداني في حروف المعاني) (ص ٢٨٣): «وقلَّ دخولها [أي: اللام] على المنفي بـ (ما)». والمرادي الذي توسَّع في حروف المعاني يجعله من القليل، وليس من الخطأ أو الشاذ.

٣- أما السيوطي فقد أورد حوله نصاً أوفى وأدعى لقبوله، إذ قال في

(همع الهوامع ٢/ ٣٩٥) عن (لو) الشرطية: «وجوابها في الغالب فعل مجزوم بـ (لم) كقوله:

فلو كان حمدٌ يُخلد الناس لم يمت ولكنَّ حمد الناس ليس بمخلدِ

أو فعل ماض مثبت، والغالب حينئذ اقترانه باللام المفتوحة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]. ومن غير الغالب [أي: تجرده من اللام] كقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]، أو ماض منفي، والغالب خلوّه من اللام نحو: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] **ومن غير الغالب قوله:**

ولو نُعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي»

ويلحظ هنا أن السيوطي لم يجعله شاذاً ولا ضعيفاً، بل رفعه إلى درجة الفصاحة، إذ جعله على درجة واحدة مع قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾، إذ قال عن تجرده في الآية: إنه من غير الغالب. وكذا اقترانه بها في البيت من غير الغالب، وما يرد في القرآن سواء أكان من الغالب أو من غير الغالب هو في أعلى درجات الفصاحة.

٤- قال عباس حسن في (النحو الوافي ٤/ ٤٩٧) عن جواب (لو) الشرطية: «إذا وقع جوابها فعلاً ماضياً لفظاً ومعنى أو لفظاً فقط جاز اقترانه باللام وعدم اقترانه سواء أكان الماضي مثبتاً أم منفياً، إلا أن اقتران المثبت باللام أكثر من تجرده منها والمنفي بعكسه».

وواضح أن عباس حسن يجيز اقتران جوابها باللام على كثرة أو قلة.

ومما يستأنس به - بل ويستشهد به برأيي - قول أبي العلاء المعري في رسالة الغفران [ص ٢٤٠]: «ولو سئل أمَةً عوراء يعوَّض منها في الآخرة بحوراء لما فعل».

وأخيراً فلعل ابن هشام تراجع عن تشذيذ اقتران جواب (لو) الشرطية المنفي بـ (ما) عندما قال في كتابه (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢/ ١٠٢): «وجواب (لو) إما ماض معنى نحو: (لو لم يخف الله لم يعصه) أو وضعاً، وهو إما مثبت فاقترانه باللام نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾، أكثر من تركها نحو: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾، وإما منفي فالأمر بالعكس نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، وقوله:

ولو نُعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي»

العضو: ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز مثل قولهم: (لو اجتهدتَ لَما أخفقتَ) بدخول اللام على جواب (لو) الشرطية الماضي المنفي بـ (ما).

٥- قرار المجلس: الموافقة.

* * *

(٢٠٠)

(ممَّا) للربط والتسبُّب

في مثل قولهم: (تساقطت الثلوج مما أدى إلى توقف السير)

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر تركيب (ممَّا) للربط بين جملتين أو الدلالة على التسبب في مثل قولهم: (تساقطت الثلوج مما أدى إلى توقف السير)، ويعترض عليه بعضهم؛ لأنه: (غير مستقيم)، وربما لعدم ورود مثل هذه العبارة عند القدماء، **ويستبدلون بها العبارات الآتية:**

- (تساقطت الثلوج ما أدى إلى توقف السير).
- (تساقطت الثلوج الأمر الذي أدى إلى توقف السير).
- (تساقطت الثلوج وهو أو هذا أو ذلك ما أدى إلى توقف السير).

٢- الاقتراح:

جواز استعمال التركيب (مما) للربط والدلالة على التسبب في مثل قولهم: (تساقطت الثلوج مما أدى إلى توقف السير)، وعدم صحة حذف (من) من التركيب.

٣- التعليل: أ- في النحو:

- عبارة: (تساقطت الثلوج ما أدى إلى توقف السير): الملاحظ في مثل هذه العبارة أن الربط بين ركنيها مفقود لغياب العائد الذي يعود إليه الاسم الموصول (ما) في الجملة الثانية، والذي لا يمكن أن تُفهم العبارة من دونه، لذا يقترح بعضهم - لتقدير عائد - قلب ترتيب العبارة لتصبح: (مما أدى إلى توقف السير تساقطُ الثلوج، أو أن تساقطت الثلوج).

- عبارة: (تساقطت الثلوج وهو أو هذا أو ذلك ما أدى إلى توقف السير): أي بإضافة عائد للاسم الموصول، وهو أسلوب صحيح له نظائر في أساليب القرن الخامس الهجري وما بعده، جاء في تفسير القرطبي (١/ ٢٨٦): «المِراء والجدال الذي يقسِّي القلب ويورث الضِّغن، وذلك ما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى». وفي المصدر نفسه (١٤/ ٣٢): «إنْ كان الله يريد أن يغويكم، أي: يضلكم، وهذا ما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية».

- عبارة: (تساقطت الثلوج الأمر الذي أدى إلى توقف السير): إذ استبدلوا كلمة الأمر أو الشيء بالضمير أو اسم الإشارة في الأسلوب

السابق، ولا شك في أن الضمير أو اسم الإشارة أعمّ من كلمتي الأمر أو الشيء، وهما من أدوات الربط والوصل بخلاف كلمتي الأمر أو الشيء، إذ لا شيء يدل على صلتها بما قبلهما، لذا نرى أن هذا الأسلوب غير مستقيم.

- عبارة: (تساقطت الثلوج مما أدى إلى توقف السير): يمكن تخريجها على واحد من وجهين:

الأول: عدُّ حرف الجر (من) للتبعيض، فيكون التقدير: (تساقطت الثلوج بعضَ ما أدى إلى توقف السير).

الثاني: عدُّ (من) حرف جر و(ما) اسماً موصولاً، والجار والمجرور متعلقين بخبر محذوف، ويكون التقدير: (تساقطت الثلوج وذلك ما أدى إلى توقف السير).

ب- في الاستئناس:

١- أجازها (معجم الصواب اللغوي) للدكتور أحمد مختار عمر، وقال: هي فصيحة.

٢- جاء في شرح صحيح البخاري للجويني (٨/ ١٢) بحسب المكتبة الشاملة نقلاً عن موقع الشبكة الإسلامية، في باب: (من الأقوال الشنيعة للمعتزلة): «إلا أن أبا محمد عطسَ، وأصحابه يقولون له: يرحمك الله، فيرحمك الله هذه، خرجت كالرعد، ففزع منها الخليفة **مما جعل** الخليفة يقول: لا يساكنني في البلد».

٣- جاء في كتاب (الموجز في قواعد اللغة العربية) للأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته للكتاب (٢) وفي طبعة ثانية (٤): «لأن أكثر الطلبة يتعذر عليهم البحث في مصادر متنوعة واستخلاص زبدة منها تفصَّل على الخطة المرسومة، **مما جعل** طبع كتاب ملائم لهم أمراً لا مندوحة عنه».

٤- جاء في كتاب (علم اللغة) لمحمود فهمي حجازي (بحسب المكتبة الشاملة): «وفي كل هذه الفترة كانت العربية لغة الطقوس الدينية ولغة الفقه الإسلامي **مما جعل** دراسة العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدراسة الدين».

٥-وجاء في (معجم الأعلام) للزركلي (٥/ ٢٧١) حاشية (٢) في ترجمة الطيوري: «فكان يجاهر بالمعصية حتى في رمضان، **مما جعل** أهل الكويت يضجون منه».

٦-جاءت هذه العبارة في مواضع عديدة في كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب، ومنها:

- جاء في (١/ ٢٨): «فإن الدعوة كانت تعتبر قد تجمدت فعلاً في مكة وما حولها بموقف قريش منها وتحالفهم على حربها بشتى الوسائل **مما جعل** بقية العرب تقف موقف التحرز والانتظار».
- وفي (١/ ٩٩): «فاتخذ اليهود من هذا التوجه حجة على أن دينهم والدِّين وقِبلتهم هي القبلة **مما جعل** الرسول ﷺ يرغب ولا يصرِّح في التحول عن بيت المقدس إلى الكعبة».
- وفي (١/ ١٩٤): «وقد ورد الأمر هنا بإتمامها [أي: العمرة] كالحج، **مما يدل** على أن المقصود هو الأمر بالإتمام لا إنشاء الفريضة بهذا النص».
- وفي (١/ ٤٨٥): «وهنا طال المشهد بعباراته وطال بنغماته **مما يؤدي** غرضاً أصيلاً من أغراض التعبير القرآني».

وتشيع هذه العبارة في عبارات متفرقة في قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، منها: «انبثقت عن العلمانية معظم الأفكار الهدامة التي غزت بلادنا **مما أدى** إلى ضياع ثروات الأمة» [عن المكتبة الشاملة: قرارات

وتوصيات مجمع الفقه (١/ ١٧٣].

٧- ومنها قول محقق معجم الصحاح عبد الغفور عطار في مقدمته: «ويشاء الله أن تصدر هذه الطبعة الثانية من الصحاح سنة (١٩٧٩) وتنفد نسخها خلال أقل من سنتين **مما جعل** طلبه يتجدد ويكثر». [المقدمة ١/ ١٣].

٨- ومنها قول الدكتور شوقي ضيف في الكلمة التي ألقاها في حفل استقبال الدكتور يوسف عز الدين المنشورة في مجلة مجمع القاهرة: «وكان مديراً عاماً للصحافة والإرشاد **مما جعل** له نشاطاً صحفياً».

٩- ومنها ما جاء في مجلة مجمع القاهرة (الأعداد ٨١-١٠٢): «وقد عرف العرب هذا كله على مدار تاريخهم القديم والحديث **مما جعل** اللغة العربية متأرجحة بين القوة والضعف».

١٠- ومنها ما جاء في كتاب (رجال حول الرسول) لخالد محمد خالد (٣٠٨): «وشرع إغراء المال والمناصب يقترب من بعض القلوب المؤمنة **مما جعل** أصحاب الرسول يرفعون راية المقاومة لهذا الإغراء».

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال التركيب (ممَّا) للربط والسببية في مثل قولهم: (تساقطت الثلوج مما أدى إلى توقف السير).

٥- قرار المجلس: الموافقة.

* * *

(٢٠١)
مَهَمَّة ومُهِمَّة

١- المسألة:

ثمة خلاف بين الكتَّاب والباحثين حول أيهما أصح في الاستعمال اللغوي: (مَهَمَّة) بفتح الميم والهاء، أم (مُهِمَّة) بضم الميم الأولى وكسر الهاء، فما يصوِّبه فريق يخطِّئه آخر.

٢- الاقتراح:

صحة استعمال كلٍّ من كلمتي (مَهَمَّة ومُهِمَّة) بمعنى ما يكلَّف الشخص من قضية أو أمر يقتضي عناية وجهداً خاصاً.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- تاج العروس: «الهمُّ: ما أهمَّ به المرء نفسَه، أي: نواه وأراده وعزم عليه. همَّهُ الأمر همًّا ومَهَمَّةً: إذا أحزنه وأقلقه كأهمَّه واهتم به. همَّ بالأمر: عزمَ عليه.. وأهمَّ همًّا ومَهَمَّةً بمعنى. المُهِمَّات [ج. مُهِمَّة] هي الشدائد المحرقة.. لا مَهَمَّة لي: أي: لا أهُمُّ بذلك».
- الوسيط: «همَّ بالأمر هَمًّا: عزم على القيام به ولم يفعله.. وهمَّ الأمرُ فلاناً: أقلقَه وأحزنه.. المُهمّ: الأمر الشديد المُفزِع وما يدعو إلى اليقظة والتدبر، ج. مَهامّ.. الهمّ: الحُزن وما همَّ به الرجل في نفسه. والهمّ: أول العزيمة، ج. هُموم».

ب- في الصرف والدلالة:

يلحظ أن للفعل الثلاثي (همَّ) دلالتين: واحدة في حالة اللزوم، وهي النية والعزم على الشيء، وهذا مفهوم قول المعاجم: «همَّ بالأمر: عزمَ على

القيام به ولم يفعله»، وواحدة في حالة التعدِّي، وهي الحزن والإقلاق كما في المعاجم: «همَّ الأمرُ فلاناً: أقلقه وأحزنَه».

ولا شك في أن دلالة الفعل اللازم هي الألصق بما نحن فيه، فلنرَ إلى دلالة كل من الكلمتين:

- مَهَمَّة: وهي مصدر ميمي على بناء (مَفْعَلة) مثل (مَعَرَّة)، فيكون معناها العزم على الشيء والنية، والعزم هو العزيمة، فقولنا: (كلَّفتُه بمَهَمَّة) يعني كلفته بما يُعزَم عليه ويُنتوى فعله.

ويمكن أن يكون معناها كلفته بما يدعو إلى العزم على الشيء ونية فعله؛ لأن من معاني بناء مَفْعَلة السببية كما في قولهم: «الأولاد مَبخلة ومَجبنة ومَجهلة»، أي: ما يسبِّب البخل والجبن والجهل؛ لأن نفس الرجل تنصرف إليهم وإلى الحرص عليهم دون غيرهم فيبعد الوالد عن توخِّي الكرم والشجاعة والعلم، وتجمع على (مَفاعل) فيقال (مهامّ) مثل مَرْحمة ومَراحم.

- مُهِمَّة: وهي اسم فاعل من الفعل (أَهَمّ)، أي: أحزنَ وأقلقَ، (فالمُهمَّة) هي المُحزنة المُقلقة، وقولنا: (كلَّفته بمُهِمَّة) يصبح بمعنى كلَّفته بما يحزن ويقلق، ومن معاني القلق الحركة. ويلحظ هنا أن الكلمة انتقلت من الوصفية إلى الاسمية؛ ولذا يمكن جمعها على (مهامّ)، ولو بقيت على الوصفية لكان جمعها (مُهِمَّات)، ولربما كان لها معنى الشدائد المحرقة.

وبناء على ما سبق يصح أن يقال: (كلَّفته بمَهَمَّة)، أي: بمسألة أو قضية تدعو إلى العزم على الشيء ونية فعله، ويصح أن يقال: (كلَّفته بمُهِمَّة)، أي: بمسألة أو قضية باعثة على القلق والحركة لإنجازها.

والظاهر أن دلالة (مَهَمَّة) أقرب إلى ما نحن بصدده، علماً أن كتاب (الألفاظ والأساليب لمجمع القاهرة ٣/ ٦٦) صحَّح كلمة (مُهِمَّة) التي كان

يخطِّئها بعضهم ويراها أدلَّ على المعنى المراد من كلمة (مَهَمَّة)، أما معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه فجعلهما بمنزلة واحدة، قال: «مَهَمَّة ومُهِمَّة، [مفرد]: قضية أو أمر يقتضي عناية وجهداً خاصاً.. مَهامّ مفرد مَهَمَّة: ما يترتب على المرء القيام به من أعمال مسؤول عنها (مَهامّ الوزير)».

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

صحة استعمال كلٍّ من كلمتي (مَهَمَّة ومُهِمَّة) بمعنى ما يكلَّف الشخص من قضية أو أمر يقتضي عناية وجهداً خاصاً، والأَولى استعمال مُهِمَّة. وتحفظ الدكتور مازن المبارك على القرار.

٥- قرار المجلس: الموافقة، وتحفظ على القرار الدكتور مازن المبارك.

* * *

(٢٠٢)

النَّوايا

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر كلمة (النَّوايا) جمعاً لـ (نِيَّة)، ويخطئها بعضهم؛ لأن هذا الجمع لها لم يرد في المعاجم القديمة، والصواب هو (نِيَّات).

٢- الاقتراح:

جواز استعمال كلمة (النَّوايا) بمعنى المقاصد وما يُعزَم عليه جمعاً لـ (النَّواة والنَّوى) بمعنى النِّيَّة، أما (نِيَّة) فجمعها (نِيَّات).

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- لسان العرب: «نَوى الشيء نِيَّةً ونِيَةً (بالتخفيف عن اللحياني وحده،

وهو نادر)..نوى الشيء وانتواه: قصدَه واعتقده. والنِّيَّة: الوجه الذي يُذهَب فيه. الجوهري: نويتُ نِيَّةً ونَواةً، أي: عزمتُ وانْتَوَيت».

- الوسيط: «نَوى ينوي نَوىً ونِيَّةً: تحوَّل من مكان إلى آخر. النَّواة: النِّيَّة.. والنِّيَّة: توجه النفْس نحو العمل».

ونخلص مما سبق إلى أنَّ: (النِّيَّة والنَّواة والنَّوى) مترادفات بمعنى واحد، وهو القصد أو ما يُعزَم عليه من أمر، وأوزانها (فِعْلة، فَعَلة، فَعَل).

ب- في الصرف والدلالة:

لم نجد في المعاجم القديمة من أورد (نَوايا) جمعاً لـ (نِيَّة)، أي: لم نجد جمعاً لها على (فَعَالَى) على مذهب الكوفيين، ولا على (فَعائل) على مذهب البصريين في وزن مثيلتها كلمة (خطايا).

نقول: لمَّا لم نجد جمعاً لـ (نِيَّة)، على (نَوايا) عمدنا إلى كتب اللغة لمعرفة ما جُمعت عليه أبنية (فِعْلة وفَعَلة وفَعَل) التي هي أوزان (نِيَّة ونَواة ونَوى)، وكلها بمعنى واحد؛ بغية حملها على نظائرها في البناء، فكان مايلي:

١- (فَعَالَى) جمعاً لـ (فِعْلة):

ورد في تاريخ ابن خلدون (٣/ ٨٧): «وكانت جَبايا مصر تسعين ألف ألف دينار».

وواضح هنا أن (الجَبايا) هي جمع (جِبْيَة وجِبْوة) على وزن (فِعْلَة). جاء في لسان العرب: «جَبَى الخراجَ والماءَ والحوضَ يجباه ويجبيه.. والمصدر جِبْوة وجِبْية».

إذن ورد جمع فِعْلة على فَعالى في جِبْية وجَبايا، ويمكن أن يحمل عليه جمع نِيَّة على نوايا، إذ هما على بناء واحد.

٢- (فَعالى) جمعاً لـ (فَعَلة):

جاء في (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر رواية عن عبد الحميد

الكاتب من العصر الأموي، وهو عصر احتجاج، قولُ الشاعر:

إذا خـرج الكُتَّـاب كـان قِسِـيُّهُم دَوايـا وأقـلامُ الـدَّويِّ لهـم نَـبلا

وواضح أن (الدَّوايا) في هذا السياق هي جمع (دَواة) الحبر، أي: جاء بناء (فَعالى) جمعاً لبناء (فَعَلة).

ويمكن أن يحمل عليه جمع (نَواة) بمعنى النِّيَّة على (نَوايا)، إذ هما على بناء واحد.

٣- (فَعالَى) جمعاً لـ (فَعَل):

ورد في لسان العرب: «المَنَى والمَنِيَّة: الموت.. والجمع مَنايا».

فإذا جمعت (المَنى) على (مَنايا)، أي: جمعت (فَعَل) على (فَعالَى) أمكننا جمع مثيلها في البناء (نَوى) بمعنى القصد على (نَوايا) مثيلة (مَنايا).

نستنتج مما سبق أنه مادام (فَعالَى) ورد جمعاً لأبنية (فِعْلة، وفَعَلة، وفَعَل) وهي أبنية (نِيَّة ونواة ونَوى) وكلها بمعنى القصد والاعتزام على الشيء، فليس ما يحول دون جمع هذه الكلمات الثلاث على (نَوايا).

ج- في الاستئناس:

- أجازها مجمع اللغة العربية في القاهرة في كتاب (الألفاظ والأساليب ٢/ ١) على أنها على وزن (فَعائل)، وحملاً على نظيرتها في المعنى وهي (الطَّوايا) جمعاً لـ (طَوِيَّة).

- أثبتها المعجم الأساسي ومعجم اللغة العربية المعاصرة.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال كلمة (النَّوايا) بمعنى المقاصد وما يُعزَم عليه جمعاً لـ (النَّواة والنَّوى) بمعنى النِّيَّة، أما (نِيَّة) فجمعها (نِيَّات).

٥- قرار المجلس: الموافقة.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية(*)

أ- الكتب العربية

- الأدب الشعبي في حلب: دراسة وتحليل: محمد حسن عبد المحسن، وزارة الثقافة - الهيئة العامة للكتاب، دمشق:١٩٩٤،(دراسات اجتماعية؛١٩).
- إرهاصات شعر التفعيلة وقضاياه الفنية: محمد حسن عبد المحسن، دار الفرقان للغات والآداب، دمشق:٢٠١٧،(طبعة ثالثة؛ مزيدة ومنقحة).
- الأسدي علامة حلب في حضرة الغياب: محمد حسن عبد المحسن، دار الفرقان للغات والآداب، دمشق:٢٠١٩، الطبعة٣.
- أنفاس الشيطان: رواية: إياد ناجي، دار كنعان، دمشق:٢٠١٧.
- أوهاج الأمس: شعر: محمد حسن عبد المحسن، شراع للدراسات والنشر، دمشق:٢٠١٦.

(*) إعداد أ. أنور درويش أمين المكتبة العربية في المجمع.

- البنية السردية في رواية صبحي فحماوي «حرمتان»: محمد حسن عبد المحسن، دار الحوار، اللاذقية:٢٠١١
- التفاح الأزرق: رواية: إياد ناجي، دار كنعان، دمشق:٢٠١١.
- جماليات الشعر في سوريا ١٩٠٠-١٩٥٠: محمد حسن عبد المحسن، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: ٢٠٠٢.
- حياة العلامة الشيخ عبد القادر بدران: ماجدة الرحيباني، (د.ن).
- دراسات في الأدب العربي: ماجدة الرحيباني، دار طلاس، دمشق،٢٠٠٦، الجزء الثاني.
- دمشق الأخرى: رواية: إياد ناجي، دار طلاس، دمشق:٢٠٠٦.
- شروح التسهيل: دراسة وتحقيق: وليد السراقبي، قنديل للطباعة والنشر، دبي:٢٠١٩، (سلسة لغتنا الخالدة).
- الشعر السياسي في سورية من يوم ميسلون إلى عيد الجلاء: محمد حسن عبد المحسن، جامعة حلب - كلية الآداب، حلب:٢٠١٠.
- شعر الطفولة في سورية في النصف الأول من القرن العشرين: محمد حسن عبد المحسن، جامعة حلب - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، حلب: ٢٠١٣.
- القاضي علي عزوز رحيباني: مسيرة حياته وشعره: ماجدة رحيباني، دار طلاس، دمشق:٢٠٠٦.
- قطتان في صندوق: رواية: إياد ناجي، دار الفكر، دمشق:٢٠١٥.
- محمد عزيز شكري: بحوث ومقالات: مجموعة مؤلفين، دار الفكر، دمشق:٢٠٠٨، (علماء مكرمون).
- مراجعات في النحو العربي: محمد عبدو فلفل، وزارة الثقافة - الهيئة العامة للكتاب، دمشق: ٢٠١٨، (إحياء التراث العربي ونشره)

- مصطلحات ألفاظ الحضارة: مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٢٠١٧.
- معالم الحياة السورية: محمد حسن عبد المحسن، شراع للدراسات والنشر، حلب:٢٠١٧.
- معجم لغة الشعر العربي: مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٢٠١٦.
- مواقف شعراء سورية وتياراتهم بين الحربين: محمد حسن عبد المحسن، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق: ٢٠٠١.
- موجز تاريخ سورية في العصور القديمة: زهير ناجي، (د.ن).

* * *

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام (١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)

أ – الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور محمد مروان المحاسني «رئيس المجمع»	١٩٧٩
الدكتور محمود السيد «نائب رئيس المجمع»	٢٠٠١
الدكتور محمد مكي الحسني «أمين المجمع»	٢٠٠١
الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٦
الدكتور ممدوح خسارة	٢٠٠٨
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٨

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عمر شابسيغ	٢٠٠٨
الدكتور عيسى العاكوب	٢٠٠٨
الدكتورة لبانة مشوح	٢٠٠٨
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٨
الدكتور هاني رزق	٢٠١٠
الدكتور أحمد قدور	٢٠١٠
الدكتور محمد سعيد الصفدي	٢٠١٠
الدكتور وهب رومية	٢٠١٦
الدكتور رفعت هزيم	٢٠١٦
الدكتور عبد الناصر عساف	٢٠١٦
الدكتور عبود السراج	٢٠١٦

ب – الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الأردنية الهاشمية	
الدكتور عبد الكريم خليفة	١٩٨٦
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢
الدكتور سمير الدروبي	٢٠١٥
الجمهورية التونسية	
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور عبد الوهاب بوحديبة	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢
الدكتور صالح بلعيد	٢٠٠٧
الدكتور عثمان السعدي	٢٠١٥
المملكة العربية السعودية	
الدكتور أحمد محمد الضبيب	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان	٢٠٠٧
جمهورية السودان	
الأستاذ علي أحمد بابكر	٢٠٠٧
الدكتور حسن بشير صديق «رئيس المجمع»	٢٠١٥
الدكتور وافي صلاح الدين حاج ماجد	٢٠١٥
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠

(*) ذُكِرَت الأقطار وفقًا للترتيب الهجائي، والأسماء وفقًا للترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الدكتور محمد رضوان الداية	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور أحمد الحاج سعيد	٢٠٠٧
الدكتور عبد الحليم منصور	٢٠٠٧
الدكتور عماد الصابوني	٢٠٠٧
الدكتورة أسيدة بشير شهبندر	٢٠١٥
الدكتور عبد الجبار الضحاك	٢٠١٥
الدكتور عدنان بركة	٢٠١٥
الدكتور عقيل المرعي	٢٠١٥
الدكتور فايز الداية	٢٠١٥
الدكتور فيصل الحفيان	٢٠١٥

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور قاسم سارة	٢٠١٥
الدكتور محمد عبدو فلفل	٢٠١٥
الأستاذ محمد عدنان سالم	٢٠١٥
الدكتورة منى إلياس	٢٠١٥
الدكتور ميخائيل معطي	٢٠١٥
الجمهورية العراقية	
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢
الدكتور داخل حسن جريو	٢٠٠٧
الدكتور علي القاسمي	٢٠٠٧
الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي	٢٠٠٧
الدكتور مسارع الراوي	٢٠١٥
فلسطين	
الدكتور أحمد حسن حامد	٢٠٠٧
الكويت	
الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠

تاريخ دخول المجمع	
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢
الجماهيرية العربية الليبية	
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣
جمهورية مصر العربية	
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦

تاريخ دخول المجمع	
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢
الدكتور صلاح فضل	٢٠١٥
المملكة المغربية	
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الجمهورية العربية اليمنية	
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

ج – الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
أزبكستان	
الدكتور نعمة الله إبراهيموف	١٩٩٣
إسبانية	
الدكتور خيسوس ريو ساليدو	١٩٩٢
إيران	
الدكتور محمد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
الدكتور محمد علي آذر شب	٢٠٠٢
الدكتور محمد علي التسخيري	٢٠٠٢
باكستان	
الدكتور أحمد خان	١٩٩٣
البوسنة والهرسك	
الدكتور أسعد دراكوفيتش	٢٠٠٢
الدكتور فتحي مهدي	٢٠٠٢
الدكتور محمد أرناؤوط	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
تركية	
الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو	١٩٨٦
رومانية	
الدكتور نقولا دويرشيان	٢٠٠٢
الصين	
الدكتورة أمل قوه شوه هوه	٢٠٠٧
فرنسة	
الأستاذ أندره ميكيل	١٩٨٦
الأستاذ جاك لانغاد	١٩٩٣
الأستاذ جورج بوهاس	١٩٩٣
الأستاذ جيرار تروبو	١٩٩٣
الهند	
الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي	٢٠٠٢

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ – رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولِّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٦٠ – ١٩٦٨)
الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)
الدكتور شاكر الفحام	(١٩٩٣ – ٢٠٠٨)

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

ب – الأعضاء الراحلون

	الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦

	الوفاة
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	١٩٦٨
«رئيس المجمع»	
الأمير جعفر الحسني	١٩٧٠
«أمين المجمع»	
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل	١٩٨٥
«أمين المجمع»	
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦

	الوفاة
الدكتور حسني سبح	١٩٨٦
«رئيس المجمع»	
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٩٥
«أمين المجمع»	
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢
الأستاذ محمد عاصم بيطار	٢٠٠٥
الدكتور عبد الحليم سويدان	٢٠٠٦
الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة	٢٠٠٧
الدكتور شاكر الفحّام	٢٠٠٨
«رئيس المجمع»	
الدكتور عبد الكريم اليافي	٢٠٠٨

	الوفاة
الأستاذ جورج صدقني	٢٠١٠
الدكتور محمد زهير البابا	٢٠١١
الدكتور عبد الكريم الأشتر «عضو شرف»	٢٠١١
الدكتور محمد إحسان النص	٢٠١٢
الدكتور محمد عزيز شكري	٢٠١٢
الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠١٣
الأستاذ سليمان العيسى	٢٠١٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	٢٠١٥
الأستاذ شحادة الخوري	٢٠١٦
الدكتور أنور الخطيب	٢٠١٨
الدكتور محمد محفل	٢٠١٩
الدكتور محمد طيب تيزيني	٢٠١٩

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

ج – الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

	الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	٢٠١٠
الدكتور ناصر الدين الأسد	٢٠١٥
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠١٧
الدكتور محمود السمرة	٢٠١٨
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الدكتور سليم عمّار	١٩٩٩
الدكتور محمد السويسي	٢٠٠٧
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٩
الأستاذ محمد المزالي	٢٠١٠
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	٢٠١٢
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	٢٠١٥
الدكتور رشاد حمزاوي	٢٠١٨

	الوفاة
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
الدكتور أبو القاسم سعدالله	٢٠١٣
الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح	٢٠١٧
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	٢٠٠٤
الأستاذ عبد الله بن خميس	٢٠١١
الدكتور عوض القوزي	٢٠١٣
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠١٦
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	١٩٧٠
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	٢٠٠٥

	الوفاة
الأستاذ سر الختم الخليفة	٢٠٠٦
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ إدوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار أغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧

	الوفاة
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد خير الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠
الأستاذ عبد المعين الملوحي	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام العجيلي	٢٠٠٦
الدكتور عبد الله عبد الدايم	٢٠٠٨
الدكتور صلاح الدين المنجد	٢٠١٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠١١
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠١١
البطريرك مار أغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠١٤
الدكتور برهان العابد	٢٠١٤
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠١٦
الأستاذ محمود فاخوري	٢٠١٦
الدكتور صادق فرعون	٢٠١٧
الدكتور عدنان الحموي	٢٠١٨

	الوفاة
الدكتور عدنان درويش	٢٠١٤
الجمهورية العراقية	
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب أنستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣

	الوفاة
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم	٢٠٠٢
الدكتور صالح أحمد العلي	٢٠٠٣
الدكتور عبد العزيز البسام	٢٠٠٥
الدكتور جميل الملائكة	٢٠٠٥
الدكتور عبد اللطيف البدري	٢٠٠٦
الدكتور حسين علي محفوظ	٢٠٠٩
الدكتور عبد العزيز الدوري	٢٠١٠
الدكتور محمود الجليلي	٢٠١١
الأستاذ هلال ناجي	٢٠١١
الدكتور يوسف عز الدين	٢٠١٣

	الوفاة
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠١٨
فلسطين	
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس	٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٣
الدكتور إدوارد سعيد	٢٠٠٣
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠١٥
الكويت	
الدكتور خالد عبدالكريم جمعة	٢٠١٣
الجمهورية اللبنانية	
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧

	الوفاة
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا «العاملي»	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨

	الوفاة
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٦
الدكتور محمد يوسف نجم	٢٠٠٩
ليبيا	
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥
الدكتور علي فهمي خشيم	٢٠١١
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧

	الوفاة
الأستاذ أحمد الإسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣

	الوفاة
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣
الدكتور شوقي ضيف	٢٠٠٥
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٧
الدكتور أمين علي السيد	٢٠٠٩
الدكتور محمود حافظ	٢٠١١
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠١٢
الدكتور محمود علي مكي	٢٠١٣
الدكتور كمال بشر	٢٠١٥
الدكتور محمود فوزي المناوي	٢٠١٥
الأستاذ فاروق شوشة	٢٠١٦
الدكتور نبيل علي	٢٠١٦
الدكتور حسين نصار	٢٠١٧

	الوفاة
الأستاذ محمود فهمي حجازي	٢٠١٩
المملكة المغربية	
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنُّون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٤
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	٢٠٠٨
الأستاذ الأخضر الغزال	٢٠٠٨
الدكتور عبدالهادي التازي	٢٠١٥
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠١٥
الدكتور محمد بن شريفة	٢٠١٨
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠١٩
الجمهورية العربية اليمنية	
القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	٢٠٠٨

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

د – الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	الوفاة
الاتحاد السوفييتي «سابقًا»	
الأستاذ كراتشكوفسكي «أغناطيوس»	١٩٥١
الأستاذ برتل «ايفكني ادواردوفيتش»	١٩٥٧
الدكتور غريغوري شرباتوف	٢٠٠٦
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس «ميكل»	١٩٤٤
الأستاذ إميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان «مارتين»	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو «إدوارد»	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز «يوسف»	١٩٣١
الأستاذ هوميل «فبريتز»	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ «أوجين»	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد «أرنست»	١٩٤٨
الأستاذ فيشر «أوغست»	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان «كارل»	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان «ريتشارد»	١٩٦٥

	الوفاة
الدكتور ريتر «هلموت»	١٩٧١
الدكتور رودلف زلهايم	٢٠١٣
الدكتور فولف ديتريش فيشر	٢٠١٣
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
الدكتور هادي معرفت	٢٠٠٧
الدكتور محمد مهدي الآصفي	٢٠١٥
الدكتور فيروز حريرجي	٢٠١٦
إيطالية	
الأستاذ غريفيني «أوجينيو»	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني «ليون»	١٩٢٦
الأستاذ غويدي «اغنازيو»	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو «كارلو»	١٩٣٨
الأستاذ غبرييلّي «فرنسيسكو»	١٩٩٦

	الوفاة
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	٢٠١٠
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري «الشاعر القروي»	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس «دافيد»	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ إدوارد «براون»	١٩٢٦
الأستاذ بفن «أنطوني»	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث «د.س.»	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو «فريتز»	١٩٥٣
الأستاذ غليوم «ألفريد»	١٩٦٥
الأستاذ اربري «أ.ج.»	١٩٦٩
الأستاذ جيب «هاملتون أ.ر.»	١٩٧١

	الوفاة
بولونية	
الأستاذ «كوفالسكي»	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	....
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
الدكتور فؤاد سزكين	٢٠١٨
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل «ألوا»	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل «فرانز»	١٩٣٢
الأستاذ اِسْتْروب «يحيى»	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن «جون»	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين «ك.ف.»	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦
سويسرة	
الأستاذ مونتة «إدوارد»	١٩٢٧
الأستاذ هيس	١٩٤٩

	الوفاة
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	٢٠٠٨
فرنسة	
الأستاذ باسيه «رينه»	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار «كليمان»	١٩٢٧
الأستاذ غي «أرثور»	١٩٢٨
الأستاذ ميشو «بلير»	١٩٢٩
الأستاذ بوفا «لوسيان»	١٩٤٢
الأستاذ فران «جبريل»	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه «وليم»	١٩٥٦
الأستاذ دوسو «رينه»	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون «لويس»	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه «هنري»	١٩٧٠
الدكتور بلاشير «ريجيس»	١٩٧٣
الأستاذ كولان «جورج»	
الأستاذ لاوست «هنري»	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو «يوحنا اهتنن»	....

	الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر «أغناطيوس»	١٩٢١
الأستاذ ماهلر «إدوارد»	....
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	....
النمسا	
الدكتور اشتولز «كارل»	....
الأستاذ جير «رودلف»	١٩٢٩
الدكتور موجيك «هانز»	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	١٩٨١
أ. أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
الدكتور عبد الحليم الندوي	٢٠٠٥
الدكتور مختار الدين أحمد	٢٠١٠
هولندة	
الأستاذ هورغرونج «سنوك»	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما	١٩٤٣
«مارتينوس تيودوروس»	
الأستاذ اراندونك «ك. فان»	١٩٤٧

	الوفاة
الأستاذ شخت «يوسف»	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد «ب»	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد «أرنست»	١٩٤٨
الأستاذ سارطون «جورج»	١٩٥٦
الدكتور ضودج «بيارد»	١٩٧١

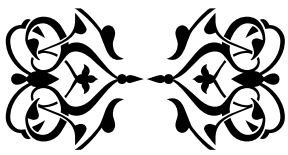

تنضيد وإخراج: عمار البخاري

Tome I & II

Vol. XCIII

REVUE

DE L'ACADÉMIE DE LA LANGUE ARABE À DAMAS

B.P. (327)

E-mail: mla@ net.sy

http: www.arabacademy.gov.sy

تباع مطبوعات المجمع في مبنى مجمع اللغة العربية
دمشق ـ غربي المالكي ـ شارع عبد المنعم رياض

وفي دور النشر الآتية:

دار إقرأ: دمشق ـ حلبوني
دار الهلال: دمشق ـ حلبوني
المكتبة العربية للتراث والفنون: دمشق ـ حلبوني
دار البشائر: دمشق: شارع ٢٩ أيار
دار البينة: دمشق: شارع ٢٩ أيار
دار سعد الدين: دمشق ـ عين الكرش
دار عبادة: دمشق ـ البرامكة

ISBN 978-9933-0-0494-1